الثورة الجزائرية



د. أحمد حلواني

الثورة الجزائرية

في الصحافة السورية

من (١٩٥٥-١٩٥٧)

دراسة لمواقف التيارات السياسية

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٧م

الثـورة الجزائريـة في الـصحافة الـسورية: مـن ١٩٥٥-١٩٥٧:
دراسة لمواقف التيـارات الـسياسية / أحمـد حلـواني .- دمشق:
الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٧م .- ٢٢٤ ص؛ ٢٥ سم.

١- ٩٦١,٥٠١ ح ل و ث   ٢- العنوان   ٣- حلواني

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى طلبة الإعلام العربي عموماً والسوري خصوصاً «طلابي وزملائي» أهدي هذا العمل تبياناً لالتزام الصحافة السورية بحركات التحرر العربية وتأكيداً لدورها في ترسيخ أواصر الأخوة والتضامن.

مُقدِّمة

موضوعات الدراسة والإشكالية:

تشير الحقائق المعروفة إلى أن الثورة الجزائرية شكّلت منعطفاً تاريخياً بارزاً، ليس فحسب في حياة الشعب الجزائري، وإنما في حياة شعوب الأمة العربية كلها. وكما أن هذه الثورة وحّدت قوى الشعب الجزائري الحيّة حولها، فإنها استطاعت أيضاً أن توحّد التيارات السياسية المختلفة في الوطن العربي كله حولها، وأن تُبعد ما كان من خلافات سياسية بين هذه التيارات، لكي تمضي في سبيل الدفاع عن الثورة والالتفاف حولها، وتقديم كل ما يمكن من أجلها.

ولقد كانت سورية في مقدمة الأقطار العربية التي أعلن شعبها عن تأييده المطلق للثورة الجزائرية، وتعلّقه بها، واستعداده لكل تضحية في سبيلها.

فعندما اندلعت الثورة الجزائرية، كانت سورية تمر بمرحلة تاريخية عاصفة، تحيط بها المؤامرات والأحلاف من كل الجهات، ورغم ذلك فقد أصرّ الشعب السوري على تثبيت أصالة وجوهر الروابط المصيرية مع الشعب الجزائري، وأحكم انطلاقته مع الثورة الجزائرية في مسيرته الكفاحية المعادية للاستعمار، وقهر الشعوب، ومن أجل حرية الأمة العربية التي تمثّل الجزائر عمقها وكرامتها..

لهذا فإن دراسة صورة الثورة الجزائرية في الصحافة إنما تمثّل أيضاً دراسة لتوجهات الرأي العام السوري وتياراته السياسية المختلفة من دون استثناء.

وهذا التوجّه يقودنا إلى طرح إشكالية هذه الرسالة، وهي : ماذا قدمت الصحافة السورية للثورة الجزائرية في رسالتها الإعلامية، وكيف صوّرتها؟!...

وينبثق عن هذه الإشكالية تساؤل واحد شامل:

ماهي الدوافع الحقيقية التي حرّكت الصحافة السورية نحو الاهتمام الكبير بالثورة الجزائرية؟!...

أما فرضية البحث فإنها تنكشف تلقائياً من طبيعة الإشكالية وكذلك من طبيعة التساؤل وهي: كلّ الصحافة السورية على تباين توجهاتها التزمت بقوة بالثورة الجزائرية.

الفترة الزمنية للدراسة:

تنحصر الفترة الزمنية للدراسة بالسنوات الأولى للثورة الجزائرية أي من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٥٧ والسبب في اختيار هذه المرحلة يعود إلى أن الوحدة بين سورية ومصر قامت في شهر شباط من عام ١٩٥٨. وبقيام الوحدة وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة، انتهى دور الأحزاب السياسية، وتوقّفت صحفها عن الصدور، كما توقفت معظم الصحف الأخرى عن الصدور أيضاً. وسيجري توصيف هذه الأوضاع وأسبابها في الفصول القادمة..

ولابد من التأكيد أيضاً أن الصحف موضوع الدراسة ، لم تكن تصدر بانتظام خلال الفترة الزمنية المحدّدة فبعضها، صدر لعام واحد، وبعضها لعامين، ولم يحدث أن كانت أيٌّ من الصحف حاضرة خلال كامل السنوات لأسباب مختلفة غالبها تمويلي أو فك شراكة ونقص إعلانات واشتراكات..

لذلك كانت دراسة حركة الصحافة السورية تجاه الثورة الجزائرية في هذه الفترة أشبه بالمسؤولية التاريخية. فالثورة الجزائرية أوجدت شيئاً في تاريخ الصحافة العربية لم يكن موجوداً من قبل، وخوفاً من ضياع قيم هذه المرحلةومعانيها، بعد أن ضاع الكثير من أعداد الصحف ومازالت أعدادٌ أخرى تندثر يوماً بعد يوم، فإن العناية بها، ليس ضرورةً تاريخيةفي جانبيها السياسي والإعلامي فحسب بل أيضاً ضرورة قومية وإنسانية.. لاسيما وأنها تؤرّخ لإخاء شعبين شقيقين تربطهما روابط مشتركة كبيرة أكدّتها أحداث التاريخ عبر العصور قديمها وحديثها..

منهج الدراسة:

تميل الدراسة لأن تكون وصفيّة في معظمها، ولم تستهدف التوثيق، فهي ككل دراسة وصفية تستهدف وضع تصوّر دقيق لخصائص الظاهرة، موضوع الدراسة، من خلال المعلومات المتوفرة، لذلك فإن المنهج المتّبع فيها هو المنهج الوصفي واستخدام أسلوب تحليل المضمون، ليس بالآليّة المعروف بها، وإنما بالمرونة المناسبة لطبيعة الدراسة. إذ إن الاهتمام ينصبّ بالدرجة الأولى على التحليل النوعي، مع ما يتطلبه هذا التحليل من توصيف كمي..

وليس من النافل الإشارة هنا إلى أن ثمّة جدالاً قد خيض ولايزال بين منظّري «تحليل المضمون»، فممثلي المنهج الكمّي مثل لاسويل وليرنر لا يروْن أي معنى لتحليل المضمون إن لم يتمكنوا من الإجابة عن السؤال الذي تتم معالجته بطريقة كميّة.

غير أن أدورنو وهوركهايمر يقولان: إن تحليل المضمون الكمّي يصف الحالة القائمة بدلاً من أن يضعها موضع تساؤل. وعندما يضع الباحث المشكلة بكامل أوجهها موضع التساؤل بما في ذلك هدفها يمكن عندئذٍ فقط أن نتكلم، عن وجود تحليل نقدي.

وإننا نرى أن طريقة تحليل المضمون النوعي التي ترتّب النص في إطاره الاجتماعي هي أكثر ثباتاً من تحليل المضمون الكمي الذي يسعى لاصطياد معلومات إحصائية فحسب.

وبناء على ذلك فقد اتجهنا إلى محاولة القيام بتحليل المضمون النوعي لما بين أيدينا، بحيث جرى ترتيب المحتويات موضوع الاختيار في مجالها المجتمعي.

خطة الدراسة: تتكون الدراسة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول أخرى واستنتاجات وخاتمة. ففي المقدمة تم عرض موضوع الدراسة وإشكاليتها وفرضيتها، وفترتها الزمنية ثم منهج الدراسة.

عرضنا في **الفصل الأول** نبذة عن تاريخ الصحافة السورية ومسيرتها التاريخية عبر مراحل الاستعمار أولاً ثم بعد الاستقلال. بالإضافة إلى المواصفات الفنية لهذه الصحافة عبر تطورها.

وقد خصّصنا **الفصل الثاني** لدراسة موقف سورية من الثورة الجزائرية منذ انطلاقها، وتأثير هذه الثورة على نوعيّة الفكر سواء لدى السياسيين السوريين أو المثقفين الكتاب والشعراء أو الصحافيين.

وكان الاهتمام في **الفصل الثالث** بالصحافة الحزبية السورية، والتزامها بالثورة الجزائرية مع إيضاح الدوافع المختلفة التي أدّت إلى هذا الالتزام والتعلّق بالثورة الجزائرية.

أما في **الفصل الرابع** فقد تناولنا الصحافة السورية غير الحزبية وموقفها من ثورة الجزائر وتتبعها لمسيرة هذه الثورة، وتصديها للاستعمار الفرنسي مثلما تصدّت له الصحافة الحزبية.

وفي **الفصل الخامس** عرضنا للثورة في الشعر السوري.

وفي النهاية ذكرنا الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال الدراسة وسجلنا الخاتمة التي تستجيب لفرضية الدراسة وتؤكد التزام الصحافة السورية جميعها بالثورة الجزائرية وتأييدها..

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من قدم مساعدة في تقديم الوثائق التي اعتمدت عليها في دراستي من الزملاء العاملين في وزارة الإعلام السورية إضافة إلى الأستاذ الدكتور عزة العجان الأستاذ في جامعة الجزائر الذي لم يبخل بجهد في تأمين الدراسات الصادرة عن تاريخ الثورة الجزائرية وتقديم نصحه الأكاديمي، وإلى الأستاذ الدكتور عزّي عبد الرحمن العميد السابق لمعهد الإعلام في جامعة الجزائر الذي أكد على أهمية دراسة الموقف السوري من الثورة، مما يظهر الدور الريادي للشعب السوري في حركة التحرر العربي..

والله ولي الأمر والتوفيق



الفصل الأول

نبذة عن تاريخ الصحافة السورية

تمهيد:

قبل التحدث عن الثورة الجزائرية في الصحافة السورية، لابد من الخوض في تفاصيل البدايات الأولى لنشوء هذه الصحافة ومن ثم شرح الظروف السياسية وغير السياسية التي رافقت هذا النشوء وإبراز الرسالة السامية التي أدتها الصحافة العربية في سورية سواء أكان ذلك من أجل الوحدة العربية أم من أجل حرية الوطن والمواطن، أم في توجيه الرأي العام في سورية لمناهضة المستعمرين، وأخيراً.. بهدف تسيير النظم الاجتماعية نحو الاتجاهات السياسية الوطنية واعتناق العديد من المبادئ الأخلاقية والسياسية والاجتماعية.

وسيجري توضيح هذه الوقائع من خلال مايلي:

- الصحافة السورية من العصر العثماني حتى الانتداب الفرنسي.
- الصحافة السورية في عهد الاستقلال.
- فئّيات الصحافة السورية.

١- ١- الصحافة السورية في العصر العثماني:

بلغة مكثّفة نستطيع القول:

إن سورية كانت خاضعة لسياسة عثمانية غير مستقرة قوامها سياسة الولاة بتكوينهم السياسي واجتهاداتهم بالحكم، مع غياب القوانين والحريات االسياسية، لكن

ما إن أخذت حركة القومية العربية بالظهور في أواخر القرن الماضي حتى انتعشت الفكرة الاستقلالية في صدور أبناء الشام: «إما بتأثير المدارس أو بطريق قيام الصحافة الوطنية مثل (نفير سورية في بيروت، وصحيفة دمشق في الشام، والاعتدال في حلب»[١]، وظهور مفكرين وصحفيين كبار مثل عبد الحميد الزهراوي وعبد الرحمن الكواكبي والتأثّر بأفكار عصر النهضة الأوربي.

وطبيعي أن تؤدّي سياسة التضييق على حرية الصحافة إلى هجرة الأدباء والمفكرين إلى البلدان الأوربية التي كانت تنعم بقسط من الحرية حيث أنشؤوا صحفهم الجديدة التي أشارت إلى مآثر العرب وتاريخهم المجيد ومفاخرهم وعلومهم وفضائلهم أيام نهضتهم وازدهار حضارتهم، كما حاربت بشكل جريء ظلم الحكام وجورهم، حيث: «كان هؤلاء المفكرون يستعملون كلمة الشرقي كمرادف للعربي، والشرق للعربية أمثال لويس صابونجي في إنكلترة، وأديب اسحق في باريس الذي قال في بعض فقرات من مقالاته المشهورة: فإذا لم ينتبه الشرقيون في غفلتهم ولم ينبذوا عنهم التقاليد الموجبة لتعريف كلمتهم، ولم يغذوا ألباب صغارهم بغذاء الحرية ولم يرسموا على ألواح صدورهم رسم الوطنية ولم يغضبوا لوطنهم أن يغضب ولما لهم أن ينهب ولحقّهم أن يُسلب ولمجدهم أن يذهب، فما يلبثوا أن يصيروا عبيد أعدائهم وأسراء نزلائهم»[٢]..

وهذا الدور القومي الرائد الذي بدأ الأحرار من صحفيين وأدباء القيام به والذي يدعو إلى اتحاد كلمة العرب كان قد تعدّى حدود البلدان الأوربية ليشمل سراً بعض الأقطار العربية لأن: «الكواكبي تطلّع إلى حريّة قومه، ونادى بآراء كانت غريبة على مثله، فأرادت السلطنة العثمانية إيقاف هذا التيار»[٣].

---

(١) الدكتور شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية، القاهرة: ٢ دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، ج١، ص٨ و٩.

(٢) محمد عمارة، الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ١٩-٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

ويمكن القول: إن هذه الفترة شهدت صدور الكثير من الصحف والمجلات ومنها على سبيل المثال لا الحصر: «الأحوال والروضة والنصير والأرز والمهذّب ولُباب الألباب والجعبة والنشاط...» وغيرها...

ولدى إعلان الدستور في السلطنة العثمانية عام ١٩٠٨، كانت جميع الولايات السورية تعيش موجةً طاغية من السرور والابتهاج، وفي هذا السياق يقول فخري البارودي (أحد كبار رجال الكتلة الوطنية السورية): «وقع الانقلاب العثماني فقامت القيامة وخرج المنادون ينادون بإعلان الدستور والحرية والمساواة والعدالة وأقيمت الزينات وراح الناس يهتفون مع الهاتفين دون أن يفهموا شيئاً مما جرى»[١] .

وفي الحقيقة لم تكن بعض الصحف في هذا العهد إلا صحفاً تجارية شغلها الشاغل هو كسب المال وتضليل الأمة بالأخبار الكاذبة التي تُرضي السلطة، وأما الجرائد التي تعارض هذا الخط ولو بإشارة، فجزاؤها الإغلاق وسجن صاحبها، ومن أمثالها جريدة: «لسان الحال»، التي أطلقت أقلامها النزيهة، فجاهرت بانتقاد الفساد والمفسدين.

ولقد انتشرت هذه الصحف انتشاراً واسعاً، الأمر الذي أدى إلى: «ظهور مطابع جديدة في بيروت والجبل، وخاصة بعد أن ألغت السلطات القانون الصادر عام ١٨٨٨م، والذي يُلزم كلّ من يرغب في تأسيس مطبعة أو جريدة أن يحصل على تصريح بذلك»[٢].

إن هذا القرار السلطاني مكّن مشاهير الصحفيين من إصدار صحفهم وفي مقدمتهم محمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق ورئيسه

---

(١) فخري البارودي، ستون عاماً تتكلم، دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٥١، ج١، ص٦٢.

(٢) خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥٨. ص٣٧.

الأول والكاتب والأديب والمؤرخ)، الذي يقول: «كانت **المقتبس** السياسي أول جريدة يومية صدرت **في دمشق، والبرق**، في **بيروت وأكتوبر في حلب**»[1].

ولقد كانت الصحف الوطنية تتوجه نحو التحريض للثورة على أوضاع الحكام واستغلال المراكز وفوضى سوء الإدارة فتُدين بشدّة الولاة الأتراك وموظفيهم والأعمال التي تتم على أيديهم وتطالب: «بالإصلاح وطرد اللصوص من الموظفين من خدمة الدولة، وحفز العرب على العمل النافع والتذرّع بالمشاريع المنتجة ونشر التعليم بين الطبقات الأميّة أو الجاهلة».

أما في عهد السلطان محمد الخامس فقد كشفت زيف الادعاءات المثالية التي كانت قد أظهرتها جمعية (الاتحاد والترقي) من قبل، والتي عطّلت الحقوق الدستورية وأحكمت الرقابة على الصحف الشامية وفي مقدمتها: «السكّة الحجازية»، و«لسان العرب»، و«فتى العرب» و«مذكرات الأحرار»، و«القبس»، و«حط بالخرج»، و«حمارة بلدنا»، التي جعل منها صاحبها توفيق جانا: «الحمارة التي تنطق بالحكمة السياسية وتستنبط الأفكار الاستعمارية من أعمال موظفي الحكومة». ثم تلتها صحف «عكاز أبو نواس»، و«المارونية الفتاة»، و«الرسائل الغانمية».

إن قراءة سريعة وعاجلة للظروف التي مرّت بها سورية في هذا العهد تؤكّد اضطّرار زعماء العرب الوطنيين إلى التواري والجنوح إلى الخفاء في مواصلة نشاطهم السياسي فكانت أولى جمعياتهم السرية (الجمعية القحطانية) عام ١٩٠٩م، ثم الجمعية العربية الفتاة) في باريس التي سعت إلى تحقيق استقلال العرب، وكانت الصحافة في هذه الآونة: «متشبّعة بالتلغرافات الوطنية من كل مكان من أرجاء الوطن العربي، ومن البلاد الشامية والبلاد العثمانية، منافسة بعضها بعض، في قوّة وعزم»[2].

---

(١) محمد كرد علي، المذكرات، دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٤٩، ج١، ص٩١.

(٢) ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء القومية العربية، القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٥٦، ص ٢٠٨.

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، كانت الحالة بين العرب والترك في تنابذ وتوتّر شديدين، وما أن تسلّم جمال باشا الجيش الرابع في سورية حتى فكّر بالاعتماد على صحافة: «تساهم في تكوين رأي عام سوري تناصر جيوش الدولة ضد الحلفاء، فوجد ضالته في العديد من الصحفيين»[١]. ولم يمض وقت طويل حتى أقدم على إعدام مجموعة من الوطنيين من بينهم عدد من الصحفيين في السادس من مايو/ أيار١٩١٦م. بحيث سمي نتيجتها بالسفّاح.

لقد كانت الصحافة السورية في العهد العثماني دائماً تميل نحو انتقاد الحكّام، وشرح الأوضاع السياسية السائدة في البلاد، وإبداء الآراء السياسية والأفكار الدينية والاجتماعية، تحثّ فيها الولاة للسير على هديها، وقد تمكّنت بفضل محرريها أن تصل برسالتها إلى مزيد من الوعي الشعبي، وإرشاده بشتى الطرق والسبل للخلاص من أوضاعه المتأخرة، والتحرر من ربقة الهيمنة التركية التي جثمت على صدره في أواخر عهد الدولة العثمانية بشكل خاص.

١– ٢– الصحافة السورية في العهد الفيصلي (١٩١٨-١٩٢٠م)

ما إن خرج الأتراك من سورية حتى بدأت الصحف اليومية الجديدة بالظهور محرّضة الرأي العام في سورية الطبيعية على التمسّك بالحقوق العربية، ومحذّرة من المؤامرة التي بدأت تحيك خيوطها فرنسا وبريطانيا، التي ظهرت للوجود عندما اتفق وزيرا خارجية البلدين (سايكس وبيكو)، على معاهدتهما المعروفة في التاريخ بإتفاقية سايكس- بيكو.

وعلى الرغم من أن عمر الحكومة السورية في دمشق كان قصيراً، فلم يتجاوز السنتين، إلا أن صحفاً عديدة ظهرت، واختفت أخرى، وقلبت ثالثةٌ لهجتها رأساً على عقب!. كماتحسّنت أحوال الصحف في عهد الملك فيصل بن

---

(١) سامي الكيالي، الحياة الأدبية في سورية، القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٥٦، ص ٢٠٧.

الحسين كثيراً فألغيت الرقابة التي كانت السلطة العثمانية قد فرضتها، وطلب الملك نفسه من أصحاب الصحف المعطّلة إعادة إصدار صحفهم، وفي هذا السياق يقول محمد كرد علي في مذكراته: «وعندما عقدت الهدنة، ودخل الأمير فيصل دمشق مع الجيش العربي كان أول ما طلب إلى أخي في اسطنبول أن يكتب إليّ بالحضور حالاً، ولما زرته كان لقاؤنا لقاء أخ لأخيه وتفضّل وعاون المقتبس على الصدور»[١].

ولقد كانت **أولى الصحف في العهد الفيصلي، جريدة «العاصمة»** التي جاء في افتتاحيتها: «خطة هذه الجريدة، ومسلكها نشر قوانين الحكومة وأنظمتها ومقرراتها وبلاغاتها مع ذكر نتف من الأخبار المحلية»[٢].

١– ٣– الصحافة في ظل الاحتلال الفرنسي(١٩٢٠-١٩٤٠م).

ما إن دخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق عام ١٩٢٠م بعد معركة ميسلون التي قاد المقاومة السورية فيها لجيش الإحتلال الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع في الحكومة الفيصلية، حتى اختفت الصحف التي ظهرت في العهد الفيصلي وحلّت محلها صحف أخرى ذات نزعات مختلفة ضد المستعمرين الجدد، ومهاجمة الإستعمار الفرنسي وهو الأمر الذي جعل قوات الاحتلال تسارع إلى زج الصحفيين في السجون، وملاحقتهم مما اضطر بعضهم إلى الهرب واللجوء إلى الدول العربية، لكن فرنسا: «لم تستطع مع كل ذلك، أن تُطفئ شعلة الحرية، فكانت الصحافة تتناقل أخبار الثورات السورية من هيئات الدوائر الرسمية ومن موظفيها، وكان من الطبيعي أن يؤمن الشعب بأخبار الصحف الوطنية، أيما إيمان، فقد كانت تتّقد حماسة وتلتهب هياجاً ووطنية، وتشارك في الثورة وفي مقاومة الاستعمار»[٣].

---

(١) محمد كرد علي، المذكرات، مصدر سابق، ص١٣١.

(٢) الدكتور شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية، مصدر سابق، ج٢، ص١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢.

وعلى أية حال، لم تسمح السلطات الفرنسية بإصدار الصحف باستثناء جريدة واحدة في دمشق وهي: «أبو نواس العصري»، لأمين سعيد عام ١٩٢١، وثلاث جرائد في حلب، هي «الآمال» و«سورية الشمالية»، و«شفق»، وأربع أخرى في اللاذقية وهي: «الصدى»، و«اللاذقية» و«الرمز» و«المنار»، فضاقت الصحافة ذرعاً بالرقابة التي فرضت عليها ولاسيما في عهد حكومة حقي العظم: «حيث فرضت على الصحافة رقابة حديدية للقضاء على أية معارضة غير أنه في بادئ الأمر أبدى كثيراً من التساهل حتى يضمن تثبيت مركزه ضد أعدائه الذين كانوا يقولون: إنه ذهب إلى باريس ليبيع الوطن»[١].

وما إن جاء الجنرال «ويفاند» إلى سورية عام١٩٢٣ حتى بدأ بتعطيل الصحف وإغلاقها مثل جريدة «المقتبس» و«الرأي العام» و«العهد الجديد» و«الغرباء» و«العالم»، وزج الصحفيين في السجون مما أدى إلى جمود الصحافة بعض الشيء لكن سرعان ما اندلعت الثورة السورية الكبرى بقياداتها من ابراهيم هنانو وصالح العلي وحسن الخراط وصالح قنباز وسلطان باشا الأطرش الذي أصبح القائد الأول عام ١٩٢٥، فتتابعت: «النشرات والبلاغات والإنذارات التي تؤلف كتاباً مسطوراً إلى جانب المعارك»[٢]، وذلك في أربع صحف كانت متبقية على الساحة السورية، وعلى الرغم من ذلك فإن الفرنسيين حاولوا إيقاف الغذاء الفكري للمجاهدين الوطنيين من خلال إغلاق الصحف الأربع فاضطهدوا محرريها حتى ان كثيراً منهم قضى نحبه: «ومنهم من حُكم عليهم بأحكام مختلفة، ومنهم من حُكم عليه بالإعدام، أمثال: «نجيب الريس» صاحب جريدة القبس»[٣].

---

(١) محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ط١، بيروت، دار الكشاف، ١٩٤٨، ج٢، ص١٠.

(٢) مجلة العرفان، دمشق، ١٩٥٢/١١/٣، مج١، ج٣، ص٩٢.

(٣) الدكتور شمس الدين الرفاعي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩.

وفي عام ١٩٢٨ بدأ سيل حقيقي من الصحف والمجلات ينهمر في شوارع العاصمة دمشق فبلغ عددها ثمانية إضافة إلى ما كان موجوداً من قبل،في صحف المحافظات ومنها صحف «الاستقلال» و«المرصاد» و«الخازوق» و«النظام» و«القبس» و«التاج» و«السلام» و«الأهالي» و«الجهاد» و«الأدهمية»، و«أنطاكية» و«الشعب» و«النجاح» و«الفرات».

وتعرّض نشاط الصحافة السورية في عقد الثلاثينيات لمضايقات الفرنسيين وتقلّبات الأوضاع الناجمة عن الأحوال التي كانت سائدة آنذاك وكانت الصحافة في هذه الفترة تشارك في الحملات التي تحذّر من مغبّة التورّط في إبرام معاهدة مع حكومة فرنسا تكبّل البلاد بالأغلال والقيود أمثال «المضحك المبكي» و«الجزيرة» و«الأصداء» و«الأيام»، ولكن كانت «صحيفة القبس الدمشقية أكثر الصحف دفاعاً عن القضية الوطنية ومهاجمة المعاهدة مع الفرنسيين تنشر مقالات حماسية اعتبرتها الحكومة طعناً بها فعطّلها رئيس الدولة إلى أجل غير مسمى»[1].

ولدى تولي هاشم الأتاسي رئاسة الجمهورية سنة ١٩٣٦ وجدت الصحافة نوعاً من الحرية إذ ألغت الحكومة قرارات التعطيل السابقة وأدى تعدّد الأحزاب أيضاً إلى زيادة في توزيع الصحف بمختلف اتجاهاتها وكانت الصحف في هذه الفترة: «تشنّ الحملات على سياسة الوزارة وضعف الوزراء والمسؤولين أمام تصرفات الفرنسيين لسلخ لواء اسكندرون عن الدولة السورية وضمه إلى الدولة التركية»[2]. واستطاعت أن تقوم في فترة ما سمي بالعهد الوطني (١٩٣٦-١٩٣٩) بتحقيق تقدّم محسوس في أحوال البلاد فقامت:

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

«بواجبها في توعية الرأي العام وإفهامه القدر اللازم من الحقوق والواجبات المترتبة عليه إزاء مناورات السلطات الانتدابية»(١).

ثم نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وسورية ماتزال تحت الانتداب الفرنسي، فوجد عملاء فرنسا الفرصة سانحة للإمعان في الاضطهاد والنفي والاعتقال فكانت: «شرطتهم وجنودهم تقرع الأبواب في جنح الليل، تبث الخوف والذعر، كما تصنع الحكومات التي تعارف الناس عليها باسم البوليسية»(٢). ولم يدّخر الفرنسيون جهداً إلاَّ واستغلوه لتشديد الرقابة الصارمة على الصحف المعارضة لسياستهم.

وبناء على رسالة الجنرال «كاترو» في ٢٧ سبتمبر ١٩٤١ تسلّم تاج الدين الحسني رئاسة الجمهورية، فكانت طريقة التنصيب الفرنسية فرصةً للهجوم عليه، وكانت صحيفة «النضال»، من أكثر الصحف: «اشمئزازاً من حكمه، فكانت تهاجمه وتهاجم سياسته فأصدر الحسني قراراً بتعطيلها»(٣).

وليس ثمة شك في أن قراءة متأنيّة لدور الصحافة في ظل الانتداب الفرنسي، تمكننا من القول: إنها استطاعت أن تناقش على الأقل المشكلات الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة آنذاك إضافة إلى تقديمها النصح والمشورة للوطنيين وتحريض الرأي العام على مقاومة الاحتلال مع أن قوات الاحتلال الفرنسية حرّمت عليها الخوض في المسائل السياسية والمسائل التي تتصل بأساليب حكمها في سورية.

---

(١) نجيب الأرمنازي – سورية من الاحتلال حتى الجلاء، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، بدون تاريخ، ص ١١٩.

(٢) الدكتور شمس الدين الرفاعي، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٣) جوزيف الياس، تطور الصحافة السورية في مئة عام، (١٨٦٥-١٩٦٥) ، بيروت، دار النضال، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٨.

١– ٤– الصحافة السورية بعد الاستقلال والجلاء (١٧-٤-١٩٤٦م).

ومع بداية عهد الاستقلال كانت انطلاقة أول حزب قومي عربي هو حزب البعث العربي، إذ برز على مسرح السياسة السورية عام ١٩٤٦، وفي (٣ جويلية/ أيلول) من العام نفسه، أصدر العدد الأول من صحيفته اليومية «البعث» التي كانت تحاول إيصال مبادئ وأفكار الحزب إلى الجماهير لاستقطابها، وكان لكل حزب سياسي صحيفته الخاصة به أو أكثر من صحيفة ناطقة باسمه وكان من أشهر الصحف الحزبية:

١– صحيفة القبس: وهي ناطقة باسم الحزب الوطني المنشق عن الكتلة الوطنية.التي انقسمت الى حزبين هما الشعب والوطني بأهداف متشابهة وقيادات مختلفة.

٢– صحيفة النذير: ناطقة باسم حزب الشعب المنشق عن الكتلة الوطنية أيضاً.

٣– صحيفة المنار: ناطقة باسم تنظيم جماعة الإخوان المسلمين.

٤– صحف البعث والصرخة والجماهير: وهي ناطقة باسم حزب البعث العربي والذي اتّحد مع الحزب العربي الإشتراكي الذي كان يقوده أكرم الحوراني وأصبح اسمه حزب البعث العربي الإشتراكي.

٥– صحيفتا الجيل الجديد والبناء: وهما الصحيفتان الناطقتان باسم الحزب القومي الاجتماعي السوري، الذي كان يرأسه انطون سعادة.

٦ – صحيفة النور: وهي ناطقة باسم الحزب الشيوعي. وكان الأمين العام خالد قوطرش بكداش.

وإلى جانب هذه الصحف صدرت صحف أخرى في دمشق ومختلف المحافظات السورية أهمها: «الفيحاء، وعصا الجنة، والأبناء، والأسبوع، والكفاح الجديد، وألف باء النضال، واللواء، والزمان، واليوم، والتحرير العربي، والريف، والنداء الوطني، والتربية، وصوت التقدم، وطريق الجهاد، والنبال، والهدف،

والتعارف، والفجر، والدفاع والجزيرة والفرات»، إضافة إلى عدد من المجلات الأدبية والسياسية والاقتصادية مثل: الرقيب والدنيا والمضحك والمبكي.اضافة إلى مجلات نقابية وعلمية.

وقد توقفت هذه الصحف مع بداية عهد الجمهورية العربية المتحدة استناداً إلى قانون جديد للصحافة صدر برقم ١٩٥ وتاريخ ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٨، عن رئيس الجمهورية العربية المتحدة يتضمن إمكانية تنازل صاحب أي صحيفة يومية أو دورية تصدر في الإقليم السوري عن امتيازه مقابل تعويض تقدّره لجنة شكّلت لهذا الغرض، وذلك في إطار إعادة تنظيم الحياة السياسية في الإقليم على ضوء الاتفاق الذي تم بين عبد الناصر والمسؤولين السوريين في إلغاء الأحزاب وإقامة تنظيم جماهيري واحد هو الاتحاد القومي عن طريق الانتخاب الشعبي العام..

وبموجب هذا القانون تم التنازل عن امتيازات الصحف والمجلات التالية:

في دمشق: الرأي، الإنشاء، الصرخة، القبس، الشام، الجبل، الجمهور، الحضارة، بردى، ألف باء الوعي العربي، الفيحاء، الشورى، الرقيب، الدنيا، المختار، النقاد، الطليعة، الجامعة، عصا الجنة، الإيمان، صوت التلميذ، نداء العروبة، الجمهور العربي، الأسبوع السياسي، رسالة العمال، الحديث، ..

في حمص: العاصي، السوري الجديد، الفجر، المعركة، النداء، الرائد العربي، الهدى، الينبوع، مساء الخير. وكذلك جميع الصحف الصادرة في حلب واللاذقية.

ثم بعد ٤٨ يوماً من صدور القانون /١٩٥/ صدر القرار رقم ٢١ تاريخ ١٩٥٩/١/١١ فألغى عدداً من الصحف والمجلات لسببين:

١ – لأنها لم تصدر منذ ترخيصها.

٢ – لأنها توقفت قبل صدور هذا القرار.

وهي في دمشق: جريدة الشعب، جريدة النصير، مجلة اليقظة العربية، مجلة الاشتراكية، جريدة البناء، جريدة الوعي، مجلة السنا، جريدة التحرير، مجلة الشؤون الاقتصادية، مجلة لسان الشعب، مجلة البعث، مجلة الاقتصاد العربي، مجلة الإصلاح الاجتماعي، مجلة الطالب العربي، مجلة السينما والفنون، عالم الطب، جريدة البرق.

وفي حلب: جريدة السياسة، مجلة الشهباء.

وفي القامشلي: مجلة صوت الفرات، ومجلة المواقف[1].

١ – ٥ علاقة الصحافة بالأحزاب:

ومن المؤكّد في هذا الجانب وبالاعتماد على معطيات الدراسة التاريخية التي تناولت فترة التكوين القطري لسورية في مرحلة مابعد الاستقلال، أنَّ العلاقة التي نشأت بين الأحزاب والصحافة كانت تتميز بخصائص محدّدة برزت في عدد من الظواهر التي لحظتها تلك الدراسات وفي مقدمة هذه الظواهر:

١ – إن ارتباط الصحف بالأحزاب ظل غير مستقر في فترات طويلة، وذلك أن الصحافة التي تدعم وجود حزب غالباً ما كانت تعتمد على وجود علاقة شخصية بين صاحب الصحيفة وأعضاء الحزب وبقيت صحافة التيارات السياسية عرضة لهذه الظاهرة في أحيان كثيرة، وظلت تمارس هذه الظاهرة وجودها رغم أن تبنّي الأحزاب لبعض الصحف كان كافياً لضمان ولائها لها.

٢ – إن وجود صحافة الأحزاب قد أعطى زخماً إضافياً للأحزاب في سورية لأن هذه الصحافة تمكّنت من إيجاد الأرضية اللازمة لها من جهة، وتوفير مادة دائمة للحديث والتطور، وكانت تتوافق في رؤيتها مع مواقف

---

(١) هاشم عثمان الصحافة السورية ماضيها وحاضرها، ١٩٧٠-١٨٧٧، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧م، ص ٣٥٧=٣٥٩.

الحزب وتطلعاته لذلك جاءت الصحافة السورية في فترات كثيرة مشبعة بالأفكار القومية التي سيطرت على الأحزاب رغم وجود بعض الانتماءات القطرية الضيقة أحياناً.

وتعدّ هذه الظاهرة من أهم الظواهر التي ميّزت الصحافة السورية، إذ كانت الأقطار العربية وضرورات الوحدة العربية تشكل هاجساً دائماً لها، وتمارس التحريض القومي باتجاهات مختلفة وتدفع الجماهير إلى التمسّك بالتوجهات القومية. هذا الوضع كان دافعاً لنجاح بعض التيارات والأحزاب التي تعاملت بمصداقية مع صحافتها وأفكار صحافتها، ومارست العمل بدافع من هذه التوجهات.

٣ – أعطى وجود عناصر مثقّفة ومتنوّرة ومؤمنة بأسس ومبادئ القومية العربية ومتشرّبة حتى أعماقها بضرورة الوحدة العربية في بعض الصحف زخماً فكرياً وتنظيمياً لمتطلبات الوحدة العربية وضرورتها فكانت المقالات التي تتضمنها بعض الصحافة السورية تشكّل إطاراً فكرياً للتعبير عن نظرة وتوجهات الجماهير فيما يخص القضايا العربية وخصوصاً تدعيم نضال الشعب العربي في أقطاره المختلفة ضد المستعمر والمساهمة في توطيد صلات التواصل بين الشعب العربي وتوضيح طرق المساعدة الممكنة، كما ساهمت في مشاركة الجماهير العربية بقضاياها القومية والتحررية على امتداد الوطن العربي.

٤ – رغم الاختلافات التي كانت تميز التيارات السياسية والأحزاب فإن التوافق أو التقارب كان واضحاً في تدعيم فكرة الوحدة العربية رغم اختلاف الأهداف والمصالح من وراء هذا التدعيم والاعتماد على الصحافة بشكل واضح، ساهم في تعزيز الاتجاهات القومية لدى الشعب العربي السوري، وكان لهذه الاتجاهات تأثيرات إيجابية واضحة في تدعيم النضال القومي. وبالتالي المساهمة في تقريب وجهات النظر من هذه القضية، والتي كانت قاعدة انطلاق لبعض الأحزاب لتحقيق جماهيرية واسعة باعتمادها على هذه النقطة لتوضيح اتجاهاتها.

١– ٦– الصحافة في عهد الوحدة (١٩٥٨/٢/٢٢– ١٩٦١/٩/٢٨).

أصبحت الصحافة في عهد الجمهورية العربية المتحدة تخضع مباشرة لإشراف الاتحاد القومي بوصفه التنظيم الشعبي الوحيد أي المؤسسة الحزبية الوحيدة، ونتيجة لهذا فإن توجه هذه الصحافة راح يمثّل سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه جميع القضايا ومنها الثورة الجزائرية.

وبصدور قانون الصحافة رقم ١٩٥ تاريخ ٢٣ /نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٨ الذي نص على إمكانية تنازل أصحاب الصحف السورية عن امتيازات صحفهم مقابل تعويض، فقد تم التنازل عن امتيازات للصحف والمجلات التي أشرنا إليها..

بعد ذلك أصدرت وزارة الثقافة والإرشاد القومي جريدة يومية باسم الوحدة صدر العدد الأول منها في ٩ /مارس/ ١٩٥٩ ثم حولت بعد ذلك إلى مؤسسة تابعة للاتحاد القومي باسم مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والطباعة، وتولى رئاسة تحريرها جلال فاروق الشريف[١]، فأصبحت أولى الصحف التي تصدر في الإقليم السوري شأنها شأن الأهرام في الإقليم المصري.

كما أصدر الدكتور جمال الأتاسي جريدة يومية سياسية باسم الجماهير التزمت بالخط القومي العربي وحدد أول عدد منها في ١٩٥٩/٢/٢٣، كما صدرت في حلب جريدة الحرية، وفي اللاذقية جريدة البلاد وفي حمص جريدة العهد وفي حماة الفداء وفي دير الزور جريدة اليقظة ومجلة صوت الطلبة وفي الجزيرة جريدة الإصلاح.

---

(١) صحافي سوري معروف بمهنته وثقافته الواسعة وإيمانه بالوحدة العربية وكان قد عمل في البداية في صحيفة البعث كما ساهم فيما بعد بتأسيس صحيفتي الثورة وتشرين.

أما الصحف التي استمرت بالصدور ولم يتنازل أصحابها عنها فهي: الأيام، العلم، النصر، صوت العرب، الأخبار، دمشق، المساء، الرأي العام، وكلّها في دمشق. واستمرت في حلب الصحف التالية: برق الشمال، الوطن، التربية، الشباب، آخر دقيقة، الحوادث، الجهاد. وكذلك استمرت في حمص صحيفة الميزان إلى جانب صحيفة العهد التي أسست في عهد الوحدة. أما بالنسبة للمجلات فقد تغير عنوان مجلة الإذاعة السورية إلى اسم جديد (هنا دمشق)، واستمرت مجلة الجندي بالصدور أسبوعياً عن إدارة التوجيه المعنوي في الجيش في حين أصدر مدحت عكاش مجلة أدبية شهرية مستقلة باسم (الثقافة)، وقد صدرت أيضاً مجلات متخصصة شهرية هي: العمران عن وزارة الشؤون البلدية، والقروية، ورسالة العلوم عن الاتحاد العلمي السوري، والمهندس العربي عن رابطة المهندسين السوريين، والمجلة الطبية العربية عن رابطة نقابة أطباء سورية، والنعمة عن البطريركية الأنطاكية الأرثوذكسية، وحضارة الإسلام التي رأس تحريرها الدكتور مصطفى السباعي الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق والمرشد العام للإخوان المسلمين في سورية قبل حل التنظيم مع بداية عهد الوحدة.

وهكذا فقد شهد عهد الوحدة تخفيضاً في عدد الصحف إلى جانب إصدارات جديدة في الوقت نفسه وتأسيس أول مؤسسة صحفية تملكها الدولة في إطار خطة الدولة في توظيف وسائل الإعلام والثقافة لصالح خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة. وهي صحيفة الوحدة التي ترأس تحريرها جلال فاروق الشريف.

إلاَّ أنّ الصحافة لم تتطور من النواحي المهنية سواء في التحرير أو في الإخراج أو حتى في التوزيع خارج سورية، باستثناء جريدة الوحدة التي أصبحت توزع في الإقليم الجنوبي (مصر) مقابل توزيع الصحف المصرية في الإقليم الشمالي (سورية).

١–٧ الصحافة في عهد الانفصال (١٩٦١/٩/٢٨– ١٩٦٣/٣/٧م).

شكّل انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة حالة تحول كبيرة في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فبعد أن كانت سياسة الجمهورية العربية المتحدة تنهج خطاً اشتراكياً يعتمد مركزية العمل السياسي وإلغاء الأحزاب والاعتماد على تنظيم شعبي عام ومنتخب هو الاتحاد القومي، جاء الانفصال ليلغي غالبية القرارات الاشتراكية وليعيد السماح بتشكيل الأحزاب وبالتالي بإعادة إصدار الصحف التي تمثل التيارات والأحزاب السياسية والاجتماعية في سورية. وعلى هذا فقد تابعت عدة صحف طريقها نحو الصدور؛ وأهمها البعث التي كانت قد توقفت في عهد الوحدة مع صحف أخرى أشرنا إليها سابقاً. وكذلك استمرت في الصدور الصحف التالية: الصدى العام والطليعة والمنار واللواء والنور والشام والاشتراكية وصوت الناس والصرخة والفيحاء والنقاد وبردى والشورى والجبل، وكلها في مدينة دمشق واستمرت صدى البلاد في اللاذقية والشهباء في حلب. أما صحيفة الوحدة التي صدرت في عهد الجمهورية العربية المتحدة عن مؤسسة الوحدة فقد حول اسمها إلى الوحدة الكبرى وتولى رئاسة تحريرها د. سامي الدهان بعد إبعاد مؤسسها الأستاذ جلال فاروق الشريف الذي لم يؤيد الانفصال. وقد تباينت مواقف الصحافة من الانفصال بين مؤيد ومعارض.

أما المؤيدون للانفصال فقد غالوا في الهجوم على عهد الوحدة وعلى الرئيس جمال عبد الناصر بالذات، وعلى ما أسموه سيطرة المصريين على سورية. وتجلى ذلك في المؤتمر الذي عقد في لبنان.

وأما المعارضون فقد وجدوا في الانفصال خسارة كبيرة للأمة العربية ولفكرة الوحدة العربية وللنهج الاشتراكي وللأهداف التحررية العربية ولاسيما في فلسطين والدول العربية التي كانت لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار مستشهدين بتأييد إسرائيل والدول العربية الرجعية والتي لها ارتباطات بالاستعمار العربي وابتهاجها بالانفصال.

وبالرغم من أن سلطات الانفصال أعادت العمل بالقانون رقم /٥٣/ لعام ١٩٤٩ المتعلق بقانون المطبوعات مع بعض التعديلات. إلا أن خنق المعارضة بقرار أصدرته في ١٩٦٢/١٠/٩ قضى بإلغاء امتياز جريدة البعث التي كانت تصدر بامتياز باسم صلاح الدين البيطار، والوحدة العربية التي كان امتيازها باسم نزيه الحكيم ورئيس تحريرها الحكم دروزة، وتم تأسيس وزارة سميت وزارة الإعلام مهمتها الإشراف على تنفيذ قانون المطبوعات وتتبع لها هيئة الإذاعة والتلفزيون ومؤسسة الوحدة.

وقد منح وزير الإعلام حق توقيف أي مطبوعة دورية مدة لا تتجاوز عشرة أيام على أن يتم تحريك دعوى الحق العام من قبل النيابة العامة ضد المسؤولين عنها التي لها حق استمرار التوقيف أو إلغائه. كما تم في هذا العهد تنظيم العمل النقابي للصحافة، فصدر مرسوم تشريعي رقم ٦٦ تاريخ ١٩٦٢/١٢/٢٩ تضمن إنشاء:

١ – نقابات صحافة في دمشق وحلب.

٢ – نقابتين للمحررين والمراسلين في دمشق وحلب.

٣ – مجلس مشترك.

وقد تولى كل من الصحفيين نصوح بابيل ووديع صيداوي وعبد القادر قواص ومحمد طلس وعبد السلام الكاملي مهمة تمثيل الصحافة السورية ووضع مشاريع تنظيمها حتى انعقاد المؤتمر العام إلا أن قيام ثورة الثامن من آذار (مارس) ١٩٦٣ أعاق العمل بها حيث وضعت تنظيمات جديدة وفق مفهوم ثورة آذار (مارس) وتوجهاتها في الإشراف على وسائل الإعلام بحيث ألغي ترخيص جميع الصحف عدا ثلاث هي البعث والوحدة العربية وبردى[1].

---

(١) الصحيفة الأولى تمثل حزب البعث والصحيفتان الأخريتان تمثلان تنظيمات وحدوية تقدمية (ناصرية) – المؤلف١.

وقد شهدت الصحافة في عهد الانفصال نمواً كبيراً من حيث العدد إلاَّ أنَّها لم تشهد تطوراً تقنياً أو مهنياً يتعلق بالتحرير أو الدراسات أو اعتماد مراسلين أكفاء خارج سورية، وبقي كل اهتمامها منصباً على تأييد الانفصال والهجوم على عبد الناصر أو المعارضة والمطالبة بإعادة الوحدة أو العمل على إقامة وحدة جديدة بشروط ومواصفات مدروسة تستفيد من التجربة الماضية ولقد كانت جريدة البعث ومقالات صلاح البيطار وميشيل عفلق في مقدمة هذا الاتجاه.

ومع أن عهد الانفصال لم يدم فترة طويلة إذ عاش حوالي سنتين فقط. إلاَّ أنَّ انعكاس هذه الفترة السياسية كان كبيراً على الصحافة السورية إذ عادت جميع الصحف التي تم التنازل عنها في عهد الوحدة إلى الصدور وأعاد قسم كبير من أصحاب الصحف التعويضات التي تقاضوها من الدولة لقاء تنازلهم.

وهكذا فقد شهدت الساحة السورية كثافة وازدحاماً في عدد الصحف، الأمر الذي شكل تنافساً كبيراً على اجتذاب القراء بحيث كان توزيع بعضها يعدّ بالمئات فقط إلا أنها اعتمدت أسلوب الابتزاز السياسي أو الاقتصادي بقصد تأمين موارد لها.

ونستطيع أن نلحظ عدم وجود تطور مهني سواء في التحليل أو الإخراج أو في التوزيع خارج سورية مع استمرار المحافظة على مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر ونقل تبعيتها إلى وزارة الإعلام التي تم تأسيسها في هذه الفترة، أما في موضوع الحريات الصحفية فقد تقلبت أجواؤها وفق التقلبات التي عاشها الانفصال والضياع السياسي الذي أنهته ثورة الثامن من مارس/ آذار١٩٦٣ بحيث كان أول إجراء لها هو إلغاء امتيازات جميع الصحف السورية باستثناء ثلاث صحف هي: البعث، والوحدة العربية وبردى..

كانت هذه نبذة عن تاريخ الصحافة السورية ومن المفيد في هذا المجال أن نستعرض تقنيات الصحافة بصورة عامة..

١ - ٨ – ملاحظات على التطور الفني للصحافة السورية:

* تسمية الصحف وتعريفها:

أول ما يلاحظ في الشكل الفني للصحف هو الأسماء الغريبة لبعضها، مع غلبة أسماء على الصحف في العصر العثماني مستمدة من الأمكنة التي تصدر فيها مثل «سورية، دمشق، الشام، الشهباء». وبعد أن انتشرت الصحف وزادت عدداً، لم يعد بالإمكان تسمية عدة صحف تصدر في مكان واحد باسم واحد، فارتبطت أسماء الصحف بالفكر، وكثرت الأسماء المعنوية مثل «القبس، المقتبس، موارد الحكمة»، وظلت الصحافة الهازلة تحتفظ بأسماء تدل على توجهها مثل «جحا، اسمع واسطّح، وظهرك بالك». ولم تدل أسماء الصحف على توجّهها أو تخصّصها، لأن الصحافة المتخصصة لم تظهر حينذاك، ما عدا الصحافة الهازلة.

ويظهر هذا الأمر في التعريف الذي تقدّم به الصحف نفسها، مثل صحيفة العصر الجديد التي وضعت تعريفا لها بالقول: «جريدة سياسية تجارية علمية صناعية أدبية زراعية»[(١)]. لكنّ الصحيفة لم تلتزم بهذا التعريف، وكانت تتسم بالعفوية والشمول، ووفق ما يصلها من أخبار أو موارد صحفية.

وفي مرحلة الانتداب الفرنسي والاستقلال استمرت التسمية بالمكان، وخاصة المرتبطة بالكيان السوري، وظهرت الأسماء المستمدة من العروبة، وتنوعت الأسماء المعنوية مثل «العمران، التقدم، المختار، الكفاح»، وهذا يعكس التطور الذي أصاب بلاد الشام في مرحلة الاستقلال.

وتخلّص تعريف الصحيفة من التغليط والتناقض، وأصبح يدل على توجه الصحيفة، مثل تعريف جريدة الشام: «جريدة يومية سياسية»..

---

(١) جوزيف الياس، مصدر سابق، ص١٦٩.

* **صدور الصحف:**

كانت الصحف أسبوعية، ولم تكن تنتظم في صدورها، ولذلك كان يخلط بين مفهوم المجلة والصحيفة، فتصدر الدورية بمواصفات المجلة، ويطلق عليها اسم صحيفة. وتأخرت الصحافة اليومية إلى بداية القرن العشرين، وكانت قليلة ونادرة، أولها صحيفة «المقتبس ١٩٠٨»، وإن كانت معظم الصحف تصف نفسها بأنها يومية، وتصدر مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، والسبب في ذلك قلة المواد الصحفية من ناحية، وقلة الإعلانات المتوفرة للصحيفة من ناحية ثانية، والضريبة المفروضة على النسخ التي تباع من ناحية ثالثة فلم تتوفر الإمكانات التي تسمح للصحيفة بانتظام الصدور.

وفي مرحلة الانتداب والاستقلال انتظم صدور الصحف بشكل أفضل، وكانت يومية في معظمها وظلّت الصحف الأسبوعية تصدر بشكل أكثر انتظاما. ومنذ مطلع الثلاثينيات أخذ مفهوم الصحف يتبلور، ومعانيها تتحدد فصارت الأسبوعية تصدر وفق إخراج المجلات، متميزة عن الصحافة اليومية.

* **لغة الصحف:**

صدرت معظم الصحف في العصر العثماني باللغتين العربية والتركية، ثم خلصت أكثر صحف بلاد الشام للغة العربية، مع استمرار بعضها باللغتين، وجه الصفحة الأولى بلغة ووجهها الثاني بلغة أخرى، تكرر المواد الصحفية نفسها، وبالترتيب ذاته، وكان نشر الصحف بالعربية والتركية في مصلحتها، لأنه يوفر لها قراء من العرب والأتراك.

وفي وقت متأخر صدرت صحف بالعربية والفرنسية، وصدرت صحف محدودة باللغة الأرمنية، ولكن ظلت العربية والتركية هي الغالبة على الصحف في ذلك العصر. أما في المرحلة اللاحقة، فأصبحت لغة الصحافة هي اللغة العربية إلى جانب بعض الصحف التي صدرت بلغة أجنبية مثل الفرنسية

والأرمنية لوجود عدد كبير من الجالية الأرمنية وجدوا في سورية ملاذا ملائما وترحيبا بهم كعادة السوريين في استقبال اللاجئين والمهاجرين اليها من مختلف البلدان والأعراق.

*** مواصفات الصحف الفنية:**

بدأت الصحف في بلاد الشام بسيطة في إخراجها، وطباعتها، وكان ورقها سيئاً، رقيقاً أسمراً، خشن الملمس، تطبع بآلات بدائية وحروف دقيقة وحبر سيءٍ يسهل محوه، وتحشى السطور حشواً من غير ترتيب حسن.

وغلب القياس المتوسط على تلك الصحف، مع ظهور بعض الصحف بالقطع الكبير المعروف ، ولم يزد عدد الأعمدة فيها على أربعة إلاَّ نادراً.

ومع تقدّم الزمن أخذت الصحف تمتلك إمكانات مادية جيدة، فتحسّن نوع ورقها، وتقدّمت طريقة طباعتها وإخراجها، وثبتتْ معظم الصحف على الصدور في أربع صفحات متوسطة، ثم صدرت بعض الصحف في ثماني صفحات، بفضل المطابع الحديثة التي دخلت عالم الصحافة، وازداد الاهتمام بالإخراج وتوزيع المواد الصحفية، فصار لها أبواب ثابتة وزوايا معروفة، واقتربت من صورة الصحف المعروفة في هذه الأيام.

وقد توزعت المواد الصحفية حسب أهميتها، فالصفحة الأولى تخصص للأخبار الرسمية وبلاغات الدولة، وتأتي بعد ذلك الأخبار العامة في الصفحة الثانية، تتلوها الإعلانات.

وفي مرحلة لاحقة اختلف هذا التوزيع، فظهرت الافتتاحيات والمقالات التي تصدّرت الصفحة الأولى، وتأخّرت الأخبار إلى الصفحة الثانية والثالثة. وشيئاً فشيئاً ظهر التخصّص في الصحف، وظهرت الزوايا الثابتة، وأصبح لبعض الصحف توزيع ثابت لموادّها الصحفية.

ولم تعرف الصحف آنذاك «المانشيت» لأن الحروف الكبيرة لم تكن متوفرة، فلم تبرز أهمية الموضوع من إخراجه وموقعه، وإن كان يوضع أحياناً إطار وزخارف للعنوان للدلالة على أهميته ولذلك لا تعرف أهمية الموضوع إلا بعد قراءته. وافتقرت الصحافة في العصر العثماني إلى الرسم والتصوير، وعرفت بعض الصحف الهزلية رسوماً خطية بدائية، لكنها لم تصل إلى أن تكون صحافة مصورة.

وفي مرحلة الانتداب والاستقلال ظهر «المانشيت» الذي يوضّح أهمية المادة الصحفية ويشير إلى مضمونها. وتطوّرت الافتتاحيات، وظهرت التحقيقات الصحفية، وتنوّع مضمون الصحيفة، فخصّصت أقسام للرياضة والفن والاجتماع، وانتشرت طريقة التتمات في الصفحات الداخلية والأخيرة.

كذلك عرفت الصحف الصورة باللونين الأبيض والأسود، وصارت ترافق الأخبار والتحقيقات. و تبارت الصحف في الإخراج و إتقانه، وهو ما أوضحه الصحفي الحلبي «شكري كنيدر» بقوله: «إنَّ عهد مابعد الحرب العالمية كان عهد رخاء ويسر للصحافة السورية، وقد ظهر الرقي فيها واضحاً، سواء أكان في كبر أحجامها أو إتقان طبعها أو حسن ترتيبها وتبويبها وتمثيلها، أو في غزارة موادها»[١].

وكان عدد النسخ قليلاً لقلة القراء ولضعف إمكانية الطباعة، ولم تتجاوز معظم الصحف (٥٠٠) نسخة، ونادراً ما كانت تصل الصحف الكبرى إلى (١٠٠٠) أو (١٥٠٠) نسخة. فانتشار الصحف كان محدوداً، ومدة صدور الصحيفة كانت قصيرة، وخاصة الصحف التي لا تصدرها الدولة أو لا توالي الحكومة «لأن القائمين بها استندوا على معارفهم وكفاءاتهم، ولم يكونوا يعرفون

---

(١) مجلة الحديث، الصحافة السورية في مختلف العهود، دمشق، جانفي، ١٩٥٢، ص١٥.

طرق جلب المال، ولم تعضدهم في أعمالهم جمعيات ومجاميع علمية، ولا التفتت إلى أعمالهم الحكومات»[١].

فالصحافة السورية في العصر العثماني تعرضت لأزمات كثيرة، تمثلت في قلة القراء لتفشي الأمية والجهل، وفي قلة الموارد المالية، وفي اضطهاد الدولة للصحفيين، وكان معظم الصحفيين من الهواة إضافة إلى صعوبة انتقال الصحيفة من المدينة التي تصدر فيها إلى مدن أخرى.

وعانت الصحف في عهد الانتداب من الاضطهاد والتعطيل، لذلك كان انتشارها قليلاً ولكن ارتفع عدد النسخ المطبوعة، فوصل إلى (١٥٠٠) نسخة وسطية، وتطور في الثلاثينيات إلى (٣٠٠٠) نسخة، ووصلت بعض الصحف إلى (٨٠٠٠) نسخة، وفي عهد الوحدة وصل توزيع بعض الصحف إلى (١٨.٠٠٠) نسخة، وبعد وصول حزب البعث الى الحكم في آذار_ مارس ١٩٦٣م تجاوز توزيع جريدة البعث ٣٠.٠٠٠) نسخة.

*** أساليب الصحف:**

مالت لغة الصحافة في العصر العثماني إلى الركاكة والعامية، وكثرت فيها الألفاظ التركية حتى ليصعب التمييز بين عربية النص وتركيته، وتفشّت الأخطاء اللغوية والإملائية، وتحوّلت الأساليب إلى هياكل هزيلة، وخاصة في الصحف التي يحررها الأتراك، وينقلون ما يكتبونه بالتركية إلى العربية وهو ما قال عنه محمد كرد علي: «لأن الأولى لغة البلاد والثانية لغة الحكومة، والعربية منقولة عن التركية بالحرف، ولكنه نقلٌ لا تقدر أن تقول عنه عربياً ولا مولّداً، وأحرى به أن يكون لغة خاصة، يكاد لا

---

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٤٩، ج٤، ص٨٩.

يفهمها إلاَّ قلائل ممن ألفوها أو ممن يعرفون التركية، فإذا عسر عليهم فهم عبارة قلبوا الوجه التركي من الجريدة، فقرأوا الأصل لينحلّ معهم الإشكال»[١].

وانتشرت في الصحافة آنذاك العبارات الجاهزة، وخاصة عبارات التضخيم والتبجيل والألقاب التركية، والأدعية للسلطان والباب العالي والوالي، وهي عبارات ركيكة مترجمة حرفياً من التركية.

أما في مرحلة الانتداب الفرنسي والاستقلال، فإن الأسلوب الصحفي أخذ يتخلّص من الضعف والركاكة والسجع، يرتقي مع الزمن ليتقرب من التعبير الحر ومن تلبية متطلبات العمل الصحفي، وشارك في العمل الصحفي كُتّاب امتلكوا ناصية أسلوب العربية، وأدباء كبار وجدوا في الصحافة ساحةً لممارسة نشاطهم الأدبي، حتى غدت الصحافة منبراً للأدب والثقافة، واستطاعت الصحافة أن تشكّل لغتها الخاصة المبتعدة عن الضعف والعامية، وعن الحذلقة اللغوية، مع احتفاظها بالسلامة والوضوح ليفهمها أكبر عدد من القراء. وهذا ما دفع الأمير شكيب أرسلان إلى القول: «إنَّ الكتابة لم تتقدم في فصاحة الجمل، وتنقيح العبارات فحسب، بل علت بأسلوبها الحكيم وتشبعت بالمعاني التي أوجدتها حركة العلم الحديث، فتبدّلت الصناعة اللفظية والسجع القديم بالمسحة العلمية والإنشاء المرُسل»[٢] .

وهكذا تطورت الصحافة السورية من شكلها البدائي في كل جوانب العملية الصحفية إلى أن لحقت بالصحافة المتطورة في الشكل والمضمون.

---

(١) صحيفة المقتبس، دمشق، ١٩٤٧، مج٥، العدد ١٩.

(٢) جوزيف الياس، مصدر سابق، ص٣٦٤.

الفصل الثاني

سورية وانطلاقة الثورة الجزائرية

نتناول في هذا الفصل:

أ – اندلاع الثورة الجزائرية وانتشارها..

ب– سورية وانطلاقة الثورة الجزائرية.

اندلاع الثورة الجزائرية وانتشارها..

لم يعرف التاريخ الحديث مأساة استعمارية بغيضة مثل مأساة الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٩٣٠م، فقد تجلَّى الاستعمار البغيض بأبشع معانيه، وانضوت سياسته وفلسفته في أقبح صورها وأشكالها، فلم يكتف باستغلال الأرض، ما فوقها وما تحتها، واستعباد الإنسان الجزائري، وتسخيره في شتى الميادين، ولكنه تعدّى ذلك إلى تشويه التاريخ وإفراغه من الحقائق وذلك ليتمكّن في المرحلة الأولى من فصل المجتمع الجزائري عن قاعدته المتينة التي يرتكز عليها، والمتمثلة في ثقافته الوطنية وما تحمله من ثروات روحية عارمة، ليتوصل في مرحلة ثانية إلى فرض هيمنته الثقافية، والتي من عناصرها الأولى الاندماج المزيّف والمسح والتذويب، بغية طمس المعالم القومية والثقافية والروحية للجزائر، ومحو الشخصية الوطنية للجزائريين..

وهكذا راح الاستعمار الفرنسي يجرّد تاريخ الجزائر من أبطاله، ومن مآثره النبيلة الخالدة ويمحو ما كان حافلاً به من بطولات، ومكارم الأخلاق،

وإسهامات حضارية ومواقف إنسانية تشهد كلها على العزّة والقدرة الفائقة على الأخذ والعطاء اللذين هما مقياس البقاء والخلود..

لقد كانت الجزائر حسب منطق الاستعمار، جزءاً لا يتجزأ من الوطن الفرنسي، وكان سكانها فرنسيون اسماً، ولكنهم في الواقع عبيد للمستعمرين أو عملاء لهم في أحسن الحالات. وعمل مؤرخو الاستعمار على إيهام الرأي العام العالمي بأن الجزائر لم تكن دولة في يوم من الأيام بل هي بلاد تسكنها مجموعة من القبائل متنافرة متناحرة فيما بينها. تعرّضت منذ نشأة التاريخ إلى العديد من السيطرة الأجنبية[١].

بدأت المقاومة الوطنية الجزائرية للاستعمار الفرنسي منذ دخول قوات الاحتلال الأرض الجزائرية، وواجه تصدياً عنيفاً من الشعب الجزائري، ولم يتم له الاحتلال بسهولة، ولم تتم سيطرته على الأرض الجزائرية إلا بعد وقت طويل، وتكبّدِ خسائر فادحة. ولقد كانت قناعة الجزائريين بأن الغزو الفرنسي مفروض عليهم، ومصيره إلى الزوال عندما يحين الأوان، لأن حكم المسلمين من قبل الكفار غير مقبول، ولا يمكن أن يرضى به أي مسلم، خاصة إذا كان الأمر يتعلق «بدار الجهاد ذاتها»[٢]، لأجل ذلك قامت الثورات المتعددة في مختلف أنحاء البلاد، وكانت جميعها تنطلق من المساجد أو من مقر الزوايا المنتشرة عبر سائر جهات الوطن[٣]. والتي ينتمي اليها غالبية القادة والزعماء الجزائريين أمثال الأمير عبد القادر وأولاد سيدي الشيخ والشيخ الحداد وسيدي بو عمامة وغيرهم.

---

(١) محمد عربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٢٣.

(٢) هو الاسم الذي كان يطلق على الجزائر لتزعمها حركة الجهاد البحري ضد الأوروبيين ولصالح الأندلسيين خاصة.

(٣) مجلة محمد عربي الزبيري – مصدر سابق، ص ٢٥.

ويمكن إجمال الوجود الطويل للاستعمار الفرنسي في الجزائر في أربع مراحل:

المرحلة الأولى: امتدت مابين عامي (١٨٣٠ – ١٨٧١)، وفيها شنّت فرنسا حرباً شاملة ضد الشعب الجزائري كله، واتبعت سياسة الأرض المحروقة، وقابلها الشعب الجزائري بمقاومة مسلّحة أهمّ تجلياتها الثورة التي قادها الأمير عبد القادر الجزائري، والتي حقّقت انتصارات كبيرة، اعترف الفرنسيون للأمير بعدها بحكم غربي الجزائر، ونقضوا اتفاقهم معه، وقاتلوه حتى استسلم، ونقل إلى فرنسا، ثم تركيا، ومن ثم وجد بدمشق الشام مستقراً طيّبا مع أهلها الذين رحّبوا به زعيما وبطلا وداعية(١). واستقر في دمشق حتى وفاته.

المرحلة الثانية: امتدّت حتى نهاية عام ١٩١٨، سيطرت فيها فرنسا على الموقف، وعملت على ابتلاع الجزائر وضمه إلى فرنسا عن طريق القضاء على الشخصية الجزائرية، وقد واجه الشعب الجزائري هذه السياسة بأشكال مختلفة، منها الثورة المسلحة مثل ثورة أولاد سيدي الشيخ (١٨٨١) في جنوب وهران، والتي قدّمت أمثولة بطولية بالجهاد من أجل الحرية والمحافظة على الشخصية الوطنية.

المرحلة الثالثة: امتدت مابين (١٩١٩- ١٩٥٤)، وفيها تابعت فرنسا سياستها المعهودة، ونشطت المقاومة السياسية المنظمة لتعيد الأمل بالحرية، فقاد الأمير **خالد الجزائري** جانباً من حركة المطالبة بالحرية حتى نفيه، ورفع حزب شمال إفريقيا الذي تأسس عام ١٩٢٤ شعار الاستقلال وطالبت اتحادية المنتخبين الجزائريين بالحقوق المدنية والإنسانية للجزائريين، وبعد انحلال حزب نجم شمال إفريقيا، تأسس على إثره حزب الشعب الجزائري الذي نادى بالاستقلال، وتأسست جمعية العلماء المسلمين التي عملت للحفاظ على

---

(١) مجلة الذاكرة، السنة الأولى، العدد الأول، الجزائر ١٩٩٤، ص ٧٩.

الشخصية القومية الجزائرية. وخلال شهر فيفري/ شباط من عام ١٩٤٥، ألصق منشور على الجدران في مدن الجزائر جاء فيه:

«أيها الأخوة المسلمون إن حياة بلادكم في خطر فالاستعمار قد خرّبها مادياً ومعنوياً. إن الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي. فاللغة العربية مضطهدة منذ الاحتلال، والإسلام أصبح محل سخرية. إن كرامتنا لا يضمن لها الاحترام إلا في إطار كيان جزائري وحكومة جزائرية تقوم على سيادة الشعب الجزائرية وترفض أي سيادة أجنبية. ومن أجل هذا الهدف مات أخوتكم في الزنازن وهم يعانون في السجون والمحتشدات، ومنهم من يناضل بحماس في إطار الشرعية أو الخفاء»(١).

ومن أهم معالم هذه المرحلة مذبحة ٨ ماي_ أيّار ١٩٤٥، التي اشتركت فيها قوات الاحتلال الفرنسي والمستوطنون الفرنسيون، عندما تصدّوا لمظاهرة شعبية تطالب بحق تقرير المصير، ذهب ضحيتها ٤٥ ألف شهيد، الأمر الذي شكّل فاجعة مأساوية كبيرة وسجلاً حافلاً بالشهادة من أجل الحرية.

المرحلة المربعة:

هي مرحلة الثورة الجزائرية الشاملة التي انطلقت في الأول من نوفمبر_ تشرين الثاني عام ١٩٥٤ بعد إعلان ميلاد جبهة التحرير الوطني الجزائري.

٢–١–الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي قبل اندلاع ثورة نوفمبر:

شرع الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال في امتصاص خيرات الجزائر بكل الطرق والأساليب دون استثناء. وعندما احتفل المستعمرون بمرور قرن من الزمن على غزوهم برزت الحقائق المريرة «وهي أن الجزائر التي كانت تصدّر القمح والشعير قد أصبحت سنة ١٩٣٠، مضطرة لاستيراد المواد

---

(١) مجلة أول نوفمبر، تعقيب لخضر بن طوبال، العدد ٥٥، الجزائر، ١٩٨٢، ص ٥٥.

الغذائية الضرورية لحاجات سكانها من البشر ومن الحيوانات الأهلية، وكان الفائض يصدّر إلى جنوب فرنسا وإيطاليا لإنقاذ الأهالي هناك من المجاعة القاتلة»[١]..

والسبب فيما كانت تعاني منه الجزائر من نقص المواد الغذائية هو أن المستعمرين الفرنسيين وجّهوا ضربة للزراعة الجزائرية إذ خصّصوا حوالي نصف مليون هكتار من أجود الأراضي لغرس الكروم المنتجة لعنب الخمور، «والجزائريون قوم مسلمون لا يستهلكون المشروبات الكحولية. وهكذا تم القضاء على زراعة الأرز في ضواحي معسكر، لتوسيع مساحات زراعة الكروم، وكذلك الأمر في شمال شرقي الجزائر حيث أهملت زراعة القمح، وسائر أنواع الحبوب الغذائية لفائدة زراعة الكروم كما أهملت الزراعة تماماً في الجنوب حيث تتكاثر المياه الجوفية، مما جعل الجزائر تتحول من بلد مصدّر للحبوب إلى بلد يمدّ يده ليحصل على قوت أبنائه»[٢].

وعلى هذا الأساس وجدت الزراعة الجزائرية نفسها في حالة من التقهقر المخيف بعد إبعاد الفلاحين الجزائريين عن التسيير في مجال الزراعة، لتحويل معظمهم إلى السخرة لخدمة المستغلّين الأوربيين من جهة ولتزويد الفلاّحين الفرنسيين بما يحتاجون إليه لتحسين منتجاتهم، وتنمية طاقاتهم الإنتاجية، في حين كان سكان الريف من الجزائريين، وهم الأغلبية، يعيشون على الخبز والماء، ولا يجدون ما يسترون به أنفسهم من ثياب، إلا البالية.

ومع القضاء على الزراعة الجزائرية تم القضاء على الصناعة التقليدية أيضاً، وانتهت أعمال الورشات البحرية الخاصة بصناعة السفن، كما انتهت صناعة الذخيرة، وهاتان الصناعتان كانتا من الصناعات الأساسية في الجزائر..

---

(١) محمد العربي الزبيري – مصدر سابق – ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١.

أما في المجال الثقافي فإنَّ الثورة قد اندلعت عندما كان الاستعمار قد أنهى إلى حدٍّ بعيد مهمته الأساسية الخاصة بالمسخ والتشويه والتجهيل. فالإسلام أصبح عبارة عن مجموعة من العبادات الممزوجة بالدروشة، على أرضية من الخرافات والاستبداد والتدجيل، وحاربت مخططات الاستعمار الفرنسي إلى حدٍّ المحو العادات والتقاليد السليمة و الإيجابية، لتترك المكان إلى أنماط من الحياة غريبة على المجتمع تحمل في طياتها الكثير من التوجّه نحو تدمير الشخصية الوطنية. فقد غرست الأمية جذورها عميقة في أوساط الجماهير الجزائرية، ووجهت ضربات متتالية للغة العربية، فحُرِّم تعليمها وطُردَ متعلموها بدعوى أنهم يناهضون الحضارة الغربية. وبالحجج نفسها والغرض نفسه هُدمت المساجد التي كان يتم فيها التعليم، وأغلقت الزوايا التي كانت عبارة عن مدارس عليا. ونتيجة لهذا «وصل عدد المتعلمين الجزائريين إلى أدنى مستوى لم يتجاوز ١٠% من الشعب الجزائري قبل اندلاع الثورة»[١].

ولم يكن الوضع أفضل بالنسبة للخدمات الطبية والمنشآت الصحية. لذلك اندلعت الثورة الجزائرية والغالبية الساحقة من الجزائريين لم تعرف الطبيب ولا المستشفى، أو المستوصف، ولم تحصل حتى على الدواء، وكانت الأعشاب هي الدواء الوحيد، وكان العلاج يتم بالطرق التقليدية المختلفة.

٢- ٢- السياسة الوطنية في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر:

تتفق آراء الباحثين الجزائريين على أن الحركة الوطنية كانت مصدر الشرارة الأولى للثورة، وكانت هذه الحركة تتمثل بداية في نشاطات حزب نجم شمال إفريقيا الذي غيّر اسمه إلى حزب (إفريقية الشمالية الجديد) ثم إلى (الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا) في فيفري/ شباط ١٩٣٥ وفي شهر جانفي/ كانون الثاني ١٩٣٧ جرى حلّ الحزب وتكون إثره حزب الشعب

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦.

الجزائري وقد صدر قرار بحلّ الحزب ومنع جريدته «الأمة» من الصدور في سبتمبر /أيلول ١٩٣٩. «غير أن الحزب واصل نشاطه السري إلى أن أعلن نفسه من جديد تحت اسم (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) سنة ١٩٤٦، أما أهداف الحزب فكانت تحقيق الاستقلال بالوسائل الثورية وإنشاء حكومة وطنية وبرلمان، واحترام الأمة الجزائرية، واللغة العربية والإسلام»(١).

أما **فيدرالية المسلمين الجزائريين** فكانت تنادي بالتعاون والمساواة مع الفرنسيين، ويتشكّل أعضاؤها من أفراد يعملون في الغالب ضمن الإدارة الفرنسية، ومن مطلبها: «دمج الجزائريين بفرنسا عن طريق التجنيس الجماعي، بدون المساس بالدين والأحوال الشخصية وتعميم اللغة الفرنسية في الأوساط الجزائرية»(٢).

غير أن الدكتور محمد العربي الزبيري يوضح أن الأرضية التي اندلعت منها الثورة قد تكوّنت بفعل تضافر جهود وطنية كانت تتمّ في إطارات مختلفة ومتناقضة في غالب الأحيان، «إذ كان لجمعية العلماء المسلمين دور حاسم في الحفاظ على مقوّمات الشخصية الجزائرية التي عمل الاستعمار جاهداً على تقويضها والقضاء عليها»(٣). وأنها دافعت عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن واحد.

وفي الاتجاه نفسه بشأن الموقف من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يتّفق الباحث أزغيدي محمد الحسن في الرأي مع الباحث الزبيري، مؤكّداً الحقائق التي بيّنها ، وهي أن جمعية العلماء المسلمين كانت تدافع بكل ما تملك

---

(١) أزغيدي ، محمد الحسن، مؤتمر الصومال وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية ١٩٥٦- ١٩٦٢ ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٦٩، ص ١٤-١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣) محمد العربي الزبيري، مصدر سابق، ص٥٦-٥٧.

من وسائل وإمكانات عن مقوّمات الشخصية الوطنية، وتعمل على بعث القيم الاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري، ومكافحة الأمية، ونشر العلم باللغة العربية بين صفوف المواطنين الجزائريين، إضافة إلى العودة للسلفية، والاتجاه إلى نبذ الخرافات ومحاربة البدع التي شوّهت أفكار بعض الفئات من الشعب الجزائري. وقد «عملت جمعية العلماء المسلمين بكل قواها على بلورة الشخصية الجزائرية وبعث الروح الوطنية في نفوس الشعب»[١] .

ولعل أهم الأسباب التي ساعدت على اندلاع الثورة الجزائرية كان أزمة الحركة الوطنية لأنها تفجّرت نتيجة اصطدام جيلين، الجيل القديم الذي أَلِفَ الحياة السياسية وما تتميز به من صراعات انتخابية حول عدد ضئيل من المقاعد في سائر المستويات، وجيل الثورة الذي يدعو إلى استخدام الكفاح المسلح، إيماناً منه بأن ذلك هو السبيل الوحيد للتخلص من السيطرة الأجنبية. ومن الواضح أن هذا الاصطدام في المفاهيم هو الذي أدّى إلى خلق المنظمة الخاصة، ثم اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التي انبثقت عنها جبهة التحرير الوطني.

٢-٣– بيان أول نوفمبر ١٩٥٤:

صدر البيان في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة أول نوفمبر_ تشرين الثاني ١٩٥٤ محدّداً بصرامة أن مرحلة النضال السياسي الذي تبنته الأحزاب الوطنية قد انتهت وتجاوزتها الأحداث. ذلك يعني أن أزمة الحركة الوطنية يجب أن تخرج من مأزقها وأنه يجب الخروج من دائرة الصراع الشخصي بين قادة الأحزاب، إلى المعركة الحقيقية ضد المستعمر، لأنه العدو الحقيقي، وفي ذلك نقلة نوعية كبيرة في وجهة النضال ضد المستعمرين. وكذلك أوضح البيان أن جبهة التحرير الوطني هي اسم الحركة التي ستقود الشعب بمختلف انتماءاته

---

(١) أزغيدي محمد لحسن، مصدر سابق، ص١٥.

إلى الكفاح المسلح في سبيل الاستقلال التام. وعلى هذا الأساس دعا البيان كلّ الشعب الجزائري إلى الانضمام إلى جبهة التحرير تاركاً له الحكم عليها، أي أن مصير الجبهة هو في يد الشعب الجزائري وحده.

«أيها الشعب الجزائري

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا، نعني الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة»[١]..

وقد حدّد البيان أن الهدف من الكفاح المسلح هو أيضاً تدويل القضية الجزائرية ووحدة شمال إفريقيا في إطارها العربي الإسلامي، وهذا ما يؤكد تمسك الجبهة بالثوابت القومية العربية وكذلك بالثوابت الإسلامية.

أما المفاوضات مع المستعمر فلا تكون إلاَّ بالاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ. وممّا جاء في البيان:

«إننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متّحد حول قضية الاستقلال والعمل أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا ستجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين»[٢] .

إن صيغة الإخاء هذه في البيان تؤكد مرة أخرى أن جبهة التحرير تعدّ الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية وكذلك من الأمة الإسلامية، وهي ستنطلق في كفاحها من مدلول هذا الاعتبار.

أما فيما يتعلق بموقع جبهة التحرير من المجتمع الجزائري فقد حدّد البيان أن الجبهة مستقلة عن الأطراف المتنازعة، وأنها حركة تجديدية ثورية، جاء في البيان هذا التوضيح:

---

(١) انظر الملحق ، نص بيان أول نوفمبر.

(٢) انظر بيان أول نوفمبر في الملحق.

«إننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان على السلطة. إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمفاوضات لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجّهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية أن يمنح أدنى حرية... وهكذا نستخلص من جميع التنازلات المحتملة وننتج الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر»(١) .

أما أهداف الجبهة فقد حددها البيان كما يلي:

أولاً: إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية. وفي هذا النص تأكيد واضح على التمسك بثوابت الإسلام وعدم التخلي عنه حتى في حالة قيام الدولة المستقلة.

ثانياً: احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني، وهذا يعني أن الجبهة بعيدة كل البعد عن الفوقية العنصرية وعن معاداة الأديان الأخرى، رغم اضطهاد المستعمرين الفرنسيين للجزائريين على أساس عنصري قومي، وكذلك على أساس العقيدة الدينية. وهناك أهداف داخلية أخرى غايتها التطهير السياسي، والقضاء على مخلفات الفساد وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

وفيما يتعلق بالأهداف الخارجية فقد أشرنا إلى أن الجبهة تطرح في البيان تدويل القضية الجزائرية وكذلك وحدة شمال أفريقيا في إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

---

(١) بيان أول نوفمبر.

٢-٤ انفجار الثورة:

أحدث انفجار الثورة الرعب في نفوس المستعمرين ولم يكن في جبهة واحدة دون الأخرى من التراب الجزائري. لقد انفجرت في كل المناطق وفي التوقيت نفسه. في منطقة الأوراس وفي منطقة الشمال القسنطيني، وفي منطقة القبائل وفي منطقة الجزائر ووهران.

استطاعت الثورة أن تباغت قوات الاحتلال الفرنسي، وأن تشكّل جهازها السياسي القادر على قيادة الثورة وإيصال صوتها إلى الجماهير الجزائرية والعالم كله(١). وقد اتبعت الثورة أسلوب حرب العصابات الحديث، فحرموا قوات الاحتلال الراحة والأمان، وعطّلوا المرافق الفرنسية وكانوا يختارون زمان المعركة ومكانها، وخاصة في الجبال والأدغال، ولم يمكّنوا القوات الفرنسية من استدراجهم إلى مواجهة غير متكافئة مع نصف مليون جندي مسلحين بأحدث الأسلحة وأفتكها.

«وعلى الرغم من اتباع فرنسا أبشع أساليب القتل والتعذيب والإرهاب والاضطهاد، فإن الثورة الجزائرية أحرزت انتصارات كبيرة بفضل التلاحم الذي جسّدته الثورة بين جميع فئات الشعب، فقد تمكّنت جبهة التحرير الوطني من خلق مجتمع جزائري جديد، يستمدّ مقوّماته من الخصائص والسمات الأصيلة للأمة العربية الإسلامية»(٢).

واستطاعت الثورة الجزائرية تحرير الشعب الجزائري من الخوف وأعادت إليه الثقة بالنفس وحطّمت أسطورة الجزائر الفرنسية، وأخذت مكانها اللائق بين ثورات العالم.

---

(١) مجلة الذاكرة، العدد الأول، ١٩٩٤، ص ٧.

(٢) أحسن بو مالي، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (١٩٥٤ – ١٩٥٦)، ص ١١٩- ١١٤.

وأصبحت الثورة الجزائرية ثورة منظمة وقوية، مستندة إلى القدرات التي لا تحدّ للشعب الجزائري، وإلى دعم قوى التحرر العالمية، وشكّلت هزة عنيفة وصيحة مدوية للحرية والاستقلال، هزّت أعماق شعوب القارات الثلاث، وأيقظت ضمائرها الحيّة وأعادت إليها الثقة بنفسها وقدراتها وجعلتها تهبّ لتأخذ مصيرها بين يديها.

ووسّعت الثورة أعمالها في عيدها الأول عام ١٩٥٥ بفتح جبهة جديدة غربي الجزائر. وفي عام ١٩٥٦ عقد مؤتمر الصومام الذي قرّر إنشاء المجلس الوطني لقيادة الثورة، وهو أعلى سلطة ترسم سياسة جبهة التحرير، وتم تشكيل لجنة تنسيق وتنفيذ، تُعدُّ مجلس أركان حرب الثورة وإلى جانب الجيش النظامي للثورة تشكّلت قوات الفدائيين والأنصار الذين يقومون بأعمال النسف والتخريب داخل خطوط العدو، وتصفية أعداء الثورة من الخونة، وامتدت أعمالهم إلى داخل فرنسا فنسفوا خزانات البترول.

وكان للثورة شبكة دقيقة ومنظمة من المخابرات العسكرية، وشاركت المرأة الجزائرية في الثورة مشاركة فعالة، واكتسبت الثورة ثقة الشعب الجزائري، فالتف حولها لتحقيق الاستقلال، وقدّم أكثر من مليون ونصف مليون شهيد في سبيل الحرية.

«لقد أوجدت الثورة أزمة كادت تعصف بكيان فرنسا ففقدت الاستقرار السياسي وسقطت الحكومة بعد الحكومة، ووصلت خزينتها إلى حافّة الإفلاس، وأوجدت لدى الفرنسيين حالة من التناقض النفسي بين المبادئ التي ينادون بها، ويقدّمونها إلى العالم، وبين الممارسات الوحشية لقوات احتلالهم في الجزائر، وخاصة بعد الهزائم الكبيرة التي ألحقتها الثورة الجزائرية بقوة فرنسا وجبروتها»[١] .

---

(١) د. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، ١٩٩٤، ص ٨٢.

أعلنت فرنسا التعبئة للمستوطنين الذين شكّلوا التنظيمات العامة لمواجهة الثورة، وحشدت أكثر المستوطنين الذين شكّلوا تنظيمات مسلحة أربت على (٢٠٠ ألف مسلح)، واتّبعت سياسة إبادة السكان وتشريدهم، واستخدمت أبشع أساليب الإجرام والتعذيب والإرهاب المحرّمة دولياً.

وحاولت فرنسا عزل الجزائر عن البلاد العربية الشقيقة والمجاورة لمنع وصول المساعدات وحالت دون تدويل القضية الجزائرية، ومنعت عرضها على الأمم المتحدة، مدعية أنها قضية داخلية تخصّ فرنسا وحدها، واستخدمت أسلحة حلف شمال الأطلسي للقضاء على الثورة الجزائرية وأخفقت في كل مساعيها هذه.

وبعد إخفاق خطة ديغول للقضاء على الثورة الجزائرية، ونجاح الجهود العربية بعرض القضية الجزائرية على الأمم المتحدة دخل الرئيس الفرنسي في مفاوضات مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، انتهت عام ١٩٦٢ باتفاقية (إيفيان) في سويسرا التي قضت بإيقاف إطلاق النار، والاعتراف بوحدة الأرض الجزائرية ومبدأ الاستقلال، وتنظيم العلاقة بين فرنسا والجزائر.

وهكذا انتصرت الثورة الجزائرية، وحققت أهدافها التي انطلقت من أجلها...

٢– ٥ سورية وانطلاقة الثورة الجزائرية:

من المفيد في البداية تقديم لمحة عن العلاقات بين سورية والجزائر، وإجمال وقائع الثورة الجزائرية لوضع منطلق للبحث يفهم في ضوئه واقع التغطية الإعلامية للثورة الجزائرية.

العلاقات التاريخية:

إن الفكر القومي العربي فكر راسخ في سورية، وقد اتفقت كل التيارات السياسية على ارتباط مصير سورية بمصير الأمة العربية، ومن أدلة ذلك اتفاق

المواقف الحزبية والرسمية والشعبية على مساندة الثورة الجزائرية مساندة مطلقة ومدها بكل مساعدة ممكنة. فالقناعة الراسخة في سورية تؤكد أن النضال العربي واحد لا يتجزأ في الوطن العربي كله، من منطلق استراتيجي أخوي يؤمّن قوة وتكاملاً ويحقق حضورا وفاعلية دولية ذات أبعاد حضارية إنسانية تساهم في تقدم الحياة المحلية والعالمية.

والعلاقة بين سورية والجزائر في هذا المفهوم علاقة جزءين من وطن واحد، فقبل أن تبتلي الأمة بالاستعمار كانت سورية والجزائر ضمن وحدة سياسية وبشرية وجغرافية واحدة، حيث كان التواصل بينهما مستمراً. ولم تستطع التجزئة أن تبعد الأقطار العربية عن بعضها لرسوخ الوحدة الثقافية وتماثل مكونات الشخصية والهوية في هذه الأقطار، فبقي التواصل بين سورية والجزائر يأخذ أشكالاً مختلفة سواء عبر البر أو البحر. ولم تنقطع العلاقات الثقافية والتعاون الجهادي بين أبناء البلدين. فلقد برز تعاون المغاربة بشكل عام مع أهل الشام في مقاومة الغزو الصليبي في حملاته المختلفة، إذ كان المغاربة يأتون للجهاد والحج فيجاهدون ويحجّون أو يحجّون ويجاهدون أو يجاهدون وتكتب لهم الشهادة. وقد مكث قسم كبير منهم متّخذين دمشق رباطاً للجهاد، ومنذ ذلك الوقت نشأ في دمشق حي سمي بحي المغاربة، جلّه من الجزائريين[١]، إضافة إلى أبناء الأقطار المغاربية من الشمال الأفريقي.

«ولقد تحدث كثير من المؤرخين عن مشاركة المغاربة والأندلسيين في الجهاد ضد الصليبيين إلى جانب أهل الشام، كما تحدثوا عن العلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب والأندلس وبين بلاد الشام والتأثيرات الفكرية المتبادلة بين

---

(١) لا يزال الحي موجوداً حتى الآن ولا يزال سكانه يفخرون بانتمائهم المغاربي وبعاداتهم الأصيلة، والمعروف أن أحد أبنائه الجزائريين استلم رئاسة مجلس الوزراء في سورية لمرتين وهو اللواء عبد الرحمن خليفاوي (١٩٧١- ١٩٧٢ – ١٩٧٧ – ١٩٧٨). إضافة إلى وزراء وضباط وأساتذة كبار أثروا الحياة السورية.

العلماء. ومن هؤلاء المؤرخين ياقوت الحموي في (معجم البلدان) وابن هشام في (شذرات الذهب) وابن جبير في رحلته الشهيرة (رحلة ابن جبير) والمقري في (نفح الطيب)، ومحمد بن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة)، والسبكي في (الطبقات)، وابن سعيد المغربي (المغرب في حلي المغرب). وقد ترجم المؤرخ الدمشقي الكبير الحافظ ابن عساكر في موسوعته الكبيرة تاريخ مدينة دمشق لعدد كبير من الشعراء المغاربة والأندلسيين الذين قدموا إلى دمشق»[١] .

ولقد كانت تلك الفترة عصيبة في تاريخ المشرق العربي الإسلامي، سقطت فيها القدس بيد الصليبيين وأقاموا فيها مملكة بيت المقدس. ويقدم لنا أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي) المتوفى سنة ٦٦٥هجري في كتابه الروضتين وصفاً شاملاً للوضع في الربع الأول من ذلك القرن فيقول: «وكان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أخبارهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم وضعف أهلها عن كف عاديهم، وتتابعت غزواتهم، وساموا المسلمين سوء العذاب، واستطار في البلد شرر شرهم، وامتدت مملكتهم من ناحية شبختان إلى عريش مصر لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق...» [٢] .

وأمام هذا الحال الذي وصفه أبو شامة بكثير من التفصيل والذي يدل على الحالة المفككة والضعيفة للمشرق العربي، فلقد كانت مساعدات المغاربة والأندلسيين ذات أهمية كبرى بالنسبة لأهل الشام في مواجهة الخطر الصليبي الداهم خاصة وأنه عرف عن المغاربة حسن إسلامهم وشدة بأسهم في الجهاد، فلذلك كان أهل الشام يستقبلونهم ويفتحون أبواب الضيافة ويوسعون التكايا لهم

---

(١) حلواني، أحمد، ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين، دار الفداء بدمشق، ١٩٩١، ص ٨-٤٩.

(٢) أبو شامة، تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، ١٩٧٤، ج١، ص ٣٠.

بكثير من الترحاب والاهتمام. ولقد جاءت قضية الأمير عبد القادر الجزائري لتؤكد رسوخ العلاقة الأخوية بين سورية والجزائر فالأمير الذي قاد المقاومة الجزائرية بعيد الاحتلال الفرنسي وحقق انتصارات كبيرة على المحتلين الفرنسيين، اختار دمشق ليستقر بها في منفاه حتى وفاته وليدفن في أرضها. وكان اختيار الأمير عبد القادر للإقامة في سورية دلالة خاصة عند الجزائريين والسوريين تذهب إلى أنهما جزءان من شعب واحد تجمعهما روابط قوية وأخوة راسخة وعلاقات تاريخية نضالية طويلة. و«ما الاستقبال والترحيب الشديد بإقامة الأمير عبد القادر في سورية والدور الذي اضطلع به في تهدئة الاضطرابات والقلاقل التي حدثت في جبال لبنان وحمايته لأكثر من خمسة عشر ألفاً من المسيحيين في منزله بدمشق، والالتفاف الشعبي حوله إلاّ دليل على المكانة الكبيرة التي مثلها الأمير عبد القادر لدى السوريين عموماً، بوصفه قائداً لمقاومة الجزائر ضد الاستعمار وممثلاً لشعب أصيل في الجزائر والمغرب عموماً، الأمر الذي يؤكد مشاعر الارتباط المصيرية بين أبناء الأمة العربية الواحدة»(١).

ولأن دورة التاريخ لا تتوقف ولأن العلاقات بين جسم الأمة كالخلية الواحدة فقد تابع الشعب العربي في سورية النضال المغاربي من أجل التحرر مبدياً استعداده ورغبته للمشاركة في هذا النضال بكل إمكاناته وقواه خاصة بعد استقلال سورية وجلاء المحتل الفرنسي عنها.

فقد شعر الشعب السوري بعد تحقيق جلاء المستعمر ونيل الحرية أن معركته لاتزال مستمرة وأن هدفه لم يتحقق مالم تتحرر باقي الأقطار العربية من هيمنة المستعمر، لذلك رأى في النضال المغاربي استمراراً لنضاله الذي لابد أن يكتمل بالنصر الناجز.

---

(١) د.يحيى بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٣، ص ٧١.

فقد رحب واستبشر خيراً بانعقاد مؤتمر المغرب العربي في القاهرة في الفترة ما بين (١٥-٢٢ فيفري ١٩٤٧). وقد عكست الصحف السورية في ذلك الوقت مظاهر هذا الترحيب والاستبشار فكتبت عنه جريدة «الجبل السورية»[(١)]: نعتقد اعتقاداً لا شبهة فيه بأنه يقدم للقضية المغربية أفضل خدمة لأنه يطلع الناس على حقيقتها فنحن عبر المشرق قلما نعرف شيئاً واضحاً عن أحوال إخواننا في المغرب لأن الاستعمار الذي كنا نعاني شره، ومايزالون هم يعانونه قد حال دون كل تقارب بين شطري العالم العربي وعرقل سبيل المواصلات والاختلاط بين سكان هذين الشطرين حتى إنه كان يمنع الصحف الحرة في المشرق وهو ما يزال يفعل ذلك.. مادام مسيطراً على المغرب العربي ويحكمه بقوة الحديد والنار لذلك قلنا إن مكتب المغرب العربي المنشأ في القاهرة يؤدي أفضل الخدمات لقضية المغرب إذ يضمن الصلة بين شطري العالم العربي بتعريف كل منهما على شؤون الآخر، ونحن نرجو أن تقدر جامعة الدول العربية هذه الحقيقة.

وجاء في جريدة «البعث»[(٢)] بمناسبة عقد المؤتمر: «نرجو أن يكون هذا المؤتمر خطوة أولية لأن تتناول الدول العربية الجميعة هذه المشاكل العربية الخطيرة، وتبدأ في التدخل رسمياً لإنقاذ المغرب العربي على ألاّ تراعي في حل مشاكله غير المصلحة العربية العليا»..

أما جريدة «بردى» الدمشقية أيضاً فجاء فيها بمناسبة مؤتمر المغرب العربي مايلي: «إننا نستبشر بمؤتمر المغرب العربي المنعقد اليوم في القاهرة،

---

(١) جريدة يومية سياسية مستقلة صاحبها ورئيس تحريرها الصحافي نجيب حرب والنص مأخوذ من كتيب مؤتمر المغرب العربي الذي أصدره مكتب المغرب العربي في القاهرة: مطبعة المكتب الثقافي الدولي لجيزة مصر، ص ٧٥.

(٢) يومية سياسية ناطقة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي، والنص مأخوذ من كتيب المغرب العربي، مصدر سابق، ص ٧٦.

ونؤيد مطالبه القومية وقراراته ونطلب من الحكومات العربية أن تؤيدها وتسهر على تنفيذها، وبدون ذلك لا يكون للعرب شأن ولا تتحقق لهم وحدة»[١]..

هذه المنتخبات الثلاثة من أقوال الصحف السورية بمناسبة انعقاد مؤتمر المغرب العربي في القاهرة تعكس بوضوح تعلق الرأي العام السوري بالمغرب العربي عموماً واهتمامه بقضاياه وعمله من أجل تحرره، لذلك كان استقباله لإعلان الثورة الجزائرية في أول نوفمبر ١٩٥٤ استقبالاً كبيراً بحيث وضعها الشعب العربي السوري في مكامن الروح من قضاياه ووجدانه القومي والوطني شعوراً منه بأن البلدين يناضلان ضد مستعمر واحد عانيا منه معاناة شديدة. وحول هذه المعاناة كتب مصطفى طلاس وبسام العسلي مايلي:

«هناك تلاق تاريخي في المآسي والنكبات بين سورية والجزائر ففي الأول من أيار/ مايو ١٩٤٥ ظهرت بواكير الثورة في تواقت واحد في العاصمتين العربيتين... حيث حدثت مذبحة سطيف إذ سقط فيها يوم ٨ مايو أكثر من خمسة وأربعين ألف شهيد جزائري. وتأخرت مذبحة دمشق حتى يوم ٢٩ مايو حيث سقط شهداء مجلس الشعب (البرلمان) الذين رفضوا تحية العلم الفرنسي. ودمرت بعض أحياء دمشق بالقنابل، وكذلك طال القصف الجوي والمدفعي معظم المدن السورية»[٢].

لقد أيقظت الثورة الجزائرية الروح المكافحة للشعب العربي السوري، وألهمت بمدلولاتها الكبيرة الكتاب والمفكرين فراحوا يكتبون عن الثورة بل والثورات في الوطن العربي والعالم. وكان الدكتور عبد الله الدايم عميقاً في توجهه إلى الثورة الجزائرية إذ خصص لها مقدمة كتابه «**الوطن العربي والثورة**»، والذي

---

(١) يومية سياسية مستقلة صاحبها ورئيس تحريرها منير الريس والنص مأخوذ من المصدر السابق نفسه، ص ٧٦.

(٢) مصطفى طلاس وبسام العسلي، الثورة الجزائرية، ط٤، دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٣، ص ١١-١٢.

يتحدث فيه عن الواقع القومي العربي ومقوماته والبعد الثوري فيه، الممثل لهذه الثورة، إذ جاء في المقدمة:

«وحسبنا من هذا الواقع شاهد واحد: حسبنا قضية الجزائر. لقد بلغ تشكيك المستعمرين في أمر هذا القطر العربي وفي أمر نسبه إلى الكيان العربي حداً جعلوا منه جزءاً من فرنسا. وظل الاستعمار حتى اللحظة الأخيرة، يضرب عرب الجزائر ويحرقون أحياء، ويردد في الوقت نفسه، إنهم فرنسيون، (على حد قول سارتر في مقدمته لكتاب الدكتور فانون). ومنذ عام ١٩٣٠ ومنذ حملات بوجو ومؤامراته وما تلاها من مؤامرات سائر الاستعماريين، انتهج الاستعمار سياسة لا تهدف إلى إخضاع الجزائر لفرنسة فحسب، بل تهدف إلى فرنسة الجزائر وتغيير معالم حياتها القومية، ولم تسلم من ذلك اللغة العربية، ولم يسلم الدين الإسلامي ومع ذلك وبعد قرن ونصف من محاولات القضاء على معالم الوجود العربي في الجزائر، تنهض الجزائر حرة مستقلة وتقف في الطليعة بين الدول العربية الداعية إلى وحدة الكيان العربي»[١] .

ثم يستطرد الباحث بلهجة اعتزاز مخاطباً الغافلين والناكرين، إذ يقول:

«فهل من حجة على الوجود العربي الموحد أقوى وأعنف من الحجة الدامغة التي قدمتها الجزائر؟!.... لقد بزغ الوجود العربي فيها قوياً مؤمناً، من وسط محاولات الفرنسة، ووسط الاضطهاد، ووسط كل الجهود التي بذلت للقضاء على مقومات الحياة العربية في ذلك البلد. وقامت الجزائر عربية أصيلة، وسكانها في معظمهم أنسوا لغة قومهم، وحيل بينهم وبين أن يتعلموا حتى القرآن (إذ كان يسمح بتلاوة القرآن دون فهمه)، فأين أنصار الفوارق والألوان واللهجات واللغات المختلفة في الوطن العربي؟... أين هذه الفوارق التي

---

(١) عبد الله الدايم، الوطن العربي والثورة، ط١، بيروت: دار الآداب، ١٩٦٧، ص ١٢-١٣.

حاولت جهود الاستعمار أن تخلقها في قرن ونيف، فإذا الواقع العربي يمحوها ويبددها في أيام؟»..

ويرى الدكتور جمال الأتاسي[١] أن الثورة الجزائرية قد ارتفعت إلى أعلى مستوى يمكن أن ترفع إليه ثورة وطنية واجتماعية وسياسية حديثة وتحدث عن أبعادها متسائلاً:

«ما هي أبعاد هذه الثورة التي بدأت صعودها في الجزائر ومازالت تتسع وتشتد فتغير حياة المجتمع، وتبدل علاقات البشر وتضخ حياة جديدة وقيم جديدة؟.. من أين بدأت هذه الثورة، وإلى أين تمضي؟!.. ما الذي أحدثته وما الذي ترمي إلى تحقيقه؟!»[٢].

يجيب الباحث على هذه التساؤلات من خلال جوهر الظروف الموضوعية والشروط الذاتية للشعب الجزائري فيقول: «لقد نشبت هذه الثورة في قطر عربي متخلف ومستعمر فقامت تطالب باستقلال وطن وبحق شعب في أن يقرر مصيره، ووراء هذا المطلب المباشر سارت حركة ثورية جذرية أخذت تبدل مجتمعنا بأكمله وتغير حياة الناس وأفكارهم وعاداتهم. بدأت ثورة وطنية بسيطة وكأنها تجريبية تفتش عن طريق النجاح، وبدأت ثورة معاصرة يطبق عليها عدوها من كل جانب ويعمل في داخل المجتمع الجزائري تهديماً وتخريباً وكان لابد لها من أن تعتمد على نفسها وأن تواجه وحدها مصيرها. لكنها بدأت جذرية منذ أن عرفت طريقها إلى قلب الشعب فرسخت قواعدها

---

(١) الدكتور جمال الأتاسي: أستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق ومفكر قومي معروف، عمل لفترة قصيرة وزيراً للإعلام وساهم في تأسيس الاتحاد الاشتراكي العربي في سورية والجبهة الوطنية التقدمية، كما ساهم في تأسيس المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي العربي الإسلامي. (المؤلف).

(٢) مجلة المعرفة – العدد الأول – آذار (مارس) دمشق، ص ١٣٦.

في صميم مجتمعها، وارتفعت إلى أعلى مستوى يمكن أن ترتفع إليه ثورة وطنية واجتماعية وسياسية حديثة»[١].

على أن الباحث فؤاد الشايب كان أكثر التصاقاً بواقع الشعب الجزائري وثوابته، وقد نبه إلى أمر هام وهو أن العديد من المفكرين تمسكوا بالجانب القومي الغربي، والجانب التحرري وأغفلوا جانباً هاماً وهو الجانب الروحي الذي أمر الإسلام به الثورة الجزائرية وأعطاها قوتها الإيمانية وعنفوانها النضالي، وقد كتب مايلي:

«انتصر للثورة الجزائرية، كثيرون من المناضلين والمفكرين في العالم غير العرب، على تباين مذاهبهم الاجتماعية، وعقائدهم القومية، من اشتراكيين ووجوديين إلى إنسانيين ورهبان وسواهم، ورأى فيهم كل فريق ما يمكن أن يراه من خلال عقيدة أو فكرة أو وجهة نظر. ويبقى أن الثورة الجزائرية حدث كوني ضخم ستظل الأقلام والفلسفات تدور حول شموخه طويلاً قبل أن تحيط به وتنفذ إلى أعماقه، ولا يمكن لأي نظرية فلسفية أن تدعيه لنفسها، وتبصمه بطابعها وتفسر تاريخه بمقاييسها، وإن يكن صحيحاً ما عرضه د. فانون من أن الثورة بدلت الكثير من المفاهيم والتقاليد أو قضت عليها، فمن المؤكد أن القيم العربية بتقاليدها ومفاهيمها الأصلية لم تذهب هكذا، بل الذي ذهب منها مايمكن أن يعيق حركة الثورة الأصلية ويعطل عجلة التقدم، من توافه تعلق عادة بجذوع القيم، ويبقى العربي المحافظ على قيمه الغالية، من وراء هذه الثورة»[٢]..

ومثلما شغلت الثورة الجزائرية المفكرين والكتاب السوريين كذلك شغلت السياسيين، خاصة أولئك الذين كانوا يتولون مناصب قيادية خلال فترة الثورة. وطبيعي أن إفراد قسم خاص في مذكراتهم للحديث عن الثورة الجزائرية يدل

---

(١) مجلة المعرفة – العدد الأول – آذار (مارس) دمشق، ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٧.

على المكانة الكبيرة التي كانت تمثلها في الحياة السياسية السورية[1]، ونورد هنا نموذجين اثنين لقطبين سياسيين سوريين من اتجاهين متعارضين هما:

- خالد العظم – السياسي الوطني السوري البارز ورئيس مجلس وزراء سورية السابق.
- أكرم الحوراني القيادي البارز في حزب البعث العربي الاشتراكي ورئيس مجلس النواب السوري ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة..

يقول خالد العظم في مذكراته[2]:

«قامت سورية بما يتوجب عليها.... في دعم الثورة الجزائرية ومدها بالأسلحة والذخائر وتبرع المواطنون بملايين الليرات وقدموها بكل شوق، واستمرت سورية تجهد في الأمم المتحدة لدعم استقلال الجزائر وآثرت استمرار انقطاع علاقاتها مع فرنسا وانقطاع السوق الفرنسي بوجه مشترياتها من الأسلحة على أن تساير العدوان على الجزائر العربية وأن تسكت عنه»..

أما أكرم الحوراني فيشرح أسباب إفراده فصلاً عن الثورة الجزائرية والتوقف عندها في سرد مذكراته معللاً بالأسباب التالية[3]:

١ – لم يمتحن شعب في العالم، كما لم تمتحن قومية في التاريخ مثلما امتحن الشعب الجزائري والقومية العربية طيلة ١٣٠ عاماً، حيث تعرض الشعب العربي في الجزائر لكل لأنواع الإبادة المادية والمعنوية من قبل الاستعمار الفرنسي.

---

(١) أصدر الكثير من السياسيين السوريين مذكراتهم عن زمن الانقلابات السورية وقد اخترت العظم والحوراني لشهرتهما وفاعليتهما في السياسة السورية، فالأول سياسي دمشقي يميني، والثاني سياسي حموي يساري، ومن المذكرات الكثيرة التي صدرت أذكر مذكرات أسعد الكوراني وأحمد عبد الكريم ود. عبد السلام العجيلي والفريق عبد الكريم زهر الدين وغيرهم..

(٢) مذكرات خالد العظم، المجلد الثالث، الدار المتحدة للنشر ببيروت، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٣) مذكرات أكرم الحوراني، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠، ص ١٨٩٧.

٢ – كانت الثورة الجزائرية الوحيدة في تاريخ العالم الثالث التي استمرت معاركها دون أي مساندة خارجية أكثر من قرن من الزمن.

٣ – كان الاحتلال الاستعماري الاستيطاني في الجزائر يشبه من وجوه عديدة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين...

ثم يستعرض الحوراني علاقات سورية والمغرب الستار الحديدي المضروب على أقطار المغرب العربي الثلاثة من قبل الاحتلال الفرنسي لمنع اتصالها مع المشرق ويعد هذا الاحتلال الحلقة الثانية من الحروب الصليبية الاستعمارية التي شنها الغرب على العرب والمسلمين، أما الحلقة الثالثة من الحرب الصليبية والتي مايزال العرب يخوضونها حتى الآن فهي احتلال فلسطين...

ويتابع فيقول: «الجنود الجزائريون والمغاربة في الجيش الفرنسي كانوا يتعمدون ترك ذخائرهم وراءهم كي يستعملها الثوار السوريون، كما أن بعضهم التحق بالثورة السورية ضد الفرنسيين عام ١٩٢٥».

كانت الجزائر وسورية كأنهما على موعد في صراعهما مع الاستعمار الفرنسي، ففي شهر أيار /مايو ١٩٤٥ عندما كانت سورية تخوض معركة تحررها من الاستعمار الفرنسي الذي قصف عاصمتها ومدينتها ومجلس نوابها، كانت الجزائر ترفع علمها وتطالب باستقلالها، وكان الجواب قصف مدنها قصفاً وحشياً ذهب ضحيته أكثر من ٤٠ ألف شهيد»..

ثم يتعرض لموضوع وحدة النضال العربي وتأييد حزب البعث العربي الاشتراكي لثورة الجزائر على المستوى الحكومي والنيابي والشعبي، ذاكراً أن حزب البعث أصدر بياناً بمناسبة أسبوع الجزائر في سورية، جاء فيه:

«ودعا البيان كما يقول الحوراني في مذكراته إلى الوحدة، وحدة النضال العربي وإلى الشعارات التالية:

إن حرية العرب لا تتجزأ، وإن وحدة المصير ووحدة النضال فوق كل مساومة، وإن كل استقلال لا يقترن بالنضال الجدي من أجل الوحدة هو شكل جديد من أشكال الاستعمار.

ويتحدث الحوراني عن علاقته مع السيد عبد الحميد المهري الذي كان مندوباً لجبهة التحرير في سورية واجتماعه معه، وتطمينه للحوراني حيث يذكر إجابة السيد المهري على تخوف الحوراني على الثورة الجزائرية، إذ يقول المهري:

- إنه لا يمكن لفرنسا أن تقضي على الثورة لسببين:

أولاً: إن فرنسا خلال استعمارها الطويل للجزائر قد استولت على كل المرافق من زراعية وتجارية وصناعية فأصبح الشعب الجزائري بأغلبيته الساحقة من العمال والفلاحين البائسين الذين يفضلون ألف مرة حرباً ولو دامت عشرات الأعوام على الاستسلام، وهذا ما وحد الشعب الجزائري الذي لايفرقه أي تناقض طبقي أو فكري أو سياسي».

ويستطرد الحوراني فيقول: ثم قال المهري مازحاً: «إنني أخشى أن يجد الشعب الجزائري بعد انتصاره على فرنسا صعوبة في العودة إلى حياة السلم؟»[1] .

ويتابع المهري إجابته للحوراني ويقول:

- **ثانياً:** إن الثورة الجزائرية تستند إلى أيديولوجية فكرية وسياسية واجتماعية وروحية ساهمت فيها، وهيأت لها الحركات الوطنية والسياسية ولاسيما جمعية العلماء وعلى رأسها المصلح العربي والسياسي والاجتماعي ابن باديس الذي تركت أثراً عميقاً في المجتمع الجزائري وقضت على عقلية

---

(١) أراني مضطراً للتعليق على هذه المزحة التي أبداها المهري كما يقول الحوراني في مذكراته لأقول إنها بحاجة إلى دراسة عميقة وتحليل على ضوء مجريات الأحداث الجزائرية.

المرابطين والطرائق الصوفية، وبلورت بجرأة مفاهيم الإسلام الثورية التي تنسجم مع روح العصر فتركت آثاراً قد تكون أكثر عمقاً مما تركه جمال الدين الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده والشيخ رشيد رضا وتلاميذهم في المشرق العربي، لقد حولت جمعية العلماء تكايا وزوايا الجزائر إلى مدارس لتعليم اللغة العربية وترسيخ المفاهيم القومية والوطنية والإسلامية.

ويذكر الحوراني أنه ارتاح إلى إجابة المهري وتفاءل أكثر فيما بعد من لقائه به، ويتحدث بعد ذلك عن دور المفكر الجزائري عبد الحميد بن باديس ودفاعه عن العروبة والإسلام محدداً الأسئلة التي يطرحها المثقفون الجزائريون على أنفسهم وهي:

من نحن؟ ومن هم العرب؟ من هم البربر؟ هل يمكن أن تعتبر الجزائر أرضاً فرنسية؟ ما هو الطريق إلى المستقبل؟..

وجاء ابن باديس أبرز المفكرين الجزائريين ليجيب عن هذه الأسئلة بالحجة والمنطق والعمل إذ يحدد الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية بما يلي:

- إن أبناء الوطن الواحد قد دخلوا الإسلام وتعلموا اللغة العربية طائعين، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وقاسموهم مجالس العلم، وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيوش وكل مرافق الحياة فأقام الجميع صرح الحياة الإسلامية...

إن أبناء يعرب وأبناء الأمازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً ثم دأبت تلك القرون تمزج فيما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء وقد كتب أبناء يعرب وأبناء أمازيغ آيات أمجادهم على صفحات هذه القرون»[١] .

---

(١) مذكرات أكرم الحوراني – مصدر مذكور – ص ١٩٠٠-١٩٠١.

يستطيع الباحث أن يستخلص من خلال ما ذكر في هذه المذكرات عن الثورة الجزائرية أن هذه الثورة كانت تشكل نقطة محورية ومركزية في الحياة السياسية السورية حتى أن كثيراً من الساسة تعلقوا بها وتعمّدوا إظهار هذا التعلق لتأكيد صورتهم الوطنية والتحررية تجاه الرأي العام.

ولعل الأدباء السوريين والشعراء كانوا الأكثر اندفاعاً وتفاعلاً مع الثورة الجزائرية، وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل عندما نتناول بالدراسة المعالجة الإعلامية التي حفلت بها الصحافة السورية عن الثورة الجزائرية.

الفصل الثالث

الثورة الجزائرية في الصحافة الحزبية السورية

٣ – ١ تمهيد:

لا يمكن لبحث علمي أن يلم بجميع الصحف السورية الصادرة في زمن الثورة الجزائرية لكثرتها من جهة، ولانقسامها إلى مجموعات متشابهة في التوجه من جهة ثانية، ولهذا كان اختيار عيّنة من هذه الصحف ضرورة بحثية تدفع إليها مناهج البحث العلمي وتقتضيها ظروف البحث ذاته وملابساته لأن كثيراً من الصحف لم يبق منها إلا اسمها فقط، ولم يصل إلينا إلا بعض أعدادها. لذلك لا يمكن أن تكون مادة صالحة لدراسة علمية ولأن بعض الصحف يعسر الوصول إلى أعدادها الماضية لضياعها أو لعدم معرفة مكان الاحتفاظ بها، ومعظم الصحف آنذاك لم تكن صحفاً حكومية يمكن الاحتفاظ بها، ويمكن العودة إليها عند الحاجة.

فاقتضت حدود البحث وملابساته اختيار الصحف الأكثر أهمية وانتشاراً والتي كانت تعاصر الثورة الجزائرية وتمثل الاتجاهات السياسية الرئيسة أي الصحافة الحزبية والتي هي موضع الاهتمام في هذا الفصل، ثم الصحافة غير الحزبية والتي سنتناولها في الفصل التالي:

وقد تم اختيار الصحف الحزبية على النحو التالي:

١ – صحيفة المنار: وتمثل الاتجاه الإسلامي، من تاريخ ١٩٥٥/٠٧/٠٩ إلى ١٩٥٦/٠٦/٢٩.

٢ – صحيفة البعث: وتمثل الاتجاه القومي العربي، وهي الناطقة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي، من ١٩٥٦/٠٤/٢٠ إلى ١٩٥٦/٠٩/٢٨.

٣ – صحيفة النور: وتمثل التيار الأممي (الشيوعي) وهي الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوري، من ١٩٥٦/٠٥/٠٩ إلى ١٩٥٧/٠٦/٢٨.

هذه الصحف الثلاث كانت الأكثر هيمنة في أوساط الرأي العام السوري كصحف رأي وكان لها نفوذها السياسي في حركة المجتمع وفي التواصل أو التباعد مابين السلطة والجماهير.

وفيما يلي نتناول كلاً منها بالدراسة.

٣-٢ المنار

أشرنا إلى أن صحيفة المنار تمثل التيار الإسلامي الذي قادته جماعة الإخوان المسلمين، وهذه الجماعة كما يرى الدكتور أسامة زكي عواد، هي منظمة سياسية طرحت نفسها كممثلة للتقاليد والقيم الاجتماعية الموروثة في مواجهة كل ما اعتبرته أجنبياً ودخيلاً من الإيديولوجيات، واعتبرت هذه القيم والتقاليد منطلق عملها السياسي والاجتماعي. وكانت بالتالي ترفض فكرة القومية العربية[١].

وقد نشأت جماعة الإخوان المسلمين عام١٩٤٥ وقامت وهي تحمل الأفكار التالية: إن بين الأحزاب والجماعات العامة للإصلاح في وطننا العربي الكبير شعوراً مشتركاً بوجوب التحرر من آثار الجهالة والفوضى والضعف في حياة أمتنا، حتى تساهم من جديد في بناء الحضارة، بما يعود على الإنسانية بالخير والسلام. وبقدر ما يبدو هذا الشعور مشتركاً بين الأحزاب والجماعات في بلادنا يبدو الخلاف على أشدّه في تقرير الأسباب التي أدّت بنا إلى هذه الحالة المؤسفة، وفي اتخاذ الوسائل المؤدّية إلى الإصلاح المنشود.

---

(١) د. أسامة زكي عواد، تاريخ الأحزاب السياسية في سورية في القرن العشرين، ط١، دمشق ١٩٩٧، ص ٢٧.

«والإخوان يعتقدون اعتقاداً جازماً أنّ في الإسلام كلّ عناصر النهضة المرجوة، وأنه جاء بمنهج شامل للإصلاح هو الذي دفع بأمتنا في الماضي إلى ميادين الخلود وبوّأها قيادة ركب الإنسانية بضعة قرون. وهو بما فيه من خصائص المرونة والتطوّر قادر على أن يحمل أمتنا من جديد إلى ميادين الخلود مرة أخرى وأن يبوأها مكانة جديدة بقيادتها لركب الإنسانية وتوجيه حضارتها نحو الأمن والرفاهية والاستقرار»(١) .

وعلى هذا تستهدف دعوة الإخوان المسلمين خمسة أمور رئيسة وفق رؤيتهم هي:

أولاً – إصلاح الفرد بتطهير عقيدته وقلبه من الزيغ.

ثانياً – إصلاح الأسرة بتربية المرأة وتعليمها تعليماً يهيِّئُها لتنهض برسالتها في المجتمع كزوجة عفيفة مخلصة وكأم ومربية فاضلة.

ثالثاً – إصلاح المجتمع بإقامة نظمٍ عادلة بين الأفراد والجماعات على أساس التوازن بين الحقوق والواجبات، نظمٍ تجمع بين القوة والرحمة والعدالة والتسامح، وينتفي فيها طغيان الفرد وميوعة الجماعة.

رابعاً – كفاح الاستعمار، وفيه لا ترى الجماعة حدّاً تقف عنده، حتى تحرر الأمة.

خامساً– توحيد العرب والمسلمين:

ومن أجل نشر هذه المبادئ وتحديد توجّهات جماعة الإخوان المسلمين، ونشر إعلام جماهيري لها، تمّ إصدار صحيفة المنار في ١٩٤٧/٦/٢٢ صحيفة يومية سياسية تنطق باسم الجماعة في سورية. وكان صاحب الامتياز آنذاك الدكتور مصطفى السباعي مرشد الجماعة والأستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق، أما مديرها ورئيس تحريرها فكان أحمد قدامه.

---

(١) دار الرواد ، الأحزاب السياسية في سورية، دمشق ١٩٥٤، ص ١٢.

وقد استمرّت في الصدور إلى أن أغلقها حسني الزعيم قائد الانقلاب العسكري في سورية عام ١٩٤٩ وذلك بعد استيلائه على السلطة بفترة وجيزة وتولّيه رئاسة الجمهوريّة أي بتاريخ ١٩٤٩/٠٤/١٧ . ولكن ما لبثت الصحيفة أن عادت للصدور، في عهد اللواء سامي الحناوي الذي أطاح بحسني الزعيم. ثم توقفت مرة أخرى عن الصدور عام١٩٥٨ وذلك قُبيل إعلان الوحدة بين سورية ومصروقيام الجمهورية العربية المتحدة، وعادت إلى الصدور في عهد انفصال سورية عن مصر عام ١٩٦١، لكنها أغلقت نهائياً بعد ١٩٦٣/٠٣/٠٨ تنفيذا للأنظمة الإعلامية الجديدة التي أصدرتها سلطة ثورة الثامن من آذار.

في تاريخ الصحيفة

صدرت الصحيفة بعد إغلاقها الأول باسم السيد بشير العوف بأربع صفحات من حجم ٥٨× ٤٤ وقد كُتب تحت العنوان على الصفحة الأولى: جريدة يومية سياسية مستقلة صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول بشير العوف. أما في العنوان الكامل الخاص بالصحيفة والمكتوب باللغتين الإنكليزية والعربية والذي جاء كعمود في رأس الجهة اليسرى من الصفحة الرابعة فقد جاء ما يلي:

المنار جريدة يومية سياسية مستقلة، تصدر في دمشق – سورية، صاحب الجريدة ورئيس التحرير المسؤول بشير العوف، سكرتير التحرير فوزي العلاف، مدير الإدارة عادل حديد. الإدارة دمشق سنجقدار، بناية الجمهورية، البريد، والهاتف: صندوق البريد ٤٧٣، هاتف الإدارة والتحرير ١٠٠٢٥، مكتب صاحب الجريدة ١٠٠١٥، منزل صاحب الجريدة ١٤٥١٢، مطابع دار المنار بدمشق: شارع خالد بن الوليد الهاتف ١٠٠٢٥، الاشتراكات في سورية ولبنان للدوائر والمؤسسات الرسمية ٣٠ ل.س (ليرة سورية) للعموم ٢٥ ل.س. في

الأقطار العربية والأجنبية البدل السنوي ٥٠ ل.س أو خمسة جنيهات استرلينية، ويضاف أجور البريد الجوي على المشترك.

أول ما يلاحظ على الصحيفة هو عدم استقرار اسمها في مكان ثابت فمرة يظهر في الزاوية اليمنى في أعلى الصفحة الأولى، ومرة يظهر في الوسط، وكذلك يظهر في الزاوية اليسرى، وفي جميع الحالات يظهر بمساحة تتراوح بين ٦٠سم^{٢} و٨٠سم^{٢}، وفي أعلاه المانشيت اليومي.

وتتناول الصفحة الأولى كما في الصحف الأخرى آخر الأحداث العالمية وكذلك المحلية وما يحيط بها من أخبار وتعليقات. وبالإضافة إلى ذلك ففي الصفحة زاويتان ثابتتان (قارتان) إحداهما على الجهة اليمنى من الأسفل تحمل شروحات إسلامية تحت عنوان: قال الغزالي، وتشغل هذه الزاوية دائماً مساحة (٩×٦ = ٣٤سم^{٢}).

أما الزاوية الثانية فتقع في الجهة اليسرى من الأسفل تحت عنوان : حقل الأخبار الداخلية، وهي أخبار (فلاش) تشغل مساحة (١٥×١٨ = ٢٧٠ سم^{٢}).

وتهتم الصفحة الثانية من الصحيفة بالشؤون المحلية، وبما يحدث في المجتمع من تغيرات سلبية أو إيجابية، وذلك من خلال موقف نقدي منطلقه الفكر الإسلامي وأسلوبه في معالجة القضايا الاجتماعية والعلاقة بالدولة.

وتنفرد الصفحة الثالثة بالشؤون العالمية بما فيها شؤون العالم العربي، وذلك عبر دراسات وتعليقات مختصة تسلط الأضواء على ما يجري في هذا العالم، وتعكس وجهة نظر الصحيفة في كل هذه القضايا.

أما الصفحة الرابعة والأخيرة فهي غالباً ما تحمل تتمات ما كتب من مواضيع في الصفحات الثلاث السابقة، بالإضافة إلى العمود القاري في رأس الجهة اليسرى وفيه التعريف بالصحيفة كما أشرنا. وتجدر الملاحظة

إلى أن الصحيفة ثرية بالإعلانات التي تجد مواقعها في كل الصفحات دون استثناء.

٣ – ٣ توصيف المعالجة الإعلامية في صحيفة المنار:

أوضحنا فيما سبق أن صحيفة المنار هي صحيفة رأي تنشر الفكر الإسلامي وفق توجّه جماعة الإخوان وتدافع عنه. والمعروف أن صحافة الرأي تعتمد في إيصال رسالتها الإعلامية على الافتتاحيات، والمقالات والدراسات بصورة رئيسية. غير أن صحيفة المنار كانت أكثر مرونة في هذا التوجه إذ اعتمدت الأنواع الصحافية الإخبارية أيضاً وبالمستوى نفسه، ولعلم ما يلفت النظر في الصحيفة هو استعمالها للصورة كنوع صحفي متميز، وذلك على عكس ما يشاع بأن الإعلام الإسلامي يتجنب استخدام الصورة ويتعامل معها بحذر.

ومن حيث المضمون سعت الصحيفة لتكريس لون جديد من الخطاب الإعلامي يتوجه أكثر نحو نداء العقل، والابتعاد عن استغلال العواطف الدينية، استغلالاً غير لائق في مخاطبة الجماهير. وهناك أيضاً تجنّب واضح لأسلوب الإشادة والتملّق وهناك تمسّك باختيار تقديم الحقائق بلغة الأرقام وتأكيد مصادر المعلومات.

وإن كانت صحيفة المنار تهتم كثيراً في معالجتها الإعلامية بالجانب السياسي وكل ما يرتبط به من أخبار، فإنها أيضاً لا تغفل عن معالجة الأخبار الاجتماعية والتي تتعلق عامة بالأسرة والمحيط وبمختلف القضايا التي تهم الرأي العام في المجتمع كمواضيع الفساد، والانحرافات الاجتماعية.

وكذلك تهتم الصحيفة بالأخبار الثقافية، وتعالج ملفات ثقافية، ومواضيع دينية ذات شأن واهتمام من المجتمع السوري. إضافة إلى الشعر وخاصة الديني.

وبشكل عام فقد مثّلت الصحيفة اتجاها مغايرا للفكر القومي العربي والتقـدمي بـصيغته الإشـتراكية، دون أن يـؤثّر ذلـك علـى تأييـدها لثورة الجزائر.

٣ – ٤ التوصيف الكمي:

كنا في المقدمة عند الحديث عن تحليل المضمون قد شرحنا أن مسألة الكم تظل مسألة خلافية بين الباحثين والمنظّرين. وأن الاهتمام باستخدام الكم كأداة بحث في العلوم الاجتماعية ليس كالسابق موضع جذب، أما التحليل النوعي للمضمون فهو السائد وهو المعتمد عليه في غالبيّة البحوث.

لذلك فإن الكم الذي سندرس توصيفه هنا، والذي يمثّل مجتمع البحث كاملاً في صحيفة المنار خلال المدة الزمنية من ١٩٥٥/٧/٩ إلى ١٩٥٦/٦/٢٩، قد لا يبدو كمّاً كبيراً، لكنّه في إطار الظروف التاريخية التي كانت تحيط بسورية، والتي شرحناها في المقدمة أيضاً، يُقنعنا بأن هذا الكم كان مقبولاً، فاعتداءات الكيان الصهيوني المستمرّة على الحدود السورية، ومؤامرات حلف بغداد، ومشروع ايزنهاور ثم العدوان الثلاثي على القطر العربي المصري، شغل الصحافة السورية، وأخذ مجالا كبيرا في تغطيتها للأحداث، لكنه لم يحل أبداً دون الاهتمام الكبير بالثورة الجزائرية، وإن كان الكم المدروس لا يعكس واقع الاهتمام الحقيقي والانشغال الفكري بالشعب الجزائري ومصيره. وفيما يلي نبيّن مساحة النصوص التي تحدّثت عن الثورة الجزائرية، بالنسبة لمادة التحرير خلال الفترة الزمنية التي أشرنا إليها.

الجدول رقم (١)

يبيّن مساحة مادة التحليل ضمن مادة التحرير

خلال الفترة من ١٩٥٥/٠٧/٠٩ إلى ١٩٥٦/٠٦/٢٩

الرقم	الشهر والسنة	مساحة مادة التحرير	مساحة مادة التحليل	النسبة المئوية %
١	جويليه / تموز ١٩٥٥	٣١٩٢٥	٣١٦٢	٩.٩٠
٢	أوت / آب ١٩٥٥	٢٢٩٦٨	٢٥٢٤	١٠.٩٨
٣	سبتمبر / أيلول ١٩٥٥	١٥٢٩٠	٢٨٦	١.٨٧
٤	أكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٥			
٥	نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٥٥	٦٣٨٠	١٤٥	٢.٢٩
٦	ديسمبر/ كانون أول ١٩٥٥	١٣٧٨٠	٤٠٨	٢.٩٦
٧	جانفي/ كانون ثاني ١٩٥٦	---	---	---
٨	فيفري/ شباط ١٩٥٦	٢٨٠٧٠	١٤٦٨	٥.٢٣
٩	مارس/ آذار ١٩٥٦	٧٤٠٨	١٦٠	٢.١٦
١٠	أفريل/ نيسان ١٩٥٦	١٨٣٧٢	٩٨٤	٥.٣٥
١١	ماي/أيار ١٩٥٦	١٢٩٦٥	٥٣٣٠.٨٨	٢٣.١١
١٢	جوان/ حزيران ١٩٥٦	٢٦٥٤٠	٨٠٨٨٧	٣٠.٤٧
المجموع		١٩٣٦٩٨	٢٢٥٣٢	١١.٦٣

يبيّن الجدول رقم (١) أن نسبة مساحة التحليل مقابل مادة التحرير كانت ١١.٦٣% وهي نسبة موافقة للشروط المطلوبة، في هذا المجال، كما يلاحظ أن مساحة التحليل كانت مرتفعة في شهري جويليه وأوت -تموز وآب- بنسبة ٩٠٩% و١٠.٩٨% من عام ١٩٥٥ وفي شهري ماي وجوان -أيار وحزيران- بنسبة ٢٣.١١% و٣٠.٤٧% من عام ١٩٥٦، بينما كانت هذه المساحة متدنية في بقية الشهور.

٣ – ٤ – ١ الأنواع الصحفية المستخدمة:

استخدمت صحيفة المنار في تعاملها مع حركة الثورة الجزائرية معظم الأنواع الصحافية المعروفة. وبرز من هذه الأنواع بشكل خاص الصورة الميدانية، التي انفردت بها الصحيفة والجدول التالي رقم (٢) يوضّح لنا هذه الأنواع، وذلك تبعاً لتسلسل التكرار من الأعلى إلى الأدنى.

جدول رقم (٢)

يبين الأنواع الصحافية المستخدمة في تغطية حركة الثورة الجزائرية

المجال/ النوع الصحفي	عسكري التكرار	سياسي التكرار	اجتماعي التكرار	المجموع	مجموع المساحة سم٢	النسبة المئوية%
الخبر	١٧	٠٥	٠١	٢٣	٣٣٢٣١	١٤.٥٣
العنوان	٠٧	٠٢	٠١	١٠	٦٨٣	٠٣.٠٨
الصورة	٠٥	--	--	٠٥	٨٠٢٠	٣٦.٠٧
المقال	--	٠٤	--	٠٤	٤٣٣٥٤	١٩.٥٩
التحقيق	٠٢	٠٢	--	٠٤	٤١٦٢	١٨.٧٢
الافتتاحية	--	٠١	--	٠١	٥٤٠	٠٢.٤٣
التقرير	--	--	٠١	٠١	٣٦٩	٠١.٧٨
المانشيت	٠١	--	--	٠١	٢٢٠	٠.٩٩
الشعر	--	٠١	--	٠١	٦٢٤	٠٢.٨١
المجموع	٣٢	١٥	٠٣	٥٠	٢٢٢٣٢	١٠٠

من التدقيق في الجدول رقم (٢) يتّضح لنا أن الخبر جاء في المرتبة الأولى من حيث التكرار وجاءت العناوين في المرتبة الثانية، ثم الصورة في المرتبة الثالثة. بينما جاء المقال في المرتبة الرابعة وجاء التحقيق في المرتبة

الخامسة، أما الافتتاحية فقد تأخّرت إلى المرتبة السادسة، وكان التقرير في المرتبة السابعة، والمانشيت في المرتبة الثامنة، واستقرّ الشعر في المرتبة الأخيرة تمييزاً..

على أن ما يلفت انتباهنا من جهة ثانية هو الاختلاف في المساحة التي شغلها كل نوع من هذه الأنواع، وأن مرتبة التكرار لا تعني أبداً الزيادة في المساحة التي شغلها هذا النوع أو ذاك. والجدول التالي رقم (٣) يوضح لنا المرتبة من حيث المساحة:

جدول رقم (٣)

يوضح مرتبة كل نوع صحفي من حيث المساحة

المرتبة	النوع الصحافي	التكرار	المساحة سم²	النسبة المئوية %
١	الصورة	٠٥	٨٠٢٠	٣٦.٠٧
٢	المقال	٠٤	٤٣٥٤	١٩.٥٩
٣	التحقيق	٠٤	٤١٦٢	١٨.٧٢
٤	الخبر	٢٣	٣٢٣١	١٤.٥٣
٥	العنوان	١٠	٦٨٥	٠٣.٠٨
٦	الشعر	١	٦٢٤	٠٢.٨١
٧	الافتتاحية	١	٥٤٠	٠٢.٤٣
٨	التقرير	١	٣٩٦	٠١.٧٨
٩	المانشيت	١	٢٢٠	٠٠.٩٩

وهكذا نتبين أن الصورة حلّت محل الخبر في المرتبة الأولى، وحلّ المقال في المرتبة الثانية محل العناوين، وجاء التحقيق في المرتبة الثالثة محلّ الصورة، وجاء الخبر محلّ المقال في المرتبة الرابعة، كما جاءت

العناوين محل التحقيق في المرتبة الخامسة، وجاء الشعر محلّ الافتتاحية في المرتبة السادسة، بينما جاءت الافتتاحية في المرتبة السابعة محلّ التقرير، وجاء التقرير في المرتبة الثامنة محلّ المانشيت.

نستنتج من هذه التبدلات في العناصر التيبوغرافية أن الاهتمام الحقيقي للصحيفة بالثورة الجزائرية لا تعكسه هذه الأرقام، التي جاءت في الجدولين، إذ ليس صحيحاً دائماً أن الاهتمام الذي توليه أية وسيلة إعلامية لحدث أو موضوع يتجلى من خلال الزمن أو المساحة المخصصة له ضمن تلك الوسيلة، وذلك خدمة لأهدافها وتعبيراً عن موقفها من الحدث أو الموضوع سلباً أو إيجاباً ذلك أنه لا يمكن عزل هذه الحقائق عن الظروف الموضوعية والتاريخية التي ترافق مسيرة الصحيفة فالتكرار والمساحة هنا ليسا موجّهين أو مقصودين من قبل الصحيفة وإنما فرضتهما آلية أحداث الثورة الجزائرية وحركة تدفق المعلومات الواصلة عنها، وعلى العكس من هذا ففي المواقع الإيديولوجية التي تعبّر الصحيفة فيها عن تطلعاتها الذاتية نجد ذلك التكرار الموجّه والمقصود الذي يعمل على دفع القارئ إلى ملاحظة المثير وإدراكه والاهتمام به، ثم إلى حفظ المثير والتذكير به وهو ما يحرّك غالباً الاهتمام وعدم النسيان.

لقد أصابت صحيفة المنار باعتبارها صحيفة رأي باستخدام الصورة والمقال والتحقيق في إيصال الرسالة الإعلامية. «فالصورة تشكّل أهمية بالغة في العمل الإعلامي لدورها الاتصالي الهام. فهي في ذاتها رسالة إعلامية، وهي ركيزة الاتصال المرئي الذي يجسّد مقتطفاً من العالم المحسوس قابل للبقاء، والذي يشكل أحد المكونات الأساسية لوسائل الإعلام. وكذلك المقال الذي يتميز بقدر كبير من الشمولية والتعمّق في تحليل الوقائع، والذي يستخدم أساساً من أجل بحث وتقويم الوقائع والأحداث في حياة المجتمع

المادية أو الفكرية»[1] وهو أيضاً «يساعد على سوق الأدلة السياسية ودحض وجهات النظر الخاطئة والمعادية ويقوم بشرح عمليات التطور الاجتماعي، وإبراز المعنى العميق لهذه العمليات واستخلاص الاستنتاجات الشاملة وتنسيقها»[2].

وأما التحقيق «فهو بالغ الأهمية في العمل الصحافي إذ يمكّننا من التركيز على ظاهرة معينة، أو مجموعة وقائع، أو على تطوّر محدّد في أي مجال من مجالات الحياة، وذلك ليس فقط بقصد الإعلام عنها أو وصفها وعرضها أو تقديم موقف منها، بل أساساً بقصد دراستها وتحليلها وتفسيرها والوصول إلى استنتاجات أو حلول، أو آفاق تطوّر، واضحة، ومحدّدة بشأنها»[3]. وهذا ماتحتاج إليه صحف الرأي ذات التوجهات الإيديولوجية.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن الصحيفة استخدمت العناوين استخداماً ناجحاً من حيث موقعها في الصفحة الأولى، والثالثة، ومن حيث المساحة التي أعطتها لكل عنوان. وقد كان لهذه العناوين مميّزات لم نلحظها جميعها في الصحف الأخرى، ويمكن تلخيصها بالنقاط الأربع التالية:

١ – الجاذبية.

٢ – التبويب والإخرج الجيد.

٣ – التوجيه الحسّي العاطفي.

٤ – تناسب صيغة الخبر مع العرض.

والجدول التالي يقدّم لنا صورة واضحة لهذه المميّزات في بعض العناوين:

---

(١) هـ . م. خلينوف، الأنواع الصحافي، براغ، دار الصحافي للنشر ، ١٩٨٠، ص ٥٧.

(٢) فرانز قُابر، دفاتر الصحافي، العدد ٣، براغ، اتحاد الصحافيين التشيكوسلوفاكيين، ١٩٨٩، ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٨١.

جدول رقم (٤)

العناوين	رقم العدد	تاريخ العدد
*مأساة ثلاثة ملايين من الكائنات البشرية في الجزائر. *الشعب الجزائري يناضل في سبيل استقلاله	١٠٣٠	١٩٥٥/٠٧/٠١
*أنهار من الدماء في معركة الجزائر	١٠٧٠	١٩٥٥/٠٨/٢٣
*فرنسا تعلن حرب الإبادة على شعب الجزائر	١٠٧٨	١٩٥٥/٠٩/٠١
*اعتقال مئات الأبرياء الجزائريين	١٠٩٠	١٩٥٥/٠٩/١٩
*استشهاد ١١ جزائرياً ونسف كهف بمن فيه من الثوار	١٠٩٥	١٩٥٥/٠٩/٢١
*الاستعمار الفرنسي العاجز عن الانتقام من أبطال الثورة ينتقم من الشعب الأعزل	١١٣٧	١٩٥٥/١١/١٠
*مجاهدو الجزائر يستبسلون أحرار الجزائر يقاومون ثلاثمئة وخمسين ألف جندي فرنسي	١١٧٣	١٩٥٥/١٢/٢٤
*بدأت معركة الحرية في الجزائر	١١٧٦	١٩٥٥/١٢/٢٨
*القوات الفرنسية قتلت ٦٦ جزائرياً في يومين	١٢٠٦	١٩٥٦/٠٢/٠٣
*ثلاثون جريحاً من الفرنسيين بالجزائر	١٢١٠	١٩٥٦/٠٢/٠٩
*حصون الجزائر ردت جيوش إسبانيا والبرتغال والدانمارك وبريطانيا خائبة	١٢٣٣	١٩٥٦/٠٣/٠٦
*مجاهدو الجزائر يحتجزون أكثر من ألفي أسير فرنسي بين ضابط وجندي	١٢٥٧	١٩٥٦/٠٤/٠٧
*الثوار يزحفون إلى ٤٠ مزرعة في غرب وهران	١٢٨١	١٩٥٦/٠٥/١٠
*جيش التحرير الجزائري ينذر القوات الفرنسية بشن هجوم مضاد	١٢٩٢	١٩٥٦/٠٥/٢٨
*قاطعوا البضائع والمدارس الفرنسية	١٢٨٩	١٩٥٦/٠٥/٢٤
*بين الدعاية والحقيقة وحشيّة لم يعرفها التاريخ... أين مفاهيم الثورة الفرنسية؟!..	١٢٩٣	١٩٥٦/٠٥/٢٩
*فرنسا ماضية في إبادة الشعب الجزائري. الفرنسيون قتلوا ١٠٥ جزائريين في يوم واحد. طلاب الجامعات حملوا السلاح في الجزائر.	١٣١٩	١٩٥٦/٠٦/٢٩

غير أن ما يؤخذ على صحيفة المنار هو عدم استغلالها لدور الافتتاحية وهو النوع الصحفي الأقدر على توصيل الفكر الأساسي للصحيفة ومواقفها الرئيسية. وكان باستطاعة الصحيفة أن تستخدم الافتتاحية استخداماً سليماً، لكنها لم تتجه نحو ذلك، ولم يكن لثورة الجزائر منها إلا ما ندر..

ومن جهة ثالثة يتبين لنا من الجدول رقم (٢) أن المادة الإعلامية التي تتحدث عن أخبار المعارك العسكرية، كانت هي المسيطرة، إذ تكررت اثنين وثلاثين مرة من مجموع خمسين أي بنسبة مئوية قدرها ٦٤%، وكانت المادة الإعلامية السياسية الثانية حيث تكرّرت خمس عشرة مرة أي بنسبة مئوية قدرها ٣٠%. أما المجال الاجتماعي فتكررت المادة الإعلامية حوله ثلاث مرات فقط وهي النسبة المتبقية وقدرها ٦%.

إن قراءة هذه النسب المئوية تؤكد أن صحيفة المنار اهتمت بالجانبين العسكري والسياسي اهتماماً كبيراً، كسائر الصحف الأخرى، إذ إن هذين الجانبين كانا يمثّلان الثقلين الأساسيين للثورة الجزائرية، كما يكشفان عدالة الثورة أمام الرأي العام العربي والعالمي..

والجدير بالملاحظة أن جميع الصحف ركّزت على هذين الجانبين، لكن هذا لا يسوغ لها عدم اهتمامها بالجوانب الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وقد يكون للصحيفة مبرراتها في هذا التقصير مثل بقية الصحف، لكنه كان يمكن الاستفادة في هذه المجالات من ممثلي جبهة التحرير الجزائرية في دمشق ومكتبها النشط ولو بشيء من المعلومات التي تقدّم بعض الإيضاحات عما يعانيه الشعب الجزائري في حياته الاجتماعية الاقتصادية، وكذلك الثقافية، وقد يكون لنقص المحررين المختصّين السبب الرئيس في هذا التقصير.

٣ – ٥ التحليل النوعي:

جرى التأكيد في تقديم صحيفة المنار وفي توصيف المعالجة الإعلامية التي تمارسها، أنها صحيفة تمثّل التيار الإسلامي في سورية، وتدافع عن العقيدة الإسلامية. إلا أن هذا التوجه لم يكن له أي أثر في مواكبة الثورة الجزائرية، وكذلك لم يكن للفكر الإسلامي أي موقع في الخطاب الإعلامي الذي تناول الثورة. فلا العناوين حملت ولو مرة واحدة مصطلحاً إسلامياً خاصا بالأخوان المسلمين ولا نصوص المادة الإعلامية المدروسة سردت كلمات تشير إلى الإسلام أو تقتبس آيات قرآنية، بل إن تسمية المجاهد، التي تبنّاها الثوار الجزائريون تعبيراً عنهم كمسلمين، لم ترد سوى مرتين في كل المادة الإعلامية في حين حلّت محل هذه التسمية في كل المواضع كلمة ثائر، وكذلك وردت الكلمة في حالة الجمع.

استقر مضمون المادة الإعلامية في الصحيفة على أربعة منطلقات هي:

١ – كشف حقيقة الاستعمار الفرنسي.

٢ – تحديد هوية الشعب الجزائري.

٣ – تأييد الكفاح المسلح.

٤ – تحديد الموقف من الأنظمة العربية.

٣-٥-١ كشف حقيقة الاستعمار الفرنسي:

سعت صحيفة المنار في توجهها نحو الرأي العام العربي إلى خلق وعي مقصود محدّد بالاستعمار الفرنسي وطبيعته ونوعيته وذلك من خلال النقاط التالية:

أ – أن الاستعمار الفرنسي هو استعمار استيطاني شرس لإلغاء الجزائرية والثقافة العربية والإسلامية، وذلك ما أوضحه الصحافي الإيطالي (انغلوديل بوكيه) إذ كتب «إن الجزائر بالخصوص كانت قد تحوّلت ليس إلى مستعمرة أو

محمية فرنسية بل إلى فرنسا منذ ١٢٥ سنة مضت، أما الآن فقد بدأ يتحسّس الجميع الطابع الوطني العربي للجزائر»[١].

ذلك يعني أن الجزائر هي جزء من فرنسا ، وأن السلطات الاستعمارية تستطيع أن تفعل ما تشاء في بلادها مادامت الجزائر جزءاً من هذه البلاد، وتكون النتيجة هي القضاء على كل المقومات الحضارية والتاريخية للشعب الجزائري. وهذا أيضاً واضح كل الوضوح في خطاب الرئيس الفرنسي (غي دو مولليه) عبر الإذاعة الفرنسية والذي جاء فيه «إن الحكومة تذكّر الجميع أن الجزائر مرتبطة بفرنسا برباط لا يمكن حلّه وسيبقى كذلك»[٢]. ولكننا نتساءل عن أي رباط كان هذا الذي يتحدث عنه الرئيس غي دو مولليه؟.

قبل أكثر من سبعين سنة من اندلاع الثورة الجزائرية، كتب الروائي الفرنسي (غي. دي. موباسان): «إن الفرنسيين سيواجهون انتفاضات كثيرة من جراء نظام الاستعمار الفرنسي الذي هو عبارة عن الخراب والنهب المستمر والاضطهاد الضاري النازل بالعرب، والذي يدفعهم إلى الموت بؤساً وشقاء»[٣].

وقبل اندلاع الثورة الجزائرية بخمسة أشهر ألقى الأسقف(بينيه) خطاباً في مؤتمر الأمانات الاجتماعية (منظمة كاثوليكية) يوم ٧ ماي-أيّار ١٩٥٤ تحدّث فيه عن المجاعة في الجزائر، قال:

«إنه عندما يتحدث الناس عن المجاعة في الجزائر فقولهم هذا ليس عيباً، بل إنه أمر واقع لمأساة شعب بأكمله، لأن هذا لا يقتصر على قبضة من المتوسّلين أو على بعض عائلات قليلة، بل يتناول ثلاثة ملايين من الكائنات البشرية! يعيشون إلى جانب الفرنسيين على الأرض الجزائرية، وقال الأسقف

---

(١) صحيفة المنار ، العدد /١٠٧٧/، تاريخ ١٩٥٥/٨/٣٠ ، ص٣.

(٢) صحيفة المنار ، العدد /١٢٢٨/، تاريخ ١٩٥٦/٢/٢٩ ، ص ١ و٣.

(٣) صحيفة المنار ، العدد /١٠٣٠/، تاريخ ١٩٥٥/٧/١ ، ص١.

بعد ذلك أن هذه المأساة ليست مؤقتة، بل إنها باتت راسخة الأسس في الاقتصاد وإنها تذهب بأجيال برمّتها من الأشخاص الذين لا يتغذوْن غذاء كافياً، الأشخاص الجائعون أبداً، والملقى بهم في حالة من الضنك الأقصى.

وفي الواقع أن حقوق الشعب الجزائري تتلخص في أمر واحد: حق الموت «بؤساً وشقاءً»، والأمر الواقع هو أن الجزائر بعيدة عن أن تكون ولاية فرنسية، إنها مستعمرة يستثمرها ويستبد بها الرأسماليون الفرنسيون بفظاظة»[(١)] .

هذه هي الصورة التاريخية لواقع الاستعمار الفرنسي منذ البداية وهكذا استمر. وهناك صورة ثانية عرضتها الصحيفة عن الواقع السياسي والاجتماعي للشعب الجزائري وجسّدتها الحقائق التي كشفتها:

إن النير السياسي يزيد الشعب الجزائري إرهاقاً. فبين سكان البلاد البالغ عددهم ١٠ ملايين لا يشكّل الأشخاص الذين من أصل أوربي سوى العِشْر، وهذا لا يمنع من أن يكونوا ممثلين في المجلس الوطني الفرنسي وفي المجلس الجزائري بعدد من النواب مساوٍ لعدد نواب الجزائريين. أما في المجالس البلدية الجزائرية فالأوربيون غالبون من حيث العدد، فيما أن المناطق الجنوبية من البلاد تحكمها السلطات العسكرية الفرنسية بالكلية.

والتفاوت الاجتماعي بين الجزائريين والفرنسيين ظاهر في جميع ميادين الحياة، فالجزائريون محرومون من إمكانية التمتّع بالإسعاف الطبي، إذ إن في الجزائر طبيباً واحداً لكل ١٠.٠٠٠ أو ٢٠.٠٠٠ نسمة، وفي المناطق الجنوبية يوجد طبيب واحد لكل ٣٠.٠٠٠ نسمة، أما التعليم فليس في متناول سوى أبناء العائلات الموسرة، ومن هنا يتّضح لماذا لا يؤم المدرسة ٨١% من الأولاد الجزائريين الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ و١٤ سنة، وفي جامعة الجزائر يوجد

---

(١) المرجع نفسه.

طالب واحد جزائري من أصل عشرة طلاب، وينبغي عدم نسيان أن التعليم في جميع المدارس يلقّن بالفرنسية.

والصورة الثالثة التي كشفتها الصحيفة عن الاستعمار الفرنسي بسخرية مريرة، هي **الادعاءات الحضارية والإنسانية، التي تدّعيها السلطات الفرنسية.** الأمر الذي يجعل تساءل الصحيفة ضرورياً: **أين مفاهيم الثورة الفرنسية؟!...**

وتعني الصحيفة بذلك الحرية والمساواة والإخاء، وهي شعارات ومبادئ الثورة الفرنسية، أي هل هذه المفاهيم موجودة في التعامل مع الشعب الجزائري. ثم تتساءل ثانية: ماهي غاية الجندي الفرنسي؟ ومن أجل من يحارب؟ وحشية لم يعرفها التاريخ... هذا هو التقدم الفرنسي في الجزائر[١].

بعد كل هذه الوحشية أي صورة ذهنية نمطية قدمتها فرنسا للرأي العام العالمي عن الجزائر؟!..

«جهدت السلطات الفرنسية لتضليل الرأي العام، فأظهرت حركة التحرر الوطني في الجزائر بمظهر حركات عصيان تقوم بها قبضة من «الإرهابيين» يحرّضهم عملاء أجانب. وتقول السلطات المذكورة «إن الجزائر ولاية فرنسية» وأنه بالتالي ليس لدى الجزائريين ما يجعلهم مستاءين، فهم – في زعم السلطات الفرنسية – يتمتعون بما للفرنسيين من حقوق!.

إنه تضليل واضح ترفضه الوقائع والأحداث وشهادات الآخرين..

إن الجوع والبؤس والاستبداد السياسي الضاري، هي الأسباب الرئيسة لأحداث الجزائر، فالشعب الجزائري لم يعد يطيق سيطرة الأجانب المستبدّين الذين حرموه الوطن وسلبوه خيراته الوطنية، وانتهكوا كرامته الإنسانية، ولذا فإن الشعب الجزائري يرى في الكفاح الحازم من أجل التحرر الوطني السبيل الوحيد لخلع النير البغيض»[٢] .

---

(١) صحيفة المنار ، العدد /١٢٩٣/، تاريخ ١٩٥٦/٥/٢٩ ، ص١.

(٢) صحيفة المنار ، العدد /١٣١٩/، تاريخ١٩٥٦/٦/٢٩ ، ص١.

٣ – ٥ – ٢ تحديد هوية الشعب الجزائري:

تصدّت صحيفة المنار للتضليل الذي مارسته فرنسا من أجل تثبيت ادعاءاتها بأن الجزائر هي جزء من فرنسا، وعرضت تاريخ الجزائر في ماضيها وحاضرها أي منذ ما قبل الاحتلال إلى قيام الثورة الجزائرية. هذا التاريخ الذي يثبت أن الجزائر جزء من الوطن العربي وليس من فرنسا وأن الشعب الجزائري جزء من الأمة العربية، وليس فرنسياً..

ففي العدد رقم /١٠٤٦/ بتاريخ ٥٥/٧/٢٠ وبمناسبة أسبوع الجزائر، نشرت الصحيفة في صدر صفحتها الأولى:

الشعب السوري يطالب نوابه بنصرة الجزائر

وتقوية الاتصال بإخواننا عن طريق الإذاعة

وفي النص المباشر لهذا العنوان جاء مايلي:

«إننا نطالب من النواب الذين عاهدونا على النضال من أجل وحدة الأمة العربية أن يعملوا بدافع الواجب القومي لإيقاف المذابح المخزية والوحشية، وليعملوا على نصرة المناضلين الأبطال. كما نطالب بتقوية دعائم الاتصال مع إخواننا العرب، فلا حياة للعرب بدون الحرية»[١] .

في هذا النص ثلاث دلالات واضحة تؤكد الهوية العربية للشعب الجزائري: الدلالة الأولى تكمن في لفظة إخواننا التي تكررت مرتين، وهو ما يؤكد شهادة الإخاء بين الشعبين. وبما أن الشعب السوري شعب عربي وأخ للشعب الجزائري، فالشعب الجزائري إذن شعب عربي وليس شعباً فرنسياً لأن الشعب السوري ليس كذلك.

والدلالة الثانية جاءت في جملة وحدة الأمة العربية، وهو ما يؤكد أن الجزائر جزء من الأمة العربية التي يجب أن تكون موحدة، وذلك عبر النضال

---

(١) صحيفة المنار ، المصدر السابق.

القومي، هذا الذي يقودنا إلى الدلالة الثالثة وهي: أن نصرة الجزائر هي واجب قومي مقدّس.

ويستمر هذا التأكيد مرة تلو أخرى ثم على لسان رئيس تحرير الصحيفة بشير العوف وبصراحة إذ كتب في افتتاحية العدد /١٠٤٥/ بتاريخ ١٩٥٥/٧/١٨، مايلي: هل وصل هذا الصوت المجلجل – صوت الشعب السوري – إلى أسماع الفرنسيين الذين كانوا يحتفلون أمس بأعياد ١٤ تموز (جويلية) وهل علموا أن شعباً عربياً، يعد عشرين مليوناً من البشر، بات يتلوى من فتكهم الآثم، وبغيهم الظالم وعدوانهم على حقه الأعزل، بباطلهم المسلّح، الذي تدعمه القوة وتسير بركابه جحافل «العالم الحر» أو نقل جحافل «العالم المقيّد» الذي تقوده الدول الكبيرة باسم «الحرية» إلى اضطهاد الأحرار وباسم «السلام» إلى تأييد الأشرار، وباسم الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان إلى نشر الحروب وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

إن كل إنسان حر، ليتساءل اليوم في أعماق نفسه، عمّا إذا كان هذا الصوت المجلجل قد وصل إلى أسماع أمريكا وإنكلترة اللتين تؤيدان فرنسا في استعمارها، وتساعدانها على ظلمها وتسهمان معاً بالتنكيل في عشرين مليوناً من العرب الأبرار، الذين لا ذنب لهم إلا أنهم يطالبون بحقهم في الحرية والحياة، ويسعون إلى تقرير مصيرهم في ظل الاستقلال والسيادة!!...

يتّضح في هذا التوجّه القوي لرئيس تحرير الصحيفة أنه لا يريد فحسب إخطار فرنسا بأن الشعب الجزائري هو شعب عربي مجيد بل أيضاً إخطار الذين يساعدون فرنسا على الفتك بشعب الجزائر الذي يمثّل عشرين مليوناً من الجزائريين الأبرار. وهو ما ينعكس في العديد من العناوين الرئيسة مثل هذا العنوان: استشهاد /٤٦٠/ ثائراً عربياً ومصرع /٦٩/ جندياً فرنسياً في خمس وعشرين مدينة وقرية في الجزائر.

٣-٥-٣ تأييد الكفاح المسلح:

لم تخف صحيفة المنار ميلها الكبير لاعتماد الكفاح المسلح وسيلة للنضال ضد المستعمرين. وقد أيدت بكل قوة جبهة التحرير الوطني الجزائري في هذا المجال وحضّت مواطني الأقطار العربية على الأخذ بهذا الأسلوب تماماً كما اعتمدته الثورة الجزائرية. لذلك جاء في الافتتاحية نفسها وعلى لسان رئيس التحرير:

«إننا نبارك كفاح الجزائر والمغرب العربي من أجل الحرية والاستقلال. ونسجل على دول أمريكا وإنكلترة وفرنسا وحلفائها استهانتها بحقوق الإنسان بقوة السلاح...

ونهيب بالشعوب العربية على اختلاف أقطارها وأصقاعها لتعمل على مقاطعة الدول التي تناصبنا العداء مقاطعة شاملة، وبهذا وحده نصبح أمة جديرة بحق الحرية والحياة.

... هناك شيء واحد يجب أن يسمعه ويعلمه العرب، والعرب وحدهم، هذا الشيء، هو أن انتصار الحق الأعزل ضربٌ من الوهم، وأن اعتماد الضعيف على قداسة العدالة ضربٌ من الخيال»..

وبهذا تقطع الصحيفة الطريق على المناورات السياسية والبحث عن الحلول وراء هذه المناورات، وتؤكّد أن الحل الوحيد لتحرير الأوطان هو في الكفاح المسلح، وليس في انتظار الرأي من هذا الزعيم أو ذاك. وهي لهذا كانت تبرز انتصارات الثورة الجزائرية بعناوين كبيرة وتعتّز بالبطولات النادرة التي يمارسها الشعب الجزائري ضد المستعمرين الفرنسيين مثل: «فرنسا تخسر ٢١ جندياً في الجزائر»(١) أو «ثورة الجزائر تقلق

---

(١) صحيفة المنار، العدد/١٠٦٣/، تاريخ١٣/٨/١٩٥٥ ، ص١.

الفرنسيين»[١]، أو «جيش التحرير الجزائري ينذر القوات الفرنسية بشن هجوم مضاد»[٢].

وقد مارس الشعب دوره أيضاً في التعبير عن الكفاح المسلح بقصائد طويلة نقتبس من إحداها:

أي صـوت علـى (الجزائـر) يـدوي	**فـي صـماخ الأجيـال رجـع نـواح**
اغـضبي غـضبة النـسور وثـوري	**لميـــادين مجـــدك المـــستباح**
وانظـــري هـــذه الجبـــال الرواســـي	**شـــيّدت مـــن جمـــاجم وصـــفاح**
زمجـــري يـــا ذرى الجبـــال وميـــدي	**واســـحقي كـــلّ معتـــدٍ ملحـــاح**

٣ – ٥ - ٤ تحديد الموقف من الأنظمة العربية:

تميّز موقف صحيفة المنار من الأنظمة العربية بالحدّة والغضب، ولعله كان أعنف المواقف على الإطلاق بين كل الصحف الصادرة، وأكثرها تجريحاً بالأنظمة، وقد رافق الهجوم على الأنظمة تشكيكٌ بشرعية وجودها ثم اتهامٌ سافر بخيانتها وتحريض عليها: «متى يحمل العرب حكامهم على إيقاظ ضمائرهم». كأنما تريد الصحيفة أن توقظ الوعي بأن حكام العرب لا يملكون ضميراً وطنياً ولا ضميراً قومياً ومن لا يملك هذا الضمير هو مصيبة على أمته بل وعدو لها. وعلى هذا المستوى كتب رئيس تحرير الصحيفة بشير العوف: «إن مصيبتنا نحن العرب بالحكام والقادة والزعماء، أكثر من مصيبتنا بالمستعمرين والخصوم والأعداء. فمتى تدرك الشعوب العربية هذه الحقيقة الصارخة، ومتى يعلم العرب أنهم لن يصلوا إلى حق من حقوقهم بالاعتماد على «نصرة الأقوياء» أو على «عدالة هيئة الأمم المتحدة»؟؟ بل

---

(١) صحيفة المنار، العدد/١١٧٦/، تاريخ ١٩٥٥/١٢/٢٨، ص١.

(٢) صحيفة المنار، العدد/١٢٩٢/، تاريخ ١٩٥٦/٥/٢٨، ص١.

متى يعلمون أن مصائرهم وحقوقهم مازالت حتى الآن، سلعاً رخيصة تباع وتشترى في أسواق الدينار والدولار...»..

وبمخاطبة مباشرة يدين رئيس التحرير الحكام العرب ويعرّي حقيقتهم وواقعهم فيقول:

«... ليعلم قادة العرب وحكامهم وزعمائهم أنهم كانوا يملكون القوة الكاسحة لدعم حقوقهم فلم يستعملوها، وكانوا يحملون السلاح الفتّاك لتحرير أوطانهم فلم يشهروه، بل باعوا أنفسهم وبلادهم وشعوبهم بأبخس الأثمان، وهم لو شاءوا لفرضوا على الأجانب والمعتدين، وعلى الغاضبين والمستعمرين، كلّ ما يطلبونه من حقوق، وما يأملونه من فوز ونصر..»..

إننا نملك موقعاً استراتيجياً خطيراً بين الشرق والغرب، فلا نستغلّه ولا نساوم عليه، بل نقدّمه لقماً صغيرة سائغة للأعداء، ونملك ثروات بترولية ومعدنية هائلة، فلا نستغلّها ولا نساوم عليها، بل نبيعها بأبخس ثمن، ونبيع معها الكرامة والسيادة والحق، ونملك سلاح المقاطعة الرهيب فلا نشهره بوجه خصم واحد من الخصوم المتكالبين، فها هي بلادنا تعتبر محطات لمواصلاتهم وهاهي بحارنا تعتبر موانئ لتصرفاتهم، وهاهي أسواقنا تعتبر مستودعات لمنتجاتهم، ونحن لو شئنا لجعلنا لهذا كله الثمن الفادح، والقيمة المرموقة، ولكن البلاء كله في حكّامنا، إننا ندعو هؤلاء الحكام إلى إيقاظ ضمائرهم يوماً أو بعض يوم.

ومن خلال هذا المضمون وهذا الموقف نستشفّ استنهاضاً للقوى العربية الشعبية، والحض على الثقة بنفسها، وتوجيهها نحو الكفاح المسلح مثلما تفعل القوى الشعبية في الجزائر. ذلك أن الوصول إلى حقّنا لا يكون عن طريق الآخرين (الدول الكبرى) لأنها هي نفسها متآمرة، ولن يأتي عن طريق (الأمم المتحدة) لأن هذه الدول هي التي تتحكم بمصائر الشعوب، ولهذا يجب أن نأخذ حقنا بأيدينا وبنضالنا فقط، وبالاعتماد على ماهو متوفّر من الإمكانات في بلادنا..

٣ – ٦ دلالات العناوين:

تكشف العناوين الخاصة بالثورة الجزائرية والتي أتقنتها صحيفة المنار خطين متناقضين متصادمين جذرياً. الأول هو خط همجية الاستعمار الفرنسي، والثاني خط الحرية والاستقلال الذي يستميت المجاهدون الجزائريون من أجل تحقيقهما. وقد اختارت الصحيفة لكل خط مفرداته الملائمة ذات التأثير المباشر في النفس والتي تسجل الصورة المطلوبة التي تؤثّر بنوعيتين: الغضب على الهمجية الاستعمارية من جهة، والتعاطف مع الشعب الجزائري من جهة أخرى. ثم كراهية الاستعمار الفرنسي وتعشّق الجهاد إلى جانب الشعب الجزائري والالتصاق به من أجل تحقيق حريته واسترجاع استقلاله.

مع ملاحظة لابد منها وهي أن الصحيفة بالرغم من معارضتها السياسية للفكر القومي العربي، إلا أنها استخدمت المصطلح القومي والعروبة في غالبية تعليقاتها وأخبارها.

والجدول التالي يوضح لنا بعض المفردات ذات التأثير القوي في القراء، الذي يوقظ الانتباه والوعي، ويساهم في اتخاذ المواقف.

مفردات الخط الأول // الهمجية	مفردات الخط الثاني / الحرية
*حرب الإبادة	*أحرار الجزائر يقاومون.
*إبادة مستمرة	*المجاهدون يستبسلون.
*أنهار من الدماء	*استشهاد واستشهاد
*اعتقال الأبرياء	*الثوار يزحفون
*القمع الوحشي	*الجزائريون مؤمنون بثورتهم
*الدم المسفوك	*جيش التحرير ينذر
*انتقام من الشعب الأعزل	*هذا هو التقدم الفرنسي.
*نسف البيوت	*طلاب الجامعات حملوا السلاح
*آلاف القتلى	*مدنية فرنسا بالجزائر
*الإثم والبغي	*النضال في سبيل الاستقلال
*منع من السفر والتنقل	*جهاد وثورة ودماء
*وحشية لم يعرفها التاريخ	*لعنة دائمة في تاريخ الدول الكبرى.

من هذه المفردات المتقابلة تتضح لنا المعادلات التالية:

١ – الإبادة تعترضها المقاومة والاستبسال. ٢ – أنهار الدماء، لم تستطع اعتراض الاستشهاد.٣ – اعتقال الأبرياء يعترضه زحف الثوار. ٤ – القمع الوحشي، لم يقض على الإيمان بالثورة. ٥ – الإثم والبغي يعترضهما النضال في سبيل الاستقلال. ٦ – الانتقام من الشعب هو سقوط حضاري.٧ – الوحشية التاريخية يعترضها لعنة دائمة في التاريخ.

٣-٧ أسلوب المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية:

نشير في البداية إلى أن كلمة أسلوب هنا تعني الكيفية التي أوصلت بها صحيفة المنار الرسالة الإعلامية حول الثورة الجزائرية إلى جماهير الشعب السوري، والقراء الآخرين. ونرى أن معرفة الدافع.

الذي يكمن وراء الرسالة الإعلامية هو في الحقيقة مفتاح الكيفية التي تحدّد الأسلوب والتوجه.

والدافع الحقيقي والأساسي لصحيفة المنار هو الدافع الديني وإن لم يظهر مباشرة في النصوص التي درسناها، وإنما يتضح في الرسالة العقيدية للصحيفة التي أشرنا إليها عند التعريف برسالتها، حيث تستهدف خمسة أمور الرابع منها كفاح الاستعمار والخامس توحيد العرب والمسلمين.

أما الدافع الثاني وهو البارز في المادة الإعلامية، فإنه يوضح الارتباط القومي العربي بالجزائر وبشعب الجزائر، وكان هذا الدافع واضحاً تماماً سواء في العناوين التي استخدمتها الصحيفة في المادة الإعلامية أو في الأخبار والنصوص التي تتحدث عن الثورة. وهو مايخالف توجهها الآيديولوجي بالأساس!.

وهناك دافع آخر وهو الدافع الإنساني المرتبط بالخلق السامية للإنسان في أمثال هذه المفردات ملايين من البشر يبيدها الجيش الفرنسي، أو ملايين من البشر تميتها المجاعة، أو كل إنسان حر يتساءل.

ولذلك وبالتلاحم مع هذه الدوافع استخدمت الصحيفة أسلوب التأثير التراكمي على المدى الطويل لترسيخ المعلومات الحقيقية حول الاستعمار الفرنسي وتأكيد الأخوة الأبدية مع الشعب الجزائري. وكانت تمارس نوعين من التأثير. النوع الأول ويستهدف الإثارة الجماعية، والثاني يستهدف الإثارة العاطفية.

ففي الإثارة الجماعية كانت تسعى إلى تحريك الجماهير واستنفارها لأمرين، استنهاض الحس الوطني، والشعور القومي، من أجل الالتفاف حول الثورة الجزائرية، هذا من جهة، ثم الضغط على الأنظمة العربية لتقوم بواجبها القومي، من جهة ثانية.

وفي الاستثارة العاطفية استطاعت الصحيفة أن تخاطب العواطف السليمة لما لها من نفوذ على سلوك الإنسان، وذلك بصدق ما قدمته من معلومات لاسيما تلك الصور الميدانية التي تتكلم وحدها[١] عن بشاعة جرائم الفرنسيين في حق الإنسان الجزائري.

وهكذا كان تعاطف الشعب السوري مع الثورة الجزائرية، على أعلى مستوى من الصدق والاندفاع، وفي نفس الوقت، كانت مشاعر الكراهية والبغضاء ضد الاستعمار الفرنسي على أشدها.

على أنه على الرغم من هذه الميزات الإيجابية، فإننا نلاحظ تقصيراً واضحاً في مجال صياغة المادة الإعلامية، وعدم التزام الدقة. ففي العناوين مثلاً نقرأ مرة مصرع كذا من الجزائريين، ومرة استشهاد كذا من الجزائريين والمفروض أن مصطلح (استشهاد) يجب أن يستمر لأنه يتناسب أولاً مع توجه الصحيفة نفسها، وكذلك مع تسمية الجزائريين لمقاتليهم بالمجاهدين.

أما في تفاصيل الخبر أو النصوص الأخرى فلا نقرأ كلمة «شهيد» وإنما نقرأ كلمة قتيل. وكذلك نقرأ كلمة ثائر بدل كلمة «مجاهد» المناسبة لطبيعة

(١) انظر الملحق.

المادة الإعلامية، ومرد ذلك في تقديرنا يعود إلى قصور في هيئة التحرير سواء من حيث العدد أو الخبرة.

وهكذا نستخلص من مجمل النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة المادة الإعلامية لصحيفة المنار عن الثورة الجزائرية أنها ركزت على إدانة همجية الفرنسيين، وكرّست معظم هذه المادة لفضح أساليب وحشية الفرنسيين وسياستهم الاستبدادية. ومن جهة ثانية أضاءت بطولات المجاهدين الجزائريين ونادت المواطن العربي السوري «ماذا أديت من واجبك تجاههم؟ أنت مدعو لنصرة الجزائر، لعلك تعبّر عن شعورك وترسم من بعده طريقاً لأداء واجبك»[١].

ومع ملاحظات سلبية في تبلبل التحرير وعدم دقته استناداً إلى ترجمة الأخبار في غالب الأخبار دون إعادة الصياغة، وفق سياسة الصحيفة الملتزمة بتأييد الثورة الجزائرية.

٣ - ٧ صحيفة البعث:

بدأت صحيفة البعث نشرة سرية تُحّرر بخط اليد إلى أن صدر العدد الأول منها في اليوم الثالث من شهر تموز/ جويلية عام ١٩٤٦، وهي تمثّل التيار القومي العربي، كما تنطق باسم حزب البعث العربي الذي طرح شعارات: وحدة، حرية، اشتراكية.

ويعني الحزب، بكلمة الوحدة، وحدة الأمة العربية التي نجدها في شعار آخر، أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة.

وتعدّ النظرية القومية الاشتراكية الإطار الفكري الشامل لعقيدة حزب البعث إذ إنها برأي منظّريها تقدّم نظاماً فكرياً يتضمن ثلاثة مستويات: **الأول**: هو مستوى تفسيري وصفي للواقع العربي تاريخاً وحاضراً. و**الثاني**: مستوى

---

(١) صحيفة المنار، العدد/١٠٧٠/، تاريخ ١٩٥٥/٠٨/٢٣، ص ١.

استدلالي يُسهم في تحديد القوانين الخاصة لتطور الواقع العربي استناداً إلى القوانين العامة للتطور البشري، والقوانين العامة للمنطق الجدلي، أما المستوى الثالث فهو استنتاجي يُسهم في رسم صورة المستقبل في الوعي قبل أن يصبح هذا المستقبل حقيقة واقعة.

والنظرية في رأيهم أيضاً تقدّم قاعدةً راسخة لعقيدة نضالية متكاملة، فالقومية تعني وعي الأمة لذاتها من جهة أولى، ولنضالها من أجل تحقيق ذاتها من جهة ثانية. وبالوعي والنضال ينتقل وجود الأمة من وجود في ذاته إلى وجود لذاته، بمعنى أن الوجود البسيط للأمة (كمجموعة من الأفراد والجماعات تتكلم لغة واحدة، وتعيش على أرض واحدة، ولها تاريخ وثقافة واحدة)، يتحوّل عبر الوعي الذاتي والنضال أي عبر (القومية) إلى وجود يدرك أهدافه ويناضل من أجل تحقيقها...

فالقومية تعبر عن عملية الارتقاء بالأمة من حالة التخلّف والركود إلى حالة النهوض والتقدم والفعل[١].

من أجل خدمة هذه الأفكار ونشرها وتعميمها صدرت صحيفة البعث التي ركّزت على أن الوحدة العربية يجب أن تكون تقدمية وتسير بالأمة العربية نحو المستقبل التقدمي المشرق.

صدرت صحيفة البعث أول ما صدرت يومية بأربع صفحات كبيرة، ولم يكن يعمل فيها محررون محترفون، بل كان جميع الحزبيين يسهمون في تحريرها وإصدارها وتوزيعها أيضاً، وقد جاء في افتتاحية العدد الأول التي تحمل عنوان: «بذور البعث» مايلي:

«لقد حيل بين (البعث العربي) وبين حقّه في إصدار صحيفة تنطق باسمه مدة ثلاث سنوات كاملة، وهاهو اليوم يصدر صحيفة البعث، بعد أن

---

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي، معالم المسيرة النضالية، دمشق، دار البعث للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص ٢٤-٢٥.

أصّرت الحكومة على أن لا تسمى (البعث العربي) ونريد أن نربح كلّ الناس وأن تعمّ فكرتُنا جميعَ أفراد أمتنا، ولكننا نعرف أن ذلك لن يكون الآن، ولن يتم بغير مشقّة، إننا نتطلّع إلى المستقبل، ونعمل له، ومن أجل ذلك نضحّي بالحاضر ونظفر عليه..

إن الأمة مازالت تنتظر الذين يخاطبونها بصدق وبساطة وثقة ومحبة. وما نحسب الذين يصانعونها ويخادعونها مستكثرين عليها قول الحقيقة»(١)..

يتّضح من خلال هذا التوجّه الذي عبّرت عنه الافتتاحية والذي يعكس موقف الحزب أن الخطّ العام للصحيفة هو معارضة النظام الحاكم، والعمل على تثبيت مبادئ الحزب ونشرها في أوسع الأوساط من جماهير الشعب. ولم تخل الافتتاحية من نبرة تحدٍ للنظام واضحة في هذه الجملة: «نريد أن نربح كل الناس، وأن تعمّ فكرتنا جميع أفراد أمتنا»..

هذا الموقف المعارض سبَّب عدم انتظام صدور الصحيفة، كما أدّى إلى تعطيلها مرات عدة، ولم يصدر منها في عامي (١٩٥٤-١٩٥٥) سوى خمسة عشر عدداً في ثلاثة منها بعض الأخبار عن الجزائر.

عندما كانت الصحيفة تصدر يومية كان مديرها المسؤول صلاح الدين البيطار وكان مديرها السياسي ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث العربي. أما مساحتها فكانت (٥٨ × ٤٤) أي ٢٥٥٢سم^{٢}. وكان صاحب الامتياز عادل السعدي.

خصّصت الصحيفة الزاوية اليمنى من أعلى الصفحة الأولى للعنوان «البعث» وتحته تعريف بها: جريدة البعث العربي، وفي استمرار الزاوية إلى الأسفل خصّص مكان الافتتاحية التي لم تكن ثابتة زمنياً..

---

(١) صحيفة البعث، العدد الأول، دمشق ، تاريخ ١٩٤٦/٠٧/٠٣.

وعلى الصفحة نفسها من الجهة اليسرى ومن الأسفل عمود ثابت (قاري) يحمل عنوان: «من البلية ما يضحك»، وفي محتواه صور من النقد الساخر للنظام والأوضاع الاجتماعية، أما بقية الصفحة فتتناول أهم الأخبار العالمية وكذلك أهم الأخبار المحلية.

وتختص الصفحة الثانية بالشؤون الداخلية، من أحداث المجتمع وأخبار الدولة، مع ربط تفسيري للعلاقة بين النظام والأوضاع الداخلية للوطن.

على أن الصفحة الثالثة تكاد تقترب من الصفحة الأولى في توجّهها نحو الأخبار العالمية وقضايا العالم بشكل عام والقضايا العربية بصورة خاصة، بالإضافة إلى أقوال الصحف الأخرى بين الحين والآخر.

ومن الملاحظ أن الصحيفة لم توظّف خطاطين يهتمون بكتابة العناوين الكبيرة والعناوين الفرعية. كل الكتابة كانت بالأحرف المطبعية، مع إخراج تلقائي وبسيط.

كذلك لم تستخدم الصحيفة الصورة كنوع صحافي. ولم يظهر الاهتمام بالصورة إلا في وقت متأخر، وبدءاً من الشهر السادس لعام ١٩٥٤.

يتكرر عنوان الصحيفة بخط هندسي على الزاوية اليمنى للصفحة الرابعة التي خصّصت لتتمة المقالات والأخبار، وما ندر للإعلانات، التي لم تتعد بعض الأفلام السينمائية التي تعرض في صالات دمشق، وكذلك يانصيب معرض دمشق الدولي.

ومن أهم ما يلاحظ على الصحيفة باعتبارها صحيفة رأي وإيديولوجيا، أنها لم تخص مكاناً لبريد القراء، وهي التي أعلنت أنها تريد أن تربح كل الناس، وبهذا لم تفتح المجال للحوار فيما بينها وبين جمهور القراء.

وهكذا استمرت صحيفة البعث إلى أن طرأ التغيير الرئيسي عليها عام ١٩٥٦، حيث بدأت تظهر أسبوعياً، وبثماني صفحات وبمقياس (٥٨× ٤٤)

أي من الحجم الكبير. وظهرت الصورة كنوع صحافي كما ظهرت آثار الخطاطين في كتابة العناوين الكبيرة والفرعية.

جاء العدد الأسبوعي الأول بتاريخ (١٩٥٦/٤/٢٠) يحمل اسم صحيفة البعث في الزاوية اليمنى نفسها من الصفحة الأولى وإلى جانب الاسم في إطار دائرة باللون الأخضر، شعار الصحيفة «أمة عربية واحدة – ذات رسالة خالدة»، وقد استعمل اللون الأخضر في الصفحة الأولى فقط. وظلت الافتتاحية تحت اسم الصحيفة مباشرة وكانت تحمل عنوان: «تسلّح العرب ضمانة للسلم»، وكان إلى جانب الافتتاحية خبر مفصّل تحت عنوان: «أنباء الوطن العربي في أسبوع». هذا الخبر المفصّل يتناول الأحداث في الجزائر ممهداً لها بالعنوان التالي:

مقاطعة فرنسا قيد الدرس، والشعب العربي في الجزائر تُبيده جيوش فرنسا والحلف الأطلسي، مبادرة المقاطعة جاءت من سورية والعراق.

أما ما يلاحظ في هذا العدد فهو بعض التغيّرات التي أُدخلت على تبويب الصفحات باعتبار أن الصحيفة راحت تصدر بثماني صفحات كما أشرنا.

ففيما يتعلق بالصفحة الأولى والثانية لم يحدث تغيير يذكر إذ ظلت الصفحة الأولى كالسابق تتناول الأنباء العالمية الهامة والعربية والمحلية، وظلت الصفحة الثانية للشؤون الداخلية.

وجاء التغيير في الصفحة الثالثة إذ خصصت للبحوث الإيديولوجية وبصورة خاصة في «القومية»..

والجديد في الصحيفة تخصيص الصفحة الخامسة للآداب والفنون، والسادسة لدراسة الشخصيات السياسية المشهورة، وكذلك للتعليقات في السياسة العالمية.

وأما الصفحتان الأخيرتان السابعة والثامنة فقد بقيتا لنشر تتمات المقالات، والأخبار والأحداث، التي وردت في الصفحات السابقة.

٣ - ٧ – ١ توصيف المعالجة الإعلامية في صحيفة البعث:

هي أيضاً صحيفة رأي، شديدة التمسك بالقومية العربية. وصنّفت نفسها بأنها رائدة الوحدة العربية، ومن هذا المنطلق كرست مضمونها الإعلامي لمخاطبة الجماهير العربية، سواء في القطر العربي السوري، أم في جميع أقطار الوطن العربي، لذلك كان اهتمامها الأول منصبّاً على الوحدة العربية بالإضافة إلى القضايا السياسية التي تشغل الأمة العربية، وبصورة خاصة المؤامرات التي كانت تدبّر ضد القطر العربي السوري وفلسطين.

واهتمت أيضاً بالسياسة العالمية والشخصيات السياسية المشهورة وربطت مابين السياسة العالمية ومايحيط بالوطن العربي من مخاطر.

ولعل ما يميّز صحيفة البعث عن الصحف الأخرى هو ذلك الاهتمام بالبحوث الإيديولوجية أو ماكان سائداً من التيارات الفكرية في تلك الفترة، وكذلك بالآداب التي تأثرت بالإيديولوجيات التي عرفت فيما بعد الحرب العالمية الثانية، لكنها ركزت بصورة خاصة على الإيديولوجية القومية.

على أن هذا الاهتمام الكبير بالقضايا السياسية والثقافية لم يشغل الصحيفة عن القضايا الاجتماعية، وحالات الفقر والبؤس لاسيما في المناطق الريفية، وهو ماكان ينعكس في الصفحة الثانية المخصصة للشؤون الداخلية.

أما فيما يتعلق بالأنواع الصحافية التي جرى استخدامها في المعالجة الإعلامية فقد كانت في معظمها مطابقة لشخصية الصحيفة كونها صحيفة رأي. فكانت الافتتاحية، والمقال والتحقيق والعمود، وبالإضافة إلى هذه الأنواع كان للخبر حضور أكثر من حيث التكرار، وكذلك كان للعناوين من الصفات ما ينسجم مع طبيعة الصحيفة وتوجهاتها، لكن استخدامها لم يكن بالقوة ذات التأثير الكبير، إذ افتقدت عنصر الجاذبية، وتناسب صيغة الخبر مع العرض.

٣-٨ التوصيف الكمي:

أوضحنا فيما سبق عدم الاستقرار الذي عانت منه صحيفة البعث وحالات الإيقاف والتوقف التي اعترتها. لذلك فإن التوصيف الكمي يتناول عام ١٩٥٦ وهو العام الأكثر استقراراً بالنسبة للصحيفة والذي توفرت فيه المادة الإعلامية التي تناولت الثورة الجزائرية، وذلك من خلال اثنين وعشرين عدداً من أصل خمسة وثلاثين، وهو مجموع ما صدر من الصحيفة في العام المعني، والجدول التالي يحدّد لنا المساحة التي شغلتها مادة التحليل بالنسبة لمادة التحرير.

جدول رقم (٦)

يبين مساحة مادة التحليل ضمن مادة التحرير

خلال الفترة مابين ١٩٥٦/٤/٢٠ إلى ١٩٥٦/٩/٢٨

الرقم	الشهر والسنة	مساحة مادة التحرير/سم٢	مساحة مادة التحليل سم٢	النسبة المئوية %
١	أفريل/ نيسان ١٩٥٦	٣٢٤٢٠	١٩٨١	٦.١١
٢	ماي/أيار ١٩٥٦	٦١٦٥٢	٣٠٧٩	٠٥
٣	جوان/ حزيران ١٩٥٦	٥٩٣٣٢	٢٢٠١	٣.٧٠
٤	جويليه / تموز ١٩٥٥	٣٠٦٨٤	٩٧٣	٣.١٧
٥	أوت / آب ١٩٥٥	٣٠٠١٧	٨٣٦	٣.٨٠
٦	سبتمبر / أيلول ١٩٥٥	٥١٢٣٠	١٦٧٧	٣.٢٧
المجموع		٢٦٥٣٣٥	١٠٧٤٧	٤.٠٥

ينطبق على صحيفة البعث في التوصيف الكمي، ما انطبق على صحيفة المنار من ظروف موضوعية وذاتية، ومع أن نسبة الكم المخصص للثورة الجزائرية تبدو قليلة، لكن تكرار الإعلام الزمني حافظ على استمرارية

حسنة، حيث أن أنباء الثورة الجزائرية شغلت نسبة ٦٣% من مجموع الأعداد، أي بتكرار زمني متناسق تقريباً. ومثل هذا التكرار يوقظ ذاكرة الرأي العام باستمرار ويشدّه إلى متابعة الثورة باهتمام.

ولعل ما يلفت الانتباه هو أن المادة الإعلامية التي عالجت الثورة الجزائرية كانت تتناقص مساحتها من شهر إلى آخر، فأعلى نسبة كانت في الشهر الأول لظهور الصحيفة وهي ٦.١١% ثم هبطت إلى ٥% في الشهر التالي إلى أن وصلت إلى ٢.٨% في الشهر الخامس مع ارتفاع نسبي في الشهر السادس لصدور الصحيفة.

غير أننا عندما نعود إلى التاريخ ندرك سبب هذا التناقص، وهو سبب موضوعي، فالصحيفة كما أوضحنا، كانت رائدة الدعوة إلى الوحدة العربية، وكانت شديدة التعاطف أيضاً مع الثورة المصرية. وبعد أن اشترت مصر السلاح من البلدان الاشتراكية آنذاك، فقد أثار هذا الحدث هيجاناً إعلامياً غربياً معادياً لمصر، فانصرفت الصحيفة للتصدي لهذا الإعلام منذ شهر ماي ١٩٥٦، ثم أعقب ذلك سحب الولايات المتحدة لعرضها بتقديم القرض إلى مصر من أجل بناء السد العالي، وكان ذلك بتاريخ ١٩ جويلية_ تموز ١٩٥٦، وجاء ردّ قيادة الثورة المصرية حازماً على القرار الأمريكي إذ أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس في ٢٦ جويلية/تموز ١٩٥٦ وهو ماكان له وقع الإنفجار المدوي في العواصم الغربية وفي الإعلام الغربي[١]. وقد أدى تطور هذه الأحداث فيما بعد إلى العدوان الثلاثي الإسرائيلي الفرنسي الإنكليزي على مصر في ٣٠ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٦.

---

(١) أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، تاريخ الأقطار العربية، دار التقدم، ١٩٧٦، ج٢، موسكو، ص ٩٥-٩٧.

وهكذا فإننا بالرجوع إلى الجدول رقم (٦) يظهر لنا أن الفترة التي تناقصت فيها مساحة المادة الإعلامية الخاصة بالثورة الجزائرية، هي الفترة نفسها التي كانت فيها أحداث الثورة المصرية تشغل العالم.

٣- ٨ – ١ الأنواع الصحافية المستخدمة:

استخدمت صحيفة البعث معظم أنواع الكتابة الصحفية التي تتناسب مع صحافة الرأي وفي مقدمتها المقال، وإن لم يبرز بكثافة، ولم تظهر الصورة كنوع صحافي إلا مرة واحدة، كانت من ميدان القتال، وبمساحة ٥٠سم². والجدول التالي رقم (٧) يبين لنا هذه الأنواع، وذلك تبعاً لتسلسل التكرار ابتداءً من الأعلى.

جدول رقم (٧)

يبين الأنواع الصحافية المستخدمة في تغطية أحداث الثورة الجزائرية

المجال/ النوع الصحفي	عسكري التكرار	سياسي التكرار	اجتماعي التكرار	المجموع	مجموع المساحة سم²	النسبة المئوية%
الخبر	١١	٠٤	-	١٥	٤٩٤٨	٤٦.٠٤
العناوين	٠٤	٠٢	-	٠٦	٥١٤	٠٤.٧٨
المقالة	-	٠٤	-	٠٤	٣١٦٥	٢٩.٤٥
الافتتاحية	-	٠٢	-	٠٢	٧٤٠	٠٦.٩٠
العمود	-	٠٢	-	٠٢	٤٠٦	٠٣.٧٨
التحقيق	٠١	-	-	٠١	٤٢٢	٠٣.٩٢
الشعر	-	٠١	-	٠١	٥٥٢	٠٥.١٣
المجموع	١٦	١٥	-	٣١	١٠٧٤٧	%١٠٠

يلاحظ في الجدول رقم (٧) أن الخبر جاء في المرتبة الأولى من حيث التكرار، وجاءت العناوين في المرتبة الثانية، وهو ماكان نفسه في صحيفة المنار، أما المقالة فكانت لها المرتبة الثالثة ثم تلتها الافتتاحية، ثم العمود، وفي المرتبة الأخيرة جاء التحقيق. وفي نفس المرتبة جاء الشعر كنوع أدبي صحافي.

وكما في صحيفة المنار فإن الاختلاف في المساحة التي شغلها كل نوع من هذه الأنواع يجعل التكرار أحياناً أقل مرتبة رغم صعوده.

والجدول التالي رقم (٨) يبين لنا مرتبة كل نوع صحافي من حيث المساحة.

جدول رقم (٨)

المرتبة	النوع الصحافي	التكرار	المساحة سم٢	النسبة المئوية
١	الخبر	١٥	٤٩٤٨	٤٦.٠٤
٢	المقالة	٠٤	٣١٦٥	٢٩.٤٥
٣	الافتتاحية	٠٢	٧٤٠	٠٦.٩٠
٤	الشعر	٠١	٥٥٢	٠٥.١٣
٥	العناوين	٠٦	٥١٤	٠٤.٧٨
٦	التحقيق	٠١	٤٢٢	٠٣.٩٢
٧	العمود	٠٢	٤٠٦	٠٣.٧٨

وهكذا نتبين من هذا الجدول أن الخبر ظل محافظاً على المرتبة الأولى، في حين حلّت المقالة في المرتبة الثانية مكان العناوين، وجاءت الافتتاحية في المرتبة الثالثة مكان المقالة، ثم جاء الشعر في المرتبة الرابعة

مكان الافتتاحية، وجاءت العناوين في المرتبة الخامسة مكان العمود وبقي التحقيق محافظاً على المرتبة السادسة في حين جاء العمود في المرتبة السابعة والأخيرة.

من الواضح خلال التبدّلات في العناصر التيبوغرافية أن صحيفة البعث لم تتمكن من استغلال الأنواع الصحافية ذات الأهمية بالنسبة لصحيفة الرأي. وقد جاء التقصير واضحاً في عدم الاهتمام بالتحقيق البالغ الأهمية في العمل الصحافي بما يتّصف به من قوة التركيز على الظاهرة أو الوقائع وحتى على التطورات المعنية التي تحدث وبما يتصف به من قدرة على دراسة هذه التطورات وتحليلها وتفسيرها..

وكذلك كان التقصير في مجال استخدام الافتتاحية الأقدر على توصيل الفكر الأساسي للصحيفة، والعمود الذي لا يقل أهمية عن الافتتاحية، فالعمود هو نوع من الافتتاحية إلا أنه أخف منها وأكثر حيوية وفنية، وليس طويلاً، ولا يتكرر مضمونه.

ويلفت النظر في صحيفة البعث ذلك الهدوء غير المنتظر الذي ساد العناوين وضعف صيغة الخبر مع العرض وطبيعة الثورة الجزائرية، وهو ما أفقد العناوين قوة التأثير والجاذبية التي توقظ الحس العاطفي، ويبدو من قراءة هذه العناوين أنها موجهة إلى فئة معينة من الجماهير، التي تستطيع أن تتصور مايمكن أن يدل عليه هذا العنوان أو ذاك. والأمر الإيجابي في هذه العناوين أنها جاءت حسنة من حيث موقعها في الصفحة الأولى والثالثة.. وتتضح هذه العناوين في الجدول التالي:

جدول رقم (٩)

يبين العناوين التي استخدمتها صحيفة البعث في مادتها حول الثورة الجزائرية

الرقم	نص العنوان	رقم العدد	تاريخ العدد
١	فرنسا تحرم أبناء المغرب العربي من العلم	٠٣	١٩٥٦/٠٥/٠٤
٢	هذا ما تفعله فرنسا بشعبنا في الجزائر	٠٣	// //
٣	الجزائر في معركتها السياسية	٠٤	١٩٥٦/٠٥/١١
٤	كارثة ككارثة الهند الصينية تنتظر الاستعمار الفرنسي في الجزائر	٠٥	١٩٥٦/٠٥/١٨
٥	ماذا ترك الحكم الفرنسي في الجزائر	٠٥	// //
٦	خطر الإبادة في الجزائر	٠٦	١٩٥٦/٠٥/٢٥
٧	أمريكا تشحن الأسلحة للجيش الفرنسي في الجزائر، والحكومة السورية تؤمنه بالحبوب	٠٧	١٩٥٦/٠٦/٠١
٨	دور معركة الجزائر في نضالنا القومي الإنساني	٠٨	١٩٥٦/٠٦/٠٨
٩	لا رجوع ولا تراجع	٠٩	١٩٥٦/٠٦/١٥
١٠	فرنسا بين الدم والفلوس	١١	١٩٥٦/٠٦/٢٩
١١	أسرعوا بحل قضية الجزائر	١٢	١٩٥٦/٠٧/٠٦
١٢	إعدام فدائي بالمقصلة	١٣	١٩٥٦/٠٧/١٣
١٣	الثورة الجزائرية فلسفة في النضال	١٦	١٩٥٦/٠٨/٠٣
١٤	الشعب المستميت في سبيل حريته سيقضي على الاستعمار الفرنسي	١٧	١٩٥٦/٠٨/١٠
١٥	حرائق مبيدة ومصرع ثلاثين فرنسياً	١٨	١٩٥٦/٠٨/١٨
١٦	التجارب التي مر بها العمل الثوري في الجزائر	٢١	١٩٥٦/٠٩/٠٧
١٧	قضية الجزائر والحلول العقيمة	٢٤	١٩٥٦/٠٩/٢٩

استخدمت صحيفة البعث كل الأنواع الصحافية في اتجاهين في مادتها الإعلامية الخاصة بالثورة الجزائرية، الأول يتحدث عن أخبار المعارك العسكرية، والثاني يتناول القضايا السياسية. ويبين لنا الجدول رقم (٧) أن الأخبار العسكرية تكررت ست عشرة مرة من مجموع واحد وثلاثين أي بنسبة مئوية قدرها ٥١.٦١% ، وتكررت المادة الإعلامية السياسية خمس عشرة مرة أي بنسبة ٤٨.٣٩% والنسبتان كما هو ملاحظ متقاربتان جداً، لكن الذي غاب عن المادة الإعلامية تماماً هو المجال الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، وهذه المجالات كلها كانت تلتصق بالثورة الجزائرية.

وهكذا يتضح أن صحيفة البعث قد ركّزت كل اهتمامها على الجانبين العسكري والسياسي. وليس هذا مستغرباً إذ إن كل الصحف السورية اهتمت بهذين الجانبين وهو ما أشرنا إليه عند دراستنا صحيفة المنار، وأوضحنا أنهما كانا يمثلان الثقلين الأساسيين للثورة الجزائرية أمام الرأي العام المحلي والرأي العام العالمي.

٣ – ٨ التحليل النوعي:

انطلقت صحيفة البعث في معالجتها الإعلامية للثورة الجزائرية من أعماق عقيدة حزب البعث العربي، وهي أن العرب جميعاً أمة واحدة، وأن مصيرهم واحدٌ أينما كانوا. وقد رسّخت هذا التوجه في خطابها الإعلامي واستمرت عليه. وقد تميز مضمون الإعلام الذي مارست نشره بثلاثة أنواع من الإنتاج الإعلامي:

الأول: إنتاج هيئة التحرير للصحيفة.

والثاني: ما قدمه ممثلو الثورة الجزائرية في سورية.

والثالث: ماجرى ترجمته عن اللغة الفرنسية إلى العربية، وهي ميزة خاصة بالصحيفة. وكان الهدف من هذه الترجمة تنويع عرض القضية الجزائرية،

وتكثيف المعلومات عنها أمام القارئ العربي لا سيما وأن الصحيفة كانت تضم عدداً غير قليل من الحزبيين الذين درسوا في فرنسا، وأتقنوا اللغة الفرنسية.أمثال صدقي اسماعيل وصلاح البيطار وميشيل عفلق.

وقد استقر مضمون المادة الإعلامية في هذه الأنواع الثلاثة على أربعة محاور:

١ – تعرية الاستعمار الفرنسي.

٢ – تأكيد الهوية العربية لشعب الجزائر.

٣ – مكانة الثورة الجزائرية.

٤ – انتقاد الأنظمة العربية.

٣ – ٨ - ١ تعرية الاستعمار الفرنسي:

ركزت الصحيفة بقوة على همجية المستعمرين الفرنسيين ووحشيتهم، ومحاولتهم بكل أنواع الإرهاب قتل الروح القومية في الجزائر فكتبت: «جنود الاستعمار الفرنسي الذين يقفون أمام جثث الضحايا الأبرياء وقفة تشف وحذر، بعد أن نكلوا بهم، وجوه جبانة لم تقو على الصمود في وجه المناضلين الذين أذاقوهم الهزيمة فلجأوا إلى أحط ما عرفه العالم من وسائل التشنيع في النساء والأطفال والمدنيين، لقد أفرغ الاستعمار قلوبهم من كل شعور إنساني وملأها بالخسة والغدر»(١).

ولقد أصابت الصحيفة عمق الاستعمار الفرنسي عبر تصوير جدلي استلهم تعابيره من كينونة الإنسان المتضادة، كينونة إنسان الشعوب المظلومة، وكينونة الإنسان الظالم، فقد أضاءت رموز الخير والكرامة الإنسانية في الشعب الجزائري، وأحرقت رموز الشر كلها في الإنسان المستعمر، «إنَّ شعبنا في

---

(١) صحيفة البعث، العدد الثالث، تاريخ ٠٤/٠٥/١٩٥٦، ص١.

الجزائر حين كشف عن خير ما في الإنسان، أكْرَهَ أعداءه على أن يكشفوا عن أحطِّ مافي الإنسان، فكانت المعركة أكثر من معركة شعب يستخلص وجوده وحريته الإنسانيتين قطرة قطرة، إذ انقلبت إلى معركة بين الخير والشر. معركة استعلت على الزمان، هي اليوم موضوع تأمل، لا موضوع معاناة حية، الجسد الإنساني أحدُ أدواتها»(١).

نفهم من هذا الموقف أن الصحيفة تنظر إلى صراع الثورة الجزائرية مع الاستعمار الفرنسي على أنه صراع روحي بين منظومة القيم الخيرة للشعب الجزائري، ومنظومة قيم التدمير الإنساني التي تجسد فيها المستعمرون الفرنسيون. وقد أصبح هذا الصراع تاريخياً مع مرور السنين، ولذلك فالصورة هي كما توضح الصحيفة، أنه «كما لم يمتحن الإنسان الحي مثلما يمتحن أخوة لنا في الجزائر فكذلك لم تمتحن الإنسانية كلها، ضميرها وحقيقتها، مثلما تمتحن الآن في موقفها من ثورة الجزائر»(٢).

ونجد تفسيراً لهذه الصورة فيما نشرته الصحيفة من دراسة للطلاب الجزائريين في فرنسا، فقد جاء في توصيف أحوال الشعب الجزائري هذه الحقائق الدامغة التالية:

١ – إلى جانب الثروات الأسطورية التي يجنيها المستعمرون الفرنسيون في الجزائر، فإن الشعب الجزائري يجد ضروباً من البؤس يصعب وصفها، فمستوى الحياة لدى الجزائريين هو أدنى مستوى في العالم وثلاثة أرباع هؤلاء محرومون من الحليب، واللحم، والبيض والمواد الدهنية..

٢ – نقص التغذية حالة مزمنة، وأكثر المسلمين في المدن مرغمون على العيش في بيوت من التوتياء، أما في الأرياف فهم إما في القباب المغربية أو في كهوف تحت الأرض. وحركة اغتصاب الأراضي ماضية إلى الأمام.

---

(١) صحيفة البعث، العدد /٢٨/ تاريخ ١٩٥٦/١٠/١١، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه.

٣ – انتشار مرض السل والتراخوما، وعدد المصابين بالسل لا يقل عن أربعمئة ألف مسلول. كما أن نسبة موت الأطفال من المسلمين تقرب من ٥٠%[١].

وتظل صحيفة البعث تتبع جرائم المستعمرين الفرنسيين وتندّد بهم وبوحشيتهم، وتخاطب العالم: «ما نظن أن شعباً غير شعبنا في الجزائر عانى مثل هذه الويلات، وهو في ظلمات السجون تحت ما لا يطاق من العذاب يثبت وجوده بالفعل.

إن من حق هذا الشعب على الإنسانية أن تحني له رأسها»[٢].

٣ - ٨ - ٢ تأكيد الهوية العربية للشعب الجزائري:

اهتمت صحيفة البعث بهوية الشعب الجزائري، بسبب الرابط القومي العربي والاعتقاد الثابت أن القضايا العربية كلٌ لا يتجزأ، فبقدر ما تعني الثورة الجزائرية الجزائريين، فإنها تعني أيضاً جميع العرب، في مشرقهم ومغربهم، ونضال الجزائريين هو جزء من نضال الأمة العربية كلها على طريق العمل التحرري القومي الإنساني. لذلك فهي عندما تتحدث عن الشعب الجزائري تستعمل هذه الصيغة «شعبنا في الجزائر» أو «عرب الجزائر».

وعندما تتحدث عن الإرهاب الفرنسي تؤكد أن هذا الإرهاب إنما يرمي إلى قتل الروح القومية العربية في الجزائر. ولذلك «فإن الثورة الجزائرية قد استمدّت روحها من المنبع الرئيسي للنهضة القومية العربية التي تشمل شمال إفريقيا والشرق الأوسط»[٣] .

---

(١) صحيفة البعث، العدد ٠٥، تاريخ ١٨/٠٥/١٩٥٦، ص٣.

(٢) صحيفة البعث، العدد ٢٨، مصدر سابق.

(٣) صحيفة البعث، العدد ٠٥، مصدر سابق.

«إن كل إمعان من قبل فرنسا في السياسة الاستعمارية إن كان يوقع ضرراً في عرب الجزائر فهو يوقع في مصالح الشعب الفرنسي أضعاف هذا الضرر. نحن اليوم في قلب التاريخ الإنساني، نؤثّر فيه أكثر مما نتأثر به. فهل قدّرنا الموقع الخطير لثورة الجزائر في هذا النضال؟»[١].

إن الاستعمار الفرنسي يشنُّ حرب إبادة على الشعب العربي في الجزائر، وبقدر ما نساهم في مساعدته ليتحرر من المستعمر يكون نضالنا ضد الاستعمار صادقاً وشاملاً ومعبراً عن تجربتنا القومية التي هي تجربة الإنسانية.

ولقد كان للشعر في الصحيفة أيضاً وقفة اعتزاز بالإنسان العربي وبطولته في الجزائر كقصيدة الشاعر، علي الحلي بعنوان: (ليل الجزائر) وهي مهداة إلى البطل العربي المغوار، الثائر المجهول في الجزائر.

من هذه القصيدة:

وفمُ الثار

وخطى النار

ودمُ الغادين الثوار

وحداءُ يتامى الأحرار

وقرانا في السفح الهاري

ودمُ الأطفال الأبرار

سيعصبُ أحداق الليل

وتمزق أشداق الهول

وتلطخ أوضام الويل

---

(١) صحيفة البعث، العدد الثامن، تاريخ ١٩٥٦/٠٦/٠٨، ص١.

بدماء الصرعى كالسيل

ويشيد للباغي قبره

في الأرض الحمراء الحرة[١]

وهكذا وعبْر هذا التوجه عملت صحيفة البعث على خلق وعي وحدوي إذ أوحت أن معركة الجزائر هي معركة الأمة العربية وأن انتصار العرب فيها سيؤدي إلى التقاء المشرق والمغرب في وحدة عربية كبرى..

٣ – ٨ – ٣ مكانة الثورة الجزائرية:

تناولت صحيفة البعث الثورة الجزائرية بفكر عميق ووعي سبّاق لم يرد له مثيل في الصحف الأخرى. فقد أبصرت فيها بناءً فوقياً من طراز جديد له منظومة قيمة القائمة بذاتها وذات الأبعاد الإنسانية الشاملة، فعرّفتها بأنها فلسفة في النضال، أي جوهر ومرجع، لم تأخذ من أية ثورة ولم تتأثر بأي ثورة. وإنما خلقَ واقعُها فلسفةً نوعية قريبة من الناس قريبة من الشعوب السائرة نحو الحرية والتحرر. هذا العمق الإنساني جعل الثورة الجزائرية مرجعاً للمناضلين ضد الاستعمار والظلم، وفي سبيل حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

«إن الثورة الجزائرية هي من صنع الجزائريين أنفسهم، ولا ترتبط بأية جهة. وإن الجزائر المحاربة تملك رؤوساً سياسية نيّرة. ولذلك لم يكن ممكناً إخمادها، كما كان يمكن أن يحدث ذلك فيما لو كانت فوضوية، وجيش التحرير استطاع في سنة واحدة أن يحلّ محلّ جميع الأحزاب السياسية الموجودة منذ عشرات السنين»[٢] .

---

(١) صحيفة البعث، العدد ١٩، تاريخ ١٩٥٦/٠٩/٠٧، ص٣.

(٢) صحيفة البعث، العدد السادس، تاريخ ١٩٥٦/٠٥/٢٥.

«إن الثورة الجزائرية إنما تهدف إلى أن تحصل قبل كل شيء على الحقّ المقدّس، حقّ الشعب في الاستقلال. وحين تنتصر الثورة قريباً ستزول بقايا النظام الإقطاعي التي استمرت حتى الآن بسبب الاستعمار، ولن تكون الدولة الجزائرية ملَكيّةً ولا دولة دينيّة»(١).

وباتجاه آخر لم تهمل صحيفة البعث التصدّي للدعاية الفرنسية الاستعمارية، وتعرية كوامنها الهمجية، ففي افتتاحية العدد رقم ١٩ تاريخ ١٩٥٦/٠٩/١٧ كتب ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث العربي يردّ الدعاية الفرنسية على أعقابها بسخرية واضحة:

«يُعدُّ الاستعماريون الفرنسيون كل الوسائل والأسلحة المادية والمعنوية للاعتداء على الوطن العربي ومحاولة ضرب النهضة العربية وتأخيرها. ومن هذه الأسلحة الصدئة التي ينبشونها من مستودعات دعايتهم المسمومة، سلاح الطائفية، والعنصرية، والإقليمية. ومازالوا يُصوّرون ثورة الشعب العربي في الجزائر على الذل والظلم وأبشع أنواع الاستعمار بأنها حركة رجعية يدفعها التعصّب الديني، وتغذيها الروح الفاشية. ولعل التاريخ لم يعرف حتى الآن مغالطة وتجنياً مفضوحاً على الحقيقة، واستهتاراً بالعقل والمنطق بلغ الشأنَ الذي بلغته دعاية الفرنسيين عندما يسمّون النضال العربي للتحرر من الاستعمار عدواناً وإرهاباً»..

ثم يلفت «عفلق» الانتباه إلى حقائق تاريخية ملموسة، وهي أن العرب يجتازون مرحلة تاريخية يرافقهم فيها الحق والحرية كأنهما قدر محتوم، وهذا ما يفسِّر انتصار جميع الشعوب لأحرار ثورة العرب البطولية المشرفة في الجزائر.

وهذا في حد ذاته ظاهرة كافية لدحض الدعاية الاستعمارية المتهافتة، إن ما يهمنا هو أن نربح المعركة في نضالنا ضد الاستعمار دون أن نفرِّط بشيء من اتجاهنا القومي الإنساني.

---

(١) المصدر نفسه.

واستطاعت صحيفة البعث أيضاً أن تصوّر بدقة تأثير الثورة الجزائرية على الشعب الفرنسي ذاته، وعلى الوعي الواقعي فيه، إذ أوضحت أن كل كلمة تقال في فرنسا، وكل موقف يتخذ، إنما تكمن وراءه مصالح حيوية، فتظاهرات الشعب الفرنسي ضد الحرب في الجزائر ليست مجرد مثالية مجانية، بل هي تعبير عن مصالح واقعية لهذا الشعب نفسه، وهذه المصالح ذاتها تصرخ وتصرخ يجب أن تستقل الجزائر وأن تتخلص فرنسا من الاستعمار.

«هم لا يهِبونَ الاستقلالَ للجزائر، بل يطلبون تحرّرهم من عبء استعمارهم للجزائر يطلبون التخلص من أوضاع ستؤدي بفرنسا إلى الانحلال المحقق»(١) .

لذلك فإن كل إمعان من قبل فرنسا في السياسة الاستعمارية إن كان يوقع ضرراً في عرب الجزائر فهو يوقع في مصالح الشعب الفرنسي أضعاف هذا الضرر، وسيلحق بفرنسا الهزيمة الحقيقية.

٣ – ٨ - ٤ انتقاد الأنظمة العربية:

كان موقف صحيفة البعث من الأنظمة العربية، تجاه الثورة الجزائرية، موقفاً معارضاً وجريئاً، وإن لم يكن بالحدة التي اتسم بها موقف صحيفة المنار من هذه الأنظمة. هناك نصوص ناقدة تفضح تقصير هذه الأنظمة، ونصوص تحاول إيقاظ الروح القومية لدى الحكام العرب. غير أن هناك نصاً غاية في الحدة وجّهته الصحيفة بمضمون مباشر إلى الحكومة السورية بالذات يضعها بمرتبة الخيانة وأكثر تجاه سماحها بتموين الجيش الفرنسي بالحبوب السورية والثورة ملتهبة في الجزائر.

---

(١) صحيفة البعث، العدد الثامن، تاريخ ١٩٥٦/٠٦/٠٨، ص١ و٣.

«إن سورية تزوّد الجيش الفرنسي في الجزائر بالحبوب، هل يمكن لمواطن أن يصدق ذلك؟![١]... الاستعمار الفرنسي الذي يشن حرب إبادة على الشعب العربي في الجزائر، تغذيه سورية، ذلك من فوق العجب»[٢] .

ترجع دهشة الصحيفة إلى التناقض الذي تجاوز كل الحدود بين موقف الشعب السوري الذي كان يجمع التبرعات للثورة الجزائرية ويرسل المتطوعين وبين موقف الحكومة المعادي للثورة الجزائرية بصورة التفافية لذلك فإن الصحيفة لم تجد تعبيراً يصف هذا الموقف بغير موقف «فوق الخيانة». إذ كيف يمكن لشعب بلغ تعاطفه مع الثورة الجزائرية أقصى مداه، أن تحكمه حكومة بهذا المستوى؟!..

«ذلك من فوق العجب... بل ومن فوق الخيانة، الذي لا يصدق صار واقعاً وما فوق الخيانة صار واقعاً»[٣].

وتتضح حرارة الصحيفة أكثر عندما تكشف للرأي العام في القطر العربي السوري أن الحكومة استبدلت في رخص تصدير الحبوب كلمة (فرنسا) بكلمة (الجزائر)، وكأنما هذه الحبوب تصدّر للشعب الجزائري، وليس إلى الجيش الفرنسي الذي يبيد الإخوة الجزائريين. مع ملاحظة لابدّ منها وهي أنّ الصحيفة تجاهلت أن الحكومة السورية باعت القمح لفرنسا ولم تصدّره مجانا .

---

(١) عمّت التظاهرات جميع المدن السورية احتجاجاً ضد الحكومة السورية، وكان لعمال مرفأ اللاذقية موقف مشرف إذ امتنعوا عن شحن الحبوب، وهددوا بالصدام مع أية جهة تحاول نقل الحبوب إلى البواخر، وقد أدى ذلك إلى إيقاف الشحن نهائياً وسقوط الحكومة فيما بعد. (المؤلف).

(٢) صحيفة البعث، العدد السابع، تاريخ ١٩٥٦/٠٦/٠١، ص١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

٣ – ٩ دلالات العناوين:

أوضحنا من قبل أن العناوين الخاصة بالثورة الجزائرية في صحيفة البعث، كانت أ ضعف مما يستجيب لطبيعة النص، إذ كانت صيغة العناوين لا تصوّر الفكرة الرئيسية للمضمون، وهو ما يشترط بالعنوان كأحد خصائصه. ويعود ذلك إلى قلّة خبرة العاملين بالفن الصحفي وعدم وجود تخصصات صحفية في المعاهد والجامعة

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم العناوين إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: لا يبدو فيها أي ترابط مع المضمون.

المجموعة الثانية: جاءت دلالاتها وسطاً.

المجموعة الثالثة: تطابقت دلالاتها مع المضمون.

من عناوين المجموعة الأولى:

لا رجوع ولا تراجع

فرنسا بين الدم والفلوس

من التدقيق في هذين العنوانين يتضح أنهما لا يوحيان أبداً بأن المضمون سوف يتحدث عن الثورة الجزائرية أو عن حدث خطير يلفت الانتباه. وحتى كلمة فرنسا في العنوان الثاني ضعيفة الإشارة..

فقد كانت فرنسا منهمكة في الوقت نفسه بعملياتها الاستعمارية في كل من تونس والمغرب، ففي أي مكان هي فرنسا بين الدم والفلوس؟!..

وفي المجموعة الثانية نقرأ هذه العناوين:

هذا ما تفعله فرنسا بشعبنا في الجزائر..

ماذا ترك الحكم الفرنسي في الجزائر؟

أسرعوا بحل قضية الجزائر..

هذه العناوين تفتقر إلى الصراحة والوضوح اللذين هما من خصائص العنوان، وكل التباس أو غموض في العنوان قد يؤدي إلى فهم ضعيف للموضوع وأحياناً إلى فهم معاكس.

إن كلمة (هذا) في العنوان الأول لا تشير إلى شيء محدد، وقد يكون أي شيء. لكننا إذا قلنا. الإبادة.. هذا ما تفعله فرنسا بشعبنا في الجزائر، فلأن الأمر يتضح للقارئ ويجذبه لمتابعة قراءة المضمون.

والأمر نفسه فيما يتعلق بكلمة (ماذا؟) في السؤال الثاني ثم (ترك) في الكلمة التي تليها. فالعنوان يوحي في البداية أن فرنسا قد خرجت من الجزائر، فماذا تركته بعد حكمها لها؟ ثم إن التساؤل في كلمة ماذا لا معنى له هنا إطلاقاً، فالكل يعلم أن في الجزائر ثورة على الظلم والوحشية الاستعمارية الفرنسية. فلو قلنا مثلاً: قهر الشعوب هو مبدأ الحكم الفرنسي في الجزائر لكانت الصورة أوضح والدلالة أعمق..

أما العنوان الثالث في المجموعة الثانية فيظهر أكثر غموضاً، ذلك أننا لا يمكن أن نعرف من هم هؤلاء الذين تناشدهم الصحيفة للإسراع بحل قضية الجزائر. هل هم الحكام العرب؟!.. هل هم زعماء الدول الأقوى؟ هل هي الأمم المتحدة؟ كل هذه التساؤلات تتداعى في ذهن القارئ. ولابد أن يتساءل من هم المؤهلون لحل قضية الجزائر؟ وهل هؤلاء بانتظار الأمر من الصحيفة للقيام بحل قضية الجزائر؟ إن العنوان هنا يفتقد النداء والمناشدة. فلو قلنا مثلاً: يا أحرار العالم سارعوا لنصرة قضية الجزائر لكان الوقع أفضل، ولكانت الدلالة أبعد وأعم.

على أن المجموعة الثالثة من هذه العناوين تتميز بالفعل بكثير من جمالية الفكر والحس وحسن الأداء، وكمال الشكل والمضمون، وأول هذه العناوين:

الثورة الجزائرية فلسفة في النضال.

وقد شرحنا دلالات هذا العنوان، عندما تناولنا مكانة الثورة الجزائرية التي أثبتتها الصحيفة بأنها جوهر ومرجع..

وكان العنوان الثاني أيضاً غاية في الدلالة، إذ جمع بين العزة والتفاؤل. الاستماتة في سبيل القيم التي تحوّلت في الإنسان الجزائري إلى قوة مادية محركة، ثم تأكيد الانتصار بالقضاء على الاستعمار الفرنسي نهائياً.

الشعب المستميت في سبيل حريته.

سيقضي على الاستعمار الفرنسي.

وأما العنوان الثالث فكان عنواناً قائماً بذاته، ثلاث كلمات بلغت في دلالتها أبعد الحدود. ثلاث كلمات هي منبع للإثارة والذهاب بمخيلة الإنسان إلى أقصى ما يتصور وما تحرك فيه من مشاعره.

إعدام فدائي بالمقصلة...

هو العنوان الوحيد الذي وردت فيه كلمة فدائي. وظلت بقية العناوين ، وكذلك المضامين خالية حتى من كلمة (مجاهد) أو كلمة ثائر..

وفي الخاتمة لابد من التساؤل: لماذا كانت صحيفة البعث مقصّرة في صياغة عدد من العناوين؟

توضح الصحيفة منذ البداية أن العاملين فيها لم تكن لديهم ممارسة صحافية من قبل، ولم يكن بينهم صحافي محترف، وإنما جمعت الصحيفة خيرة مثقفي الحزب الذين قاموا بمهمة التحرير وتأدية الرسالة الإعلامية. هؤلاء لم تكن لهم الخبرة الكافية في مجال الأنواع الصحافية لاسيما في مجال قدرة وقوة العنوان وأهميته كنوع صحافي. كان أمامهم أن يجتهدوا بقدر المستطاع لتأدية رسالة ما آمنوا به من فكر قومي ووحدة عربية، فأحسنوا المضمون، وحالفهم التوفيق في بعض العناوين، وقصّروا في البعض الآخر..

٣ – ١٠ أسلوب المعالجة الإعلامية

حاولت صحيفة البعث أن تكون منبراً واضحاً في الدفاع عن الثورة الجزائرية وتأييدها بكل السبل والوسائل المتاحة لها، إذ كانت لسان التيار القومي العربي الذي اعتبر أن الحواجز بين العرب هي حواجز مصطنعة، لذلك فإن أية ثورة عربية سواء أكانت في الجزائر أم في اليمن فهي ثورة عربية بالدرجة الأولى. ولهذا كان الدافع الأساسي للاهتمام بالثورة الجزائرية هو الرابطة القومية، رابطة العروبة بين الأشقاء في مشرق الوطن العربي ومغربه. ولم يكن الدافع الديني وراء نشر أنباء الثورة أو التغطية الإعلامية الصرفة. ومع ذلك فكما صحيفة المنار ذات الاتجاه الإسلامي استعملت العبارات القومية فقد وردت في صحيفة البعث كثير من التعابير التي تؤكد أن الشعب الجزائري هو شعب مسلم: «وأكثر المسلمين في المدن مرغمون على العيش في بيوت من التوتياء» أو «إهدار حق السكان الجزائريين من العرب المسلمين»..

وهناك أيضاً دافع إنساني في المعالجة الإعلامية يظهر عبر مخاطبة الأحرار في العالم للوقوف إلى جانب الثورة، وكذلك على أساس أن القومية العربية هي قومية إنسانية، وهو ما عبّرت عنه الصحيفة بقولها: يهمنا أن نربح المعركة في نضالنا ضد الاستعمار دون أن نفرّط بشيء من اتجاهنا القومي الإنساني.

أما من حيث التأثير على القارئ فقد استخدمت الصحيفة أسلوب الإثارة العاطفية، وكذلك أسلوب الإثارة الجماعية، وقد تميّز أسلوب الإثارة العاطفية، بتركيزه على المشاعر الوطنية والقومية ومخاطبة الفكر أحياناً في توصيف المشاعر القومية بالعقلانية والإنسانية مستفيدة من الجو الحماسي العاصف للثورة الجزائرية الذي كان يسود الشعب العربي السوري في تلك المرحلة من تاريخه والذي أبدى كل التعاطف في مؤازرة الثورة الجزائرية. حيث كانت تدين العدوان الفرنسي الوحشي ضد الأبرياء وتمجّد في الوقت نفسه بطولات الشعب

الجزائري وتقدّر بكل احترام تضحيات الثوار وتقف إلى جانب جبهة التحرير الوطنية الجزائرية وتبارك أعمالها.

أما أسلوب الإثارة الجماعية فقد توجه بكل قوة نحو توحيد جماهير القطر العربي السوري للتصدي لأخطاء الحكومة والأنظمة العربية بصورة عامة، وكذلك لدفع هذه الأنظمة نحو الوقوف بحزم إلى جانب الثورة الجزائرية، وعدم الرضوخ إلى ابتزازات القوى الاستعمارية المعادية لحرية الشعوب.

٣ – ١١ صحيفة النور:

هي صحيفة الحزب الشيوعي السوري والناطقة باسمه. وقد صدرت أول الأمر كصحيفة أسبوعية بثماني صفحات بتاريخ ١١/ مارس-آذار/١٩٥٥ ثم تحوّلت إلى صحيفة يومية سياسية بأربع صفحات ابتداء من العدد خمسين الذي صدر بتاريخ ٢٤/ شباط/ فيفري/ ١٩٥٦.

ويرى الدكتور أسامة زكي عواد أن غاية الحزب الشيوعي في سورية تقويض النظام الرأسمالي الاستعماري وإنشاء النظام الاشتراكي على أنقاضه. لذلك يعتمد في بنائه التنظيمي أسس وقواعد الماركسية اللينينية التي تبنى عليها الأحزاب الشيوعية في العالم، ويستند في بنيته الفكرية إلى مسألتين.. **الأولى**: أنه جزء لا يتجزأ من الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، و**الثانية**: النضال من أجل الاشتراكية وتحقيق المجتمع الاشتراكي على أساس الماركسية اللينينية[1].

وعلى أساس هذه المنطلقات، حدّدت صحيفة النور توجّهها الطبقي والتزامها بالعمال والفلاحين، والفئات الكادحة المنتجة في سورية، وتعبئة الجماهير تعبئة نضالية في سبيل تحرير الشعب تحريراً كاملاً وفي سبيل السلام

(١) أسامة زكي عواد، تاريخ الأحزاب السياسية في سورية في القرن العشرين، ط١، دمشق، ١٩٩٧، ص ٨٣-٨٥.

للوطن ولشعوب العالم بأسره، ونلتمس هذه التوجهات بوضوح في افتتاحية العدد الأول يوم صدرت والتي جاء فيها:

«لن نقول في العدد الأول من هذه الجريدة الجديدة، أن (النور) ستجترح المعجزات في سبيل القضايا التي ستدافع عنها، إنما سنقول شيئاً بسيطاً جداً بمجرد الإفصاح عن الخطوط العامة التي تنوي هذه الصحيفة السير عليها..»..

إننا نطمح أن نكون جريدة وطنية ديمقراطية تعمل في سبيل استقلال هذا الوطن السوري وسيادته وتحرره الكامل من الاستعمار، كما تعمل في سبيل الحريات الديمقراطية التي لا يمكن بدونها أن يقوم حكم جمهوري دستوري برلماني صحيح في البلاد، ونعتبر أن هذه الأهداف لا يمكن بلوغها إلا عن طريق النضال الشعبي، نضال الفئات الكادحة المنتجة في وطننا التي تؤلّف الأكثرية الساحقة والتي كان لها الفضل الأكبر في تحقيق جلاء القوات الأجنبية عن بلادنا منذ ثماني سنوات. ولهذا فإن هذه الصحيفة ستعمل بكل قوة في سبيل تحقيق كل مامن شأنه توحيد كلمة الشعب وتنظيمها وتوجيهها نحو نصرة قضية نضالنا ضد الاستعمار وأحلافه جميعاً، وتجنيب سورية هذه الأحلاف المشؤومة وفي رأسها الحلف التركي العراقي الذي يعتبر الآن رأس الحربة.

وسنُعنى إلى جانب ذلك بقضايا الشعب المعاشية، وبما يبذله العمال والفلاحون وسائر المنتجين بسواعدهم، وأدمغتهم من جهود في سبيل كسب لقمتهم وتأمين سكناهم وما يرافق ذلك من سعي لتحسين مستواهم الثقافي والاجتماعي.

هذا ما سنعمل له في هذه الصحيفة التي نرجو ونأمل أن تنال ثقة قرائها وأن تتمكن من إرضاء متطلباتهم وأن يتاح لها

المساهمة ولو بقسط متواضع في النضال الوطني العام الذي يخوضه شعبنا في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخه في سبيل تحرره الوطني الكامل وفي سبيل ضمان السلم له ولجميع الشعوب وفي سبيل الحفاظ على سورية بعيدة عن كل قيد استعماري وعن كل حلف من الأحلاف وتمكين قوى

الديمقراطية فيها، لتظل دوماً منارة من منائر الكفاح ضد الاستعمار في الشرق العربي»[١] .

لم تعمّر صحيفة النور طويلاً إذ تم إغلاقها في بداية الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وذلك بسبب معارضة الحزب الشيوعي السوري لهذه الوحدة، ورفضه حلّ نفسه، وهو الشرط الأساسي الذي وضعه الرئيس جمال عبد الناصر على الأحزاب السورية كلها، وقبلتها جميعها عدا الحزب الشيوعي!.

جاء اسم الصحيفة عند صدورها يومية سياسية في وسط الصفحة الأولى من الأعلى، وتحت الاسم مباشرة تعريف بخط كبير، جريدة يومية سياسية. وفي أعلى اسم الصحيفة، كتب سعر مبيعها ١٠ قروش، أما حجم الصحيفة فكان كبقية الصحف بمقياس (٥٨× ٤٤سم^{٢})..

على الجهة اليمنى من الصفحة الأولى خصص مكان لعمود طويل دائم يحمل عنوان: «نور على الأخبار».. وعلى الجهة اليسرى من الصفحة كان موقع الافتتاحية. يليها في الأسفل عمود قاري بعنوان: «خيط من نور». أما بقية مساحة الصفحة فكان يشغلها أهم الأخبار العالمية والمحلية. ولقد خصصت الصفحة الثانية بمجملها للأوضاع الداخلية باستثناء موقع ظل ثابتاً في الجهة اليمنى يحمل عنواناً ثابتاً هو «من أقوال الصحف»..

على أن الصفحة الثالثة تظهر في حالتين. في الحالة الأولى تشغلها المقالات الفكرية والدراسات، وكذلك بقايا الأخبار العالمية والمحلية، وفي الحالة الثانية تتحول إلى صفحة للأدب والشعر وشيء من الدراسات الفكرية. وتظل الصفحة الرابعة للأخبار القصيرة من نوع «فلاش».. تنحصر في الجهة اليمنى في حين تشغل بقية الصفحة مادة إعلامية متنوعة وأهمها الإعلانات وكذلك تعريف بالصحيفة ليس مستقر الموقع وهو مايلي: النور جريدة يومية سياسية،

---

(١) هاشم عثمان: الصحافة السورية، ماضيها وحاضرها ١٨٧٧- ١٩٧٠، ص ٣٣٩- ٣٤١.

صاحبها ومديرها المسؤول، عبد الباقي الجمالي، مكتب الجريدة: شارع ركن الدين – بناية رحمة وبرازي – دمشق، الطابق الثاني. ص.ب. ٢٢٢٧، هاتف ٢١٥٣٣.

ومما يلاحظ على الصحيفة أنها كانت كسابقاتها في عدم تحديد موقع فيها لبريد القراء!.

٣ – ١٢ توصيف المعالجة الإعلامية في صحيفة النور:

برزت صحيفة النور كنوع جديد من الصحافة في اتجاهها الماركسي اللينيني، واعتمادها المادية التاريخية كمرجع لحركة كتابتها والمضامين التي ترد فيها وأبرزت الفوارق الطبقية الاجتماعية في تحليلاتها بصورة عامة، والصحيفة كزميلتها المنار، والبعث استخدمت الأنواع الصحافية نفسها والتي تعكس مواقف صحافة الرأي. غير أنها تميّزت عن سائر الصحف بتفوّقها في استعمال المقالة والتقرير استعمالاً مكثفاً، وأفردت لهما مساحات أكبر..

وسعت الصحيفة من حيث المضمون إلى تغليب ما عرف في تلك المرحلة بالإعلام الثوري القائم على تحريض الجماهير نحو بناء مجتمع جديد، وهو مجتمع الاشتراكية والسلام، الذي تقوده الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين بالإضافة إلى المثقفين الثوريين..

لذلك كانت نبرة الأسلوب الإعلامي أكثر ارتفاعاً ومباشرة، وكانت الاهتمامات السياسية والاجتماعية تسير على خط مواز في كلتا الساحتين، مع ميل لقضايا الريف السوري ومكانته. وفي القضايا الاجتماعية الأخرى،كما كانت معالجتها الإعلامية تتناول قضايا الفساد، وسلوكيات الإقطاعيين والتبذير والإنفاق غير السليم في كثير من مرافق الدولة.

واهتمت الصحيفة أيضاً اهتماماً كبيراً بالأدب الثوري الواقعي والفن الواقعي، ونقلت من الأدب العالمي، ذلك الإنتاج الذي يعكس واقع الصراع الاجتماعي، لاسيما الأدب الروسي الذي رافق الثورة الشيوعية ثم من بعد الأدب السوفياتي.

٣ – ١٣ التوصيف الكمي:

يمثّل الكم الذي يجري توصيفه مجتمع البحث كاملاً من ١٩٥٦/٥/٩ إلى ١٩٥٧/٦/٢٨ وهي الفترة التي واكبت فيها الصحيفة الثورة الجزائرية، والكم المدروس هنا يبدو أكثر اتساعاً من الصحيفتين السابقتين، لأن الدافع الآيديولوجي كان يتطلب تحليلاً مفصلاً وإبرازاً للأفكار التي آمنت بها الصحيفة وفيما يلي يبين الجدول رقم ١٠ مساحة المادة الإعلامية التي خصصتها الصحيفة للثورة الجزائرية.

جدول رقم (١٠)

يبين مساحة مادة التحليل ضمن مادة التحرير خلال الفترة

من ١٩٥٦/٥/٦ إلى ١٩٥٧/٦/٢٨

الرقم	الشهر والسنة	مساحة مادة التحرير	مساحة مادة التحليل	النسبة المئوية%
١	ماي/أيار/ ١٩٥٦	٢٤٥٧٢	٩١٩٧	٣٧.٤٣
٢	جوان/حزيران/ ١٩٥٦	٩٢٠٨	٢٨٨	٠٣.١٢
٣	جويليه / تموز ١٩٥٦	٩٥٣٣٦	١٠٥٤٢	١١.٠٥
٤	أوت / آب ١٩٥٦	١٥٤١٦	٦١٢	٠٣.٩٧
٥	سبتمبر / أيلول ١٩٥٦	٨٩٠٨	٣٤٤	٠٣.٨٦
٦	أكتوبر/تشرين الأول١٩٥٦	١٦٢١١	١٨٥٦	١١.٤٤
٧	نوفمبر /تشرين الثاني١٩٥٦	٨٧٧٢	٣٧٦	٠٤.٣
٨	ديسمبر/ كانون أول١٩٥٦	٨٨٣١	٦٢٢	٠٧.٠٤
	المجموع	١٨٧٢٥٤	٢٣٨٣٧	١٢.٧٣
٩	جانفي/ كانون ثاني ١٩٥٦	٨٦٥٣	٤٤٨	٠٥.١٧
١٠	فيفري/ شباط ١٩٥٦	٣٢١٥٦	١٤٩٢	٠٤.٦٣
١١	مارس/ آذار ١٩٥٦	٨٦٤٣	٢٦٠	٠٣
١٢	أفريل/ نيسان ١٩٥٧	٣١٩١٧	٢٥٠٢	٠٧.٨
١٣	ماي/ أيار/ ١٩٥٧	٨٦٦٤	٢٩٦	٠٣.٤
١٤	جوان/ حزيران/ ١٩٥٧	٣٩٢٠٧	١٩٦٤	٠٥
	المجموع	١٣٦٢٠٢	٦٩٦٢	٠٥.١١

يتبين من الجدول رقم (١٠) أن مساحة مادة التحليل الخاصة بالثورة الجزائرية بلغت في عام ١٩٥٦ نسبة ١١.٤٤% من مادة التحرير وهي نسبة جيدة لأن مادة التحليل لم تتخللها الصورة، وكانت المساحة مادة مكتوبة لكن هذه المساحة تدنّت إلى أقل من النصف عام ١٩٥٧ إذ بلغت نسبة مادة التحليل ٥.١١% . وهكذا يكون المعدل الوسطي ٧.٠٨% كذلك نجد أن أعلى نسبة للمادة الإعلامية المدروسة كانت في شهر ماي-ايار من عام ١٩٥٦ في حين لم تبلغ هذه النسبة في الشهر نفسه من العام ١٩٥٧ سوى ٣.٤% فقط، وكانت أعلى نسبة في هذا العام هي في شهر جانفي حيث بلغت ٥.١٧%.

ولعل التفسير الصائب لهذا التدني في المادة الإعلامية الخاصة بالثورة الجزائرية هو الظروف الصعبة التي كانت تمر بها سورية في مقاومة مشروع إيزنهاور، ومحاولة اختراق أراضيها من قبل تركيا وكذلك التداعيات القاسية التي حلّت في الوطن العربي بعد العدوان الثلاثي على القطر العربي المصري.

٣ – ١٣ – ١ الأنواع الصحافية المستخدمة:

استخدمت صحيفة النور في معالجتها لأحداث الثورة الجزائرية جميع الأنواع الصحافية التي تتطلبها كل صحيفة رأي، وهي في هذا الاستخدام لم تختلف عن أي من صحيفة المنار أو صحيفة البعث. غير أنها تفوقت في مجال استخدام المقال كما أوضحنا ذلك من قبل. والجدول التالي رقم (١١) يبين لنا هذه الأنواع تبعاً لعدد التكرار وتسلسله.

جدول رقم (١١)

يبين الأنواع الصحافية التي استخدمتها صحيفة النور

في تغطية أحداث الثورة الجزائرية

المجال/النوع الصحفي	عسكري التكرار	سياسي التكرار	اجتماعي التكرار	اقتصادي التكرار	المجموع	مجموع المساحة/ سم٢	النسبة المئوية%
الخبر	٠٩	٠٥	٠١	٠١	١٦	٤٢٢٦	١٥.٧٩
المقالة	-	٠٨	٠٢	٠٢	١٢	٩٩١٠	٣٧.٠٢
التقرير	-	٠٨	-	-	٠٨	٨٥٧٠	٣٢.٠١
العنوان	٠٤	-	-	٠١	٠٥	٣١٤	٠١.١٧
الشعر	-	٠٣	-	-	٠٣	٩٣٦	٠٣.٥٠
الحديث	-	٠٢	-	-	٠٢	٢٣٦٨	٠٨.٨٥
الافتتاحية	-	٠١	-	-	٠١	٤٤٤	٠١.٦٥
المجموع	١٣	٢٧	٠٣	٠٤	٤٧	٢٦٧٦٨	١٠٠

من دراسة الجدول رقم (١١) يتبين أن الخبر ظلَّ محافظاً على المرتبة الأولى من حيث التكرار كما في الصحفتين السابقتين، وجاء المقال في المرتبة الثانية ثم التقرير في المرتبة الثالثة، وهي ميزة لافتة. أما الخاصية الثانية فهي وجود الحديث الصحفي كنوع هام، وهو مالم نجده في الصحيفتين السابقتين .إذ إن الحديث يختبر أسلوب تفكير المتحدث ويكشف عما في داخله، وآرائه وقناعاته. وله دائماً قيمته المعرفية ورسالته الاجتماعية.

أما الافتتاحية فقد جاءت في المرتبة الأخيرة حيث عوّضت المقالة الموقع في تأدية الرسالة الإعلامية. ومع ذلك فإن المساحة التي شغلها كل نوع من هذه الأنواع المستخدمة في معالجة أحداث الثورة الجزائرية تبدو مغايرة للترتيب الذي جاء في الجدول رقم (١١) الذي يمثل التكرار، وليس المساحة.

والجدول التالي يبين لنا تبدّل المرتبة حسب المساحة.

جدول رقم (١٢)

يبين مرتبة كل نوع صحافي من حيث المساحة

المرتبة	النوع الصحافي	التكرار	المساحة سم٢	النسبة المئوية %
١	المقالة	١٢	٩٩١٠	٣٧.٠٢
٢	التقرير	٠٨	٨٥٧٠	٣٢.٠٢
٣	الخبر	١٦	٤٢٢٦	١٥.٧٩
٤	الحديث	٠٢	٢٣٦٨	٠٨.٨٥
٥	الشعر	٠٣	٩٣٦	٠٣.٥
٦	الافتتاحية	٠١	٤٤٤	١.٦٥
٧	العناوين	٠٤	٣١٤	١.١٧

وهكذا جاءت المقالة في المرتبة الأولى، والتقرير في المرتبة الثانية بينما تدنت مرتبة الخبر إلى المرتبة الثالثة بعد أن كانت الأولى. وجاء الحديث في المرتبة الرابعة بعد أن كان في السادسة حيث حلّت الافتتاحية. وبقي الشعر محافظاً على المرتبة الخامسة في حين تدنّت مرتبة العناوين إلى السابعة وهي الأخيرة..

نستنتج من هذه التبدلات في العناصر التيبوغرافية أن الصحيفة استخدمت عملياً وبقوة الأنواع الصحافية الملائمة، وأعطتها موقعها السليم في نقل رسالتها الإعلامية وتبليغها إلى جماهير الشعب السوري. وكان للعناوين دوراً محرضاً إذ استخدمت بإيجابية كبيرة من حيث الموقع في الصفحة الأولى والثالثة. وكذلك من حيث حيوية الصيغة ونبرتها المتأججة، وتناسب هذه الصيغة مع الحس العاطفي والإثارة الجماعية. والجدول التالي يبين لنا النوعية الخاصة لهذه العناوين.

جدول رقم (١٣)

يبيّن لنا العناوين التي استخدمتها صحيفة النور في تحريك الحس الجماهيري في مادتها الإعلامية

العنوان	رقم العدد	تاريخ العدد
*العروبة بأسرها تتضامن مع الجزائر ضد الاستعمار	١٠٤	١٩٥٦/٠٥/١٠
*الجزائر تناضل منذ ١٢٦ عاماً.	١٤٧	١٩٥٦/٠٧/٠٥
*حرب الجزائر تكبد الفرنسيين خسائر فادحة وتزيد عبء الضرائب.	١٥٠	١٩٥٦/٠٧/٠٨
*كيف واجه الفرنسيون اقتصاد الجزائر بعدما جعلوها جزءاً من فرنسا	١٥٦	١٩٥٦/٠٧/١٥
*يجب وضع حد للمجزرة الاستعمارية في الجزائر، وإعطاء الشعب الجزائري حريته.	١٥٩	١٩٥٦/٠٧/١٨
*المناضلون الجزائريون ينزلون هزائم جديدة بقوات الاستعمار الفرنسي.	٢١٠	١٩٥٦/٠٩/٢٥
*جيش التحرير الجزائري يشرف على مناطق كاملة وينزل هزائم كبيرة بقوات الاستعمار الفرنسي، والحلف الأطلسي.	٢١٨	١٩٥٦/١٠/٠٤
*الجزائر العربية، لا حياة للاستعمار في ربوعنا.. *سورية والعالم العربي يُضرِبان اليوم انتصاراً للجزائر المجاهدة وإنذاراً للمستعمرين.	٢٣٨	١٩٥٦/١٠/٢٨
*المجاهدون الجزائريون ينزلون خسائر فادحة بالمستعمرين.	٢٦٢	١٩٥٦/١١/٢٦
*الشعب الجزائري يجب أن يستقل.	٢٧٧	١٩٥٦/١٢/١٣
*لن يتمكن الاستعماريون من إخضاع الشعب الجزائري الذي هب للنضال.	٣١٩	١٩٥٧/٠٢/٠٤
*الوطنيون الجزائريون يبيدون ٤٥ جندياً فرنسياً خلال أسبوع.	٣٢٣	١٩٥٧/٠٢/٠٨

*انتحار أحد الفرنسيين متأثراً بمقتل ابنه في حرب الجزائر.	٣٥٢	١٩٥٧/٠٣/١٦
*الطبقة العاملة السورية في أسبوع التضامن مع الجزائر.	٣٦٩	١٩٥٧/٠٤/٠٦
*فظائع بربرية تفوق كل وصف يرتكبها الفرنسيون ضد مجاهدي الجزائر الأساليب الوحشية التي تمارس ضد المجاهدين من حرق وسحل بالسيارات.	٣٧٠	١٩٥٧/٠٤/٠٧
*عمال الصين يحيون كفاح الشعب الجزائري ويعلنون ثقتهم بانتصاره.	٣٧١	١٩٥٧/٠٤/٠٩
*المجاهدون الجزائريون يقتلون ١٥ جندياً فرنسياً. *انتصارات جديدة للوطنيين الجزائريين.. *الوطنيون الجزائريون يوالون هجماتهم الضارية على القوات الفرنسية.	٤٠٥	١٩٥٧/٠٥/٢٨

وبالإضافة إلى هذه النوعية من العناوين فإن صحيفة النور تناولت في مادتها الإعلامية الخاصة بالثورة الجزائرية مجالات أربعة هي: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، وتميزت باهتمامها الكبير في المجال السياسي، الذي احتلَّ تعداده سبعاً وعشرين مرة من أصل سبعة وأربعين أي بنسبة مئوية قدرها ٥٧.٤٤% وجاء المجال العسكري في المرتبة الثانية بنسبة ٢٧.٦٦%. ولقد كانت الصحيفة الوحيدة التي تحدّثت عن المجال الاقتصادي في الثورة الجزائرية والذي احتلَّ المرتبة الثالثة بنسبة ٨.٥% . وجاء المجال الاجتماعي في المرتبة الرابعة بنسبة ٦.٣٨%.

ولم تهمل الصحيفة المجال الثقافي للثورة وإنما لم تفرد له مادة إعلامية خاصة بل جاء الحديث عنه ضمن المقالات السياسية والأنواع الصحافية الأخرى. وبهذا النهج حاولت صحيفة النور أن تحيط إلى حدٍّ ما بمختلف أوضاع الثورة، لتقدم صورة وافية عن حركتها وصراعها الجذري مع الاستعمار الفرنسي، الذي لم تعد أمامه أية فرصة، سوى الرحيل وبالكفاح المسلح..

٣ – ١٤ التحليل النوعي:

قلنا إن صحيفة النور هي صحيفة الحزب الشيوعي السوري، الذي يتبنى الفلسفة الماركسية اللينينية ويؤمن بثورة الطبقة العاملة ودكتاتورية البروليتاريا. ولذلك فالثورة، أية ثورة، معادية للاستعمار، أو الطبقة الحاكمة الرأسمالية هي جزء من الإيديولوجية، والممارسة العملية للوصول إلى السلطة وإحلال النظام الاشتراكي. بهذا التوجه عملت صحيفة النور على تأييد الثورة الجزائرية متمسكة في الوقت نفسه بالشخصية القومية للثورة الجزائرية. لهذا تحرّك مضمون المادة الإعلامية للصحيفة من ثلاثة منطلقات:

١ – إدانة الاستعمار الفرنسي وحلف الأطلسي وأمريكا.

٢ – تمجيد الثورة الجزائرية.

٣ – تأكيد الهوية العربية للشعب الجزائري.

٣– ١٤– ١ إدانة الاستعمار الفرنسي وحلف الأطلسي وأمريكا:

جابهت صحيفة النور الاستعمار الفرنسي بروح من التصدي والهجوم المباشر على الحكام الفرنسيين، وعرّت طبيعتهم العنصرية، فالوزراء الاشتراكيون في الحكومة الفرنسية يصفون المناضلين الجزائريين بأنهم «محرضون عرقيون» أو عملاء لاستعمار عربي يشبه الجرمنة الهتلرية، وأنهم متعصبون دينياً ويمثّلون «رجعة تاريخية»، هؤلاء الوزراء يعملون بعكس المبادئ الاشتراكية. فكلامهم كلام العرقيين الحقيقيين، الذين يعتبرون أن الشعوب الأوروبية هي الشعوب السيدة التي كتب لها أن تحكم الآخرين. كل ما يقوله هؤلاء الوزراء عن المناضلين الجزائريين مرفوض. فثورتهم واضحة الأسباب عادلة المطالب إنسانية التوجه..

«إن الظلم الذي يحلّ بشعب الجزائر منذ مئة وثلاثين عاماً، وما رافقه من نهب أرزاقه وسرقة خير أراضيه من قبل كبار المستعمرين، وخنق حرياتهم، والقمع الوحشي، كل هذا كان منطلق الثورة»[١].

ومن الطبيعي، كما تصوّر الصحيفة، القمع الوحشي لكل من ينشد الاستقلال، لا يمكن إلاَّ أن يزيد المناضل ضراوة وأن يزيد ضغينة الجزائريين على مضطهديهم. فالذين يستفيدون من نظام بالٍ ينعتون انتفاضات الشعوب من أجل حريتها بالتعصب والتخلف.

نفهم من هذا التوجه العنيف لصحيفة النور ضد الوزراء الاشتراكيين أنها كانت تهدف كما أشرنا إلى إسقاط الفكر الاشتراكي الفرنسي الكاذب، وإيديولوجيته المزيفة. تلك الإيديولوجية التي تدّعي حرية الشعوب في الوقت الذي يمارس ممثلوها أبشع أنواع القهر الإنساني ضد الشعب الجزائري. إذ لم تنحصر منجزات فرنسا في سلب الأراضي وسلب غابات النخيل والأحراش، وتحويل الملاكين إلى أجراء زراعيين أو إلى رعاة في الصحراء بل إنها استعملت كل طرائق النهب التي يحسن المستعمرون ابتكارها بمهارة[٢].

وبينما يجني عدد من المستعمرين الأرباح الطائلة من نهب الشعب الجزائري يعيش هذا الشعب ظروفاً لا تطاق. كل زائر إلى الجزائر يرى في كل مدينة أحياء بكاملها مبنية من صفائح القصدير. فهل هذه هي الاشتراكية التي يمثلها أولئك الوزراء؟.. وهل هذه هي الديمقراطية الحضارية التي يعملون على تعميمها.

لم تتوقف صحيفة النور عند إدانة المستعمرين الفرنسيين، بل امتدت إدانتها إلى أمريكا التي تساند فرنسا للاستمرار في التنكيل بالشعب الجزائري،

---

(١) صحيفة النور – العدد /١٠٤/، تاريخ ١٠/٠٥ / ١٩٥٦.

(٢) صحيفة النور – العدد /١٠٣/، تاريخ ٩/٠٥ / ١٩٥٦.

فأمريكا برأي الصحيفة هي الدولة التي لا تعيش إلاَّ مع الحروب ولذلك فهي تثيرها وتدعم مثيريها. لذلك:

«يتابع الاستعماريون الفرنسيون بتأييد من مثيري الحروب الأمريكان حملة التنكيل الوحشية بالشعب الجزائري الذي يكافح ببسالة من أجل حريته واستقلاله..» (١).

لقد صرح سفير الولايات المتحدة في فرنسا قائلاً: إن قضية الجزائر هي قضية فرنسية داخلية وأن الثورة تجري بتدخل أجنبي، لذلك فإن الولايات المتحدة تتمنى لفرنسا النجاح في أعمالها لنشر السلام في الجزائر التي هي جزء لا يتجزأ من الأرض الفرنسية..

وهكذا وضعت صحيفة النور الفكر السياسي الأمريكي في نفس مستوى الفكر السياسي الفرنسي اللذين يلتقيان التقاء كاملاً في قهر الشعوب ومنعها من تقرير مصيرها.. فلو لم يكن الفكر السياسي الأمريكي مطابقاً، لوقفت الدولة التي تزعم أنها زعيمة الحرية في العالم، إلى جانب الشعب الجزائري في نضاله العادل من أجل تحرير إنسانه من أبشع أنواع الاستعمار الاستيطاني.

ولذلك كان هجوم الصحيفة شديداً على حلف الأطلسي، كونه مؤازراً للاستعمار الفرنسي، فالقوات الاستعمارية الفرنسية المدعومة من قوات هذا الحلف بزعامة أمريكا وبريطانيا تقوم بحملة إبادة وحشية لشعب الجزائر العربي الباسل، وتدمّر قرى بأكملها. ورغم حملات الإبادة الوحشية التي تقوم بها قوات الحلف الأطلسي بالجزائر فالمجاهدون الجزائريون يزدادون استبسالاً وإيماناً بقضيتهم العادلة وعزماً أكيداً على الانتصار مهما تكاثرت عليهم قوى الشر والاستعمار والبغي(٢).

---

(١) صحيفة النور – العدد /٨٢/، تاريخ ٤/٨ / ١٩٥٦.

(٢) صحيفة النور – العدد /١٠٤/، تاريخ ٠٤/١٠ / ١٩٥٦ ص١.

يتضح لنا من هذه النصوص أن صحيفة النور استمرت على نهجها في الهجوم المباشر على الاستعمار الفرنسي وعلى أمريكا وحلف الأطلسي معاً. ونادراً ما كانت تفصل بين هذا الثلاثي. ففي معظم المادة الإعلامية حول الثورة الجزائرية كانت أمريكا وحلف الأطلسي يتعرضان إلى المستوى نفسه من التصدي والإدانة، وإثارة الرأي العام الوطني ليبقى مشدوداً إلى جانب الثورة الجزائرية التي تقاتل الاستعمار الغربي بكافة قواه..

٣ – ١٤- ٢ تمجيد الثورة الجزائرية:

أبصرت صحيفة النور منذ البداية فجر انتصار الثورة الجزائرية فراحت تبشّر به في كل ما تكتب، وتنبأت في الوقت نفسه بهزيمة الاستعمار الفرنسي وجسّدته عبر صورة ذهنية يتضح فيها عجز الوحشية الاستعمارية أمام بطولات خالدة للمجاهدين الجزائريين. وهكذا تمثلت الصورة الذهنية الثانية المواجهة الأولى، وهي أن الشعب الجزائري شعب لا يموت. فكلما استشهد مجاهد، ولد مجاهد جديد، والشعب الجزائري يجدّد كل يوم مجاهديه بصمود أكبر. وخلاصة المعادلة أن الوحشية تفنى ويبقى شعب المجاهدين. «وسواء ارتوى المستعمرون الفرنسيون واتعظوا بالتجارب العديدة، أم لم يتعظوا فإن الجزائر ستنال استقلالها وسينتزعه الشعب الجزائري البطل الذي تؤيده جميع الشعوب العربية، وجميع قوى الحرية في العالم. إن الجزائر هي مثال بليغ لما ينتظر المستعمرين في كل بلد عربي»(١).

لقد صرح محافظ مدينة الجزائر الفرنسي: «إني مع الأسف لا أشاطر الأوساط الرسمية تفاؤلها، فإذا أردت أن أحكم على الوضع من خلال المدينة الواقعة تحت إدارتي والتي تعد (٥٠٠.٠٠٠) نسمة فإن الحالة لم تتحسن قط بل تزداد سوءاً»(٢).

---

(١) صحيفة النور – العدد /٢١٨/، تاريخ ٠٤/١٠/ ١٩٥٦ ص١.

(٢) المصدر السابق.

وهكذا فإن صورة العجز وعدم التفاؤل بالقضاء على الثورة الجزائرية يرسمها المستعمرون الفرنسيون أنفسهم على لسان محافظ مدينة الجزائر الذي كشف بهذا الاعتراف كذبات كبار الرسميين الفرنسيين بمن فيهم رئيس الوزراء. كانوا كلهم يحلمون بإحداث تغيير جذري في الأوضاع وإخماد روح النضال لدى الشعب الجزائري.

«إن المستعمرين الفرنسيين مايزالون يركبون رؤوسهم ويصرون على اعتبار الجزائر جزءاً من فرنسا، وأن أية تسوية لن تتم إلا بالقوة، والقوة وحدها، متجاهلين أصوات التحذير التي تنذرهم بنهاية في الجزائر، كنهايتهم في الهند الصينية»[١].

على أن هناك صورة ذهنية ثالثة رسمتها صحيفة النور ضد فرنسا، وهي أن العالم باستثناء حلف الأطلسي يقف إلى جانب الشعب الجزائري المجاهد، سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى الشعوب، وأوضحت أن فرنسا لا تخسر فقط على الصعيد الداخلي من جراء حربها في الجزائر، وإنما الخسارة الكبرى تصيبها على النطاق الدولي.

«لقد تلقت الديبلوماسية الفرنسية وشهرة فرنسا في العالم ضربتين قاسيتين، الأولى قرار باندونغ بضرورة حرية شمال أفريقيا، والثانية قرار هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٥٦، بالموافقة على إدراج قضية الجزائر في جدول أعمالها»[٢]. ويكفي أن نعلم أنه لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة تخذل دولة استعمارية، دون استعمال حق الفيتو كي ندرك مدى ما يتمتع به نضال الشعب الجزائري من عطف وتأييد بين الشعوب. وهؤلاء عمال العالم يطلبون وقف

---

(١) صحيفة النور – العدد /٢٣٨/، تاريخ ٢٨/١٠ / ١٩٥٦.

(٢) صحيفة النور – العدد /١٥٣/، تاريخ ١٠ /٠٧ / ١٩٥٦.

القتال فوراً وانسحاب القوات الفرنسية والاعتراف بحق الجزائر في السيادة والاستقلال ويعلنون ثقتهم بانتصار الشعب الجزائري[١].

وفي لفتة بارزة كدلالة على قوة الثورة الجزائرية أوضحت صحيفة النور ما يكابده الشعب الفرنسي نفسه، وكذلك الاقتصاد الفرنسي من ويلات الحرب في الجزائر. فقد نقلت كلمات أدلى بها الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي هي: «إن دم شباب فرنسا يسفك كل يوم. والألم يحرق قلوب أمهات وزوجات وخطيبات الجنود، وكل الناس يعرفون أنه بحجة السلام تتسع الحرب.

إن الأزمة الجزائرية تشكل بالنسبة للاقتصاد الفرنسي ورطة كبرى. فخمسمئة ألف شاب سحبوا من الإنتاج، ومليار فرنك يرمى في الهاوية كل يوم»[٢].

ثم تلتفت الصحيفة نحو الطبقة الوسطى الفرنسية، ونحو البورجوازية الكبيرة التي ليس لها ارتباط مباشر باستثمار موارد الجزائر فتشرح أن هذه الشرائح الاجتماعية أخذت تحس أن استمرار السياسة الفرنسية الحاضرة في الجزائر يهدد مركز فرنسا الدولي ليس فقط في مستعمراتها، وإنما في علاقاتها مع الآخرين، فضلاً عن أن عدداً كبيراً من هؤلاء الفرنسيين راح يفكر أن فرنسا لا يمكنها المحافظة على شيء من علاقاتها في الجزائر إن لم يكن ذلك برضى الجزائريين. وأن استمرار الحرب على هذا الشكل يقطع كل أمل ببقاء شيء من هذه العلاقات. لهذا: «فإن (منديس فرانس) ممثل البورجوازية المعروف راح يصيح قائلاً: حلّوا قضية الجزائر قبل أن يفوت الأوان ونفقد كل شيء»[٣] .

ثم ترسم الصحيفة صورة مستقبل الثورة الجزائرية بهذه الخلاصة: إن الحل الوحيد هو إعادة الاستقلال إلى الجزائر، كل العوامل تدل على أن الوضع يتطور

---

(١) صحيفة النور – العدد /٣٧١/، تاريخ ٠٩ / ٠٤/ ١٩٥٦.

(٢) صحيفة النور – العدد /١٥٩/، تاريخ ٠٦/١٨ / ١٩٥٦.

(٣) صحيفة النور – العدد /١٥٥/، تاريخ ٠٧/١٤ / ١٩٥٦ ص ٣.

لمصلحة مستقبل الجزائر. صحيح أن الضحايا كثيرون، ولكن الناس يزولون ويبقى الوطن، ولابد لهذا القطر العربي المنكوب بالاستعمار من أن يتحرر..

أما سرعة هذا التحرر فيقررها عامل من أهم العوامل وهو مدى التضامن العربي، الآسيوي الإفريقي، مع الحركة الوطنية الجزائرية ومدى الضغط الذي تنظمه الدول العربية على الاستعمار الفرنسي وعلى حلفائه الأمريكيين والبريطانيين[١]. فإذا ما قوي ذلك التضامن وهذا الضغط نكون قد ساهمنا بشيء من التضحيات الكبرى اللازمة لإنقاذ شعب أبيّ كريم.

٣ –١٤-٣ تأكيد الهوية العربية للشعب الجزائري.

يتضح تأكيد الهوية العربية للشعب الجزائري في صحيفة النور مباشرة سواء في العناوين أو في نص المادة الإعلامية نفسها. وقد مثّل الشعر الذي نشرته الصحيفة حول الثورة الجزائرية، هذه الهوية بقوة وعاطفة دافقة، فالشاعر عندما يخاطب الجزائر كان يقول: (جزائري) وعندما يخاطب الإنسان الجزائري كان يقول: (أخي في الجزائر). ودلالة هذه الكلمات تجسد هذا المعنى القوي والإنساني وهو أن الجزائر هي سورية، وأن إنسانها هو أخي، وجميعاً نكون وحدة واحدة. لهذا كانت الهوية العربية للشعب الجزائري في صلب الفكر السياسي للصحيفة، وهو ما أبرزته في يوم التضامن مع الجزائر في ١٠/٠٥/١٩٥٦ بعنوانها الكبير : «العروبة بأسرها تتضامن مع الجزائر ضد الاستعمار» وبدأت افتتاحية العدد بهذه الكلمات: «في جميع ديار العروبة يوم مشهود عبّرت فيه الشعوب العربية عن استنكارها للمجازر الوحشية التي ينظمها الاستعمار الفرنسي». وهكذا فإن كلمات «ديار العروبة» و«الشعوب العربية» تعكس بكل تأكيد ووضوح موقف الحزب الشيوعي في أن الجزائر هي جزء من الوطن العربي وأن الشعب الجزائري هو أيضاً جزء من الأمة العربية..

---

(١) صحيفة النور – العدد /١٥٦/، تاريخ ١٥/٠٧ / ١٩٥٦.

وقد كرّرت الصحيفة هذا التأكيد فيما بعد، وذلك في افتتاحية العدد ٢٣٨ تاريخ ١٩٥٦/١٠/٢٨ حيث جاء فيها: «لقد وحّد العرب صفوفهم لنصرة الجزائر فأقضّوا مضاجع الاستعمار الفرنسي... إن العرب في يوم إضرابهم العظيم، إذ يحيّون إخوانهم المجاهدين في الجزائر الباسلة يجدّدون تضامنهم وتآخيهم مع الشعب الجزائري البطل ومع قادة حركته التحررية».

أما موقع الشعر في هذه الصورة القومية الإنسانية فتعكسه القصائد التالية التي اقتبسنا أبياتاً منها.

ينادي الشاعر شحادة الخوري الجزائر بقصيدة عنوانها جزائري فيقول(١):

**جزائـــري يـــا حريـــة تـــصوب		إلـــى فـــؤاد ظـــالم يغتـــصب**

**إنـــي أرى ويالروعـــة الـــرؤى		فـــي رأسـك الـدامي لظـىً يلتهـب**

**يـا حريـة فـي نارهـا نـورُ الـسنا		وقـدْحها عنـد الـصدام الـشهبُ**

**شـقي فـؤادَ الـوحشِ حتـى يرتمـي		علـــى الرغـــام ســـاكناً لا يجـــب**

والشاعر محمد السيد شريف يقول في قصيدته إلى أخي في الجزائر(٢):

**اضـــرب فـــإن يـــدي معـــك		تحمـــــي يـــــديك ومـــــدفعك**

واحرس على الوطن الأبي، من الشوائب، منبعك

الفجر قبّل أفقك الدامي وحيّا مربعك

والنصر صلّى للألوف العائدين هنا معك

**والـــشمس تـــوّج قبرهـــا		عبـــر المعـــارك موقعـــك**

---

(١) صحيفة النور – العدد /١٧٩/، تاريخ ٢٠/٠٨ /١٩٥٦.

(٢) صحيفة النور – العدد /٣٣١/، تاريخ ١٨/٠٢ /١٩٥٦

أما الشاعر والفنان التشكيلي فاتح المدرس، فقد كتب أغنية إلى فرسان الأوراس، ومما جاء في هذه القصيدة[١]:

كانوا عشرة رجال في الرصاص

والكتان الأبيض

خيولهم تحب الطراد من قسنطينة

إلى وهران

عشرة طيور مهاجرة من بغداد

من قديم الزمان

أعشاشها على قمم جبال ولد نائل

في حلكة الليل الجزائري على أضواء الرصاص

أشعلوا النار من جرجرة إلى تلمسان

ورفعوا بنادقهم ما فوق رؤوسهم

مع ريح الموت والحرية.

هكذا عبّر هؤلاء الشعراء، من خلال صحيفة النور، عن انتمائهم القومي والروحي إلى الجزائر وإلى الثورة الجزائرية.

٣ – ١٥ دلالات العناوين:

تميّزت صحيفة النور بعناوين حيوية كما شرحنا سابقاً، وبجمع التضاد في عنوان واحد، وهو مالم يظهر في عناوين الصحف الأخرى «رغم الإبادة الوحشية التي تقوم بها قوات الحلف الأطلسي في الجزائر: المجاهدون الجزائريون يحققون انتصارات جديدة». إن وجه الدلالة في هذا العنوان يوحي

---

(١) صحيفة النور – العدد /١٨٩/، تاريخ ٠٨/٣١ /١٩٥٦.

بأن انتصار الثورة الجزائرية هو واقع مقبل وأن مصير الهمجية، مهما بلغت وحشيتها، إلى زوال..

لذلك كانت الصحيفة تبث الأمل دائماً بوجهيه الأمل بالانتصار، والأمل باندحار العدو والتسليم باستقلال الجزائر. «لن يتمكن الاستعماريون من إخضاع الشعب الجزائري الذي هبّ للنضال»..

ومن الملاحظ أن العناوين التي تشير إلى وحشية الاستعمار الفرنسي كانت هي الأقل، في حين كانت العناوين حول انتصارات المجاهدين هي الأكثر إلى حد بعيد إذ بلغت نسبتها ٨٠% من مجموع العناوين. وتفسير ذلك يعود إلى أن الصحيفة استبعدت ما يثير عواطف الحزن التي لا تنسجم مع طبيعتها الإيديولوجية التي تمجّد الثورات. ولذلك كانت تجمع بين النقيضين في العنوان الواحد كما أسلفنا، أو تفضّل العنوان الذي يثير المشاعر الملتهبة، والمليء بضجيج الأمل الأكيد بالانتصار، مثل «انتصارات باهرة لجيش التحرير الوطني»، أو «الوطنيون الجزائريون يوالون هجماتهم الضارية على القوات الفرنسية»..

وهكذا كانت دلالات العناوين تشير إلى صراع نقيضين، لكن بترجيح انتصار أحد الطرفين ألا وهو الثورة الجزائرية.

٣ – ١٦ أسلوب المعالجة الإعلامية لأحداث الثورة الجزائرية:

شرحنا من قبل عندما تناولنا صحيفة المنار أن معرفة الدافع الذي يكمن وراء الرسالة الإعلامية هو الذي يحدّد نوعية الأسلوب في المعالجة كما يحدّد توجيه وسيلة الإعلام. والدافع الحقيقي والأساسي لصحيفة النور هي المبادئ الأممية للفكر الماركسي، ولو أن الدافع القومي العربي كان واضحاً كل الوضوح في توجّه الصحيفة. أما الدافع الديني فإننا لم نجد في المادة الإعلامية للصحيفة ما يشار إليه ولو بكلمة واحدة. والدافع الأممي كما يتضح من

النصوص له توجه عالمي لاسيما نحو الطبقة العاملة العالمية لاكتساب تأييدها حتى داخل فرنسا ذاتها..

غير أن الصحيفة استطاعت بمهارة أن تجمع مابين الدافعين الأممي والقومي، وأن تستخدم أسلوب التحريض على الاستعمار الفرنسي وحلفائه أمريكا وبريطانيا وحلف الأطلسي بأكمله. ولهذا استبعدت أسلوب التأثير العاطفي، ومارست أسلوب الإثارة الجماعية بقوة، فظلّت تحرّض الجماهير وتستفزّها للتصدي للاستعمار من جهة، ولاستنهاض الحسّ الوطني من جهة أخرى ليكون الالتفاف حول الثورة الجزائرية على المستوى الذي تحتاجه من دعم حقيقي ومواقف صلبة..

ولقد تميّزت صحيفة النور عن كل من صحيفة المنار وصحيفة البعث بأنها استخدمت كل المصطلحات التي استخدمتها الثورة الجزائرية وذلك في كل مادتها الإعلامية، سواء في العناوين أو الأخبار أو في متن النصوص الأخرى. فكلمة «مجاهد ومجاهدون» و«مناضل» لم تفارق موقعها في المادة الإعلامية، وكذلك كلمة «الاستشهاد» وكلمة «الشهداء» و«الأخوة المجاهدون». أما كلمة «ثائر» أو «فدائي» فقد اختفت تماماً من العناوين مثلما اختفت من النصوص وكافة المادة الإعلامية.

وبهذا التوجّه، لصحيفة النور، في رسالتها الإعلامية لنصرة الثورة الجزائرية، يتضح لنا أن التركيز الأول للصحيفة في توجهها استقرّ على التحريض الدائم للجماهير العربية للقيام بعمل شيء من أجل سرعة انتصار هذه الثورة وقالت:

«فإذا ما قوي هذا الضغط نكون قد ساهمنا بشيء من التضحيات الكبرى اللازمة لإنقاذ شعب أبي كريم»[1] .

---

(١) صحيفة النور – المصدر السابق.

الفصل الرابع

الثورة الجزائرية والصحافة السورية غير الحزبية

تناولنا في الفصل الثالث الصحافة الحزبية السورية وشرحنا مواقفها وتوجهاتها المختلفة نحو نصرة الثورة الجزائرية، وفي هذا الفصل نتناول بالدراسة الصحافة السورية غير الحزبية التي ساندت ثورة الشعب الجزائري وقدّرته تقديراً كبيراً وتوجّهت إليه لتكون إلى جانبه. وقد مثّل الصحافة غير الحزبية في هذه المرحلة التاريخية من الثورة الجزائرية كل من:

١- صحيفة الأيام.

٢- صحيفة النصر.

وفيما يلي نشرح طبيعة كل صحيفة، ونوعية توجّهها، والاهتمام الذي أولته للثورة الجزائرية.

٤ – ١ صحيفة الأيام:

كانت جريدة يومية سياسية وكان أصحاب امتيازها من كبار الزعماء السياسيين: هاشم الأتاسي، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية، ولطفي الحفار، وسعد الله الجابري، وهم من قادة الثورة السورية اللذين أصبحا أيضاً رئيسين لمجلس الوزراء، ثم إبراهيم هنانو، وعارف النكدي وفخري البارودي، وهم من أبرز القيادات الوطنية أيضاً.

صدر العدد الأول منها في ١٩٣١/٠٥/١٠. وقد شرحت رئاسة التحرير في افتتاحية هذا العدد توجّه الجريدة موضّحة أنها ما أنشئت إلاَّ من أجل خدمة القضية الوطنية، والمصلحة القومية العربية عامة والقضية الشامية خاصة. وأن همّها الأساسي هو خدمة الحركة الوطنية والاستقلال. وأنها ستسعى جاهدة من أجل بلوغ ذلك الهدف..

غير أن الصحيفة عُطّلت بعد صدور اثنين وخمسين عدداً (٥٢) منها مما دفع أصحابها إلى إصدار صحيفة جديدة باسم (اليوم) بدلاً من الأيام، واستمرت الصحيفة الجديدة بالصدور فترة قصيرة إذ أعيد الامتياز القديم، وعادت صحيفة الأيام إلى الظهور في السنة نفسها. ولم تمض بضعة أشهر حتى شدّد المحتلون الفرنسيون الخناق عليها لأنها كانت الصحيفة الوحيدة التي أصبحت تنطق رسمياً باسم الكتلة الوطنية ممثلة بأصحاب الامتياز الستة، والذين اضطروا إلى بيع امتيازها إلى الصحافي نصوح بابيل، في ١٩٣٢/٠٨/١٥.

استمرت الصحيفة على خط أصحابها السابقين في الاتجاه الوطني ذاته فتصدى لها المستعمرون الفرنسيون بالقمع والتعطيل فكان أن أوقفت مرة خلال سنة ١٩٣٢، ثم أوقفت مرة ثانية لفترة قصيرة سنة ١٩٣٣، ثم عُطّلت في الشهر السادس من العام نفسه، وذلك إلى أجل غير مسمى، وظلّت تعاني من التعطيل خلال فترة الحرب العالمية الثانية، إلى أن عادت إلى الصدور بانتظام، صحيفة مستقلة في أواخر عام ١٩٥٣.

صدرت الصحيفة أول ما صدرت عام١٩٣١ بثماني صفحات من القياس الكبير فكانت بذلك أول صحيفة يومية تصدر بهذا الحجم. وفي عام ١٩٣٤ راحت تصدر صباح يوم الجمعة باثنتي عشر صفحة، واستمرت على هذه الحال حتى بدء الحرب العالمية الثانية، حيث عادت إلى أربع صفحات وبقيت

محافظة على هذا التعداد للصفحات حتى عام ١٩٥٣، بعدها زاد عدد الصفحات فأصبح ثماني في حين كانت أقوى الصحف السورية لا تتجاوز الست صفحات. ومنذ عام ١٩٥٤ أخذت تستخدم أحدث الآلات الطابعة (اليونتيب والدوبلكس) فكانت بذلك أولى الصحف السورية التي أدخلت هذه الطباعة.

اتجهت الصحيفة في نشاطها بعيداً عن الأحزاب، بعيداً عن الالتزامات السياسية. وحين تمت الوحدة بين سورية ومصر رفض صاحبها التنازل عن امتيازها للدولة، وبقيت تصدر على مسؤوليته إلى أن تم إغلاقها نهائياً عام ١٩٦٣، وغابت عن الصدور حتى يومنا هذا. في حين أصدر نصوح بابيل صاحبها ورئيس تحريرها مذكراته عن الصحافة السورية في كتاب كبير ومفصّل...

كانت صحيفة الأيام الأوسع انتشاراً، والأقدر على الوصول إلى مصادر المعلومات بسبب طبيعة توجهاتها غير الحزبية، وعدم تماسّها بالسلطة، وتميّزت مادتها الإعلامية بالتفصيل سواء على مستوى الأوضاع الوطنية المحلية أو على مستوى الأوضاع العربية والعالمية. وكذلك استخدمت الصورة كنوع صحافي فعّال وجعلتها شاهداً على الأحداث التي تنشرها..

ولم تختلف صحيفة الأيام عن الصحف الأخرى من حيث موقع اسمها في وسط الصفحة الأولى. إلا أنها كانت تضع على الجانب الأيمن من اسمها مباشرة اسم صاحب الامتياز نصوح بابيل داخل مربع صغير، وتحت هذا المربع مستطيل في داخله عدد صفحات الصحيفة وسعر العدد ورقم العدد. أما على الجانب الأيمن من الصحيفة في الأعلى وعلى مستوى الاسم فقد كان موقع الافتتاحية التي أشير إليها في مستطيل على عرض عمود بعنوان: كلمة الأيام..

تتناول الصفحة الأولى دائماً الأحداث العالمية والمحلية، وبعض الانتقادات السياسية في زاوية على اليسار في الأسفل بعنوان (دبابيس). وعلى

عكس الصحف الأخرى التي تهتم بالشؤون الداخلية على الصفحة الثانية فإن صحيفة الأيام خصّصت صفحة خاصة بالمقالات التي تهتم بالمواضيع السياسية الدولية. في حين تهتم الصفحات الثالثة والرابعة والخامسة بالشؤون الداخلية والإعلانات الرسمية. وأما الصفحة السادسة والصفحة السابعة ففيهما مادة إعلامية متنوعة، من آداب وفنون وبقايا المقالات على الصفحات السابقة، وتتميز الصفحة الثامنة بوجود مقالة دائمة تحمل عنوان يوميات الأيام.

٤ – ٢ توصيف المعالجة الإعلامية في صحيفة الأيام

أوضحنا خلال التعريف بصحيفة الأيام أنها ليست صحيفة رأي، وذلك لأنها لم تلتزم بأية إيديولوجية، وظلت في منأى عن التيارات السياسية السائدة. لهذا تتضح شخصيتها الإخبارية باعتمادها الأنواع الصحافية التي تدعم هذه الشخصية بالدرجة الأولى. فاهتمت بالخبر اهتماماً واسعاً كما اهتمت بالعناوين وأكثرت منها، واهتمت بالصورة..

وبالإضافة إلى هذه الأنواع الصحافية فقد أبقت على المقالة الوصفية، التي تتناول المواضيع السياسية، ولم تستخدم هذا النوع الصحافي في نقل أي آراء إيديولوجية معينة أو أفكار سياسية خاصة..

ومن حيث المضمون سعت الصحيفة لأن تكون مادتها الإعلامية مادة شاملة تتناول في خطابها الإعلامي كل الشرائح الاجتماعية وتتجنب المواجهة مع التيارات الفكرية المتصارعة ولا تؤيد اتجاهاً ضد آخر، وإن كان اهتمامها الأول في معالجتها الإعلامية الجانب السياسي وما يرتبط به من أخبار وتفصيلات. لهذا كانت تلقى الترحاب في الوسط المحافظ، كما تلقى التأييد..

وفي معالجتها للأوضاع الداخلية والاجتماعية كانت تحافظ على نبرة هادئة، لا تستفز ولا تتهم، وإنما تناشد أن يجري العمل على قطع أسباب الفساد أو الانحرافات الاجتماعية كما تناشد على تشجيع الثقافة العامة والتربية الأخلاقية...

٤ – ٣ التوصيف الكمي:

يلاحظ من تتبع أعداد صحيفة الأيام أن كم التكرار فيها هو الأوسع وليس كم المساحة. ويبرز هذا الكم التكراري في كل شهر من الأشهر التي صدرت فيها الصحيفة بتسلسل وانتظام، إلا أن هناك فترات زمنية كان من الصعب فيها الإحاطة بأعداد الصحيفة وبما تناولته في معالجته الإعلامية للثورة الجزائرية. والجدول التالي يوضح لنا هذه التباينات..

جدول رقم (١٤)

يبين التكرار في المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية

خلال عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧

السنة	جانفي التكرار	فيفري التكرار	مارس التكرار	أفريل التكرار	ماي التكرار	جوان التكرار	جويلية التكرار	أوت التكرار	سبتمبر التكرار	أكتوبر التكرار	نوفمبر التكرار	ديسمبر التكرار	المجموع
١٩٥٦	٠١	٠٦	٠٨	١٠	١٦	١١	-	-	-	-	-	-	٥٢
١٩٥٧	-	٠٩	-	٠٨	٠٨	-	١٥	١٤	٠٩	٠٦	٠٨	٠٩	٨٨

يتضح من هذا الجدول أن اهتمام صحيفة الأيام بالثورة الجزائرية كان يزداد شهراً بعد شهر عام ١٩٥٦، لكنه مالبث أن حدث اضطراب في صدور الصحيفة أدى إلى تلاشي هذا الاهتمام من شهر جويلية/ تموز حتى نهاية عام ١٩٥٦. ومع ذلك فإننا إذ حسبنا المعدل الوسطي لهذا التكرار فإن النتيجة تكون أن المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية كانت ترد في الصحيفة مرتين في الأسبوع على مدى ستة أشهر.

ونجد أن هذا المعدل نفسه ينطبق أيضاً على سنة ١٩٥٧، ولكن على مدى تسعة أشهر...

إن معدل التكرار مرتين في الأسبوع للمعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية يعد معدلاً حسناً، يشير إلى اهتمام صادق ووعي بالرسالة الإعلامية..

أما مساحة مادة التحليل ضمن مادة التحرير فيبينها الجدول التالي:

جدول رقم (١٥)

يبين مساحة مادة التحليل ضمن مادة التحرير خلال الفترة

من ١٩٥٦/١/١٩ إلى ١٩٥٧/١٢/٣١ - وحدة القياس سم^{٢}

الرقم	الشهر والسنة	مساحة مادة التحرير	مساحة مادة التحليل	النسبة المئوية%
١	جانفي/ كانون ثاني ١٩٥٦	١٧٩٣٣	٧٢٤	٠٤.٠٣
٢	فيفري/ شباط ١٩٥٦	١٠٧٥٩٨	٥٣٤٤	٠٤.٩٧
٣	مارس/ آذار ١٩٥٦	١٤٣٤٦٤	١٠٤٩٢	٠٧.٣٠
٤	أفريل/ نيسان ١٩٥٦	١٧٩٣٣٠	١٥٤٢٤	٠٨.٦٠
٥	ماي/ أيار/ ١٩٥٦	٢٨٦٩٢٨	٣٥٥٨٤	١٢.٤٠
٦	جوان/ حزيران/ ١٩٥٦	١٩٧٢٦٣	١٨٦٤٠	٠٩.٤٥
٧	جانفي/ كانون ثاني ١٩٥٧	-	-	-
٨	فيفري/ شباط ١٩٥٧	١٦٣٢٣٤	٩٢٤٣	٠٥.٦٦
٩	مارس/ آذار ١٩٥٧	-	-	-
١٠	أفريل/ نيسان ١٩٥٧	١٤٥٠٨٨	٨٢١٦	٠٥.٦٦
١١	ماي/ أيار/ ١٩٥٧	١٤٠٥٣٢	٨٥٩٣	٠٦.١١
١٢	جوان/ حزيران/ ١٩٥٧	--	-	-
١٣	جويليه / تموز ١٩٥٧	٢٧٢٠٤٠	١٨٤٠٥	٠٦.٧٦
١٤	أوت / آب ١٩٥٧	٢٠٧٦٣٢	١٤٤٣٢	٠٦.٩٥
١٥	سبتمبر / أيلول ١٩٥٧	١٦٠١٣٢	١٠١٤٥	٠٦.٣٣
١٦	أكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٧	٩٠٦٨٠	٧١٨٩	٠٧.٩٢
١٧	نوفمبر /تشرين الثاني ١٩٥٧	١٨٠٢١٢	٩٥٤٥	٠٥.٢٩
١٨	ديسمبر / كانون أول ١٩٥٧	٢١٨٥٥٤	١٢٦٢٠	٠٥.٧٧
	المجموع	٢٥١٠٦٢٠	١٨٤٥٩٦	٠٧.٣٥

إن النسبة المئوية العامة التي تم التوصل إليها في الجدول والتي هي (٧.٣٥) تُعدُّ نسبة هامة إذا ما أخذنا في عين الاعتبار أن الصحيفة يومية، وأنها تصدر بثماني صفحات، وهو ما يجعلها متقدمة في الكم الذي خصصته من المساحة للثورة الجزائرية.

٤ - ٤ الأنواع الصحافية المستخدمة:

استخدمت صحيفة الأيام الأنواع الصحافية التي تناسب طبيعتها كصحيفة إخبارية يومية لذلك كان اهتمامها الأكبر بالخبر، والعناوين، والتعليق، والتقرير. ومن الملاحظ أنها لم تستغن عن المقالة، إلا أنها أهملت كثيراً الافتتاحية وبقية الأنواع الصحافية. ولم يظهر الشعر فيها باعتباره وسيلة اتصال قديمة كما لم تظهر الأنواع الأدبية الأخرى التي تتحدث عن الثورة الجزائرية..

وفي الجدول التالي تمثيل للأنواع الصحافية التي استخدمتها صحيفة الأيام في المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية..

جدول رقم (١٦)

المجال/النوع الصحفي	عسكري التكرار	سياسي التكرار	اجتماعي التكرار	اقتصادي التكرار	ثقافي التكرار	المجموع	مجموع المساحة/سم٢	النسبة المئوية%
الخبر	٧٢٥	٣٧	١٧	٠٨	٠٦	١٤٠	٦٩٢٥٠	٣٧.٥٢
المقالة	٢١	-	٠٣	٠٢	٠٣	٢٩	٣٣٤٧٠	١٨.١٣
العناوين	٨٤	٤٨	١٧	٠٨	٠٥	١٦٢	٣٥٠٤٠	١٨.٩٨
التعليق	١٤	-	-	٠٤	-	١٨	٢٢٨٠٠	١٢.٣٦
التقرير	١٠	-	-	٠١	-	١١	٢٤٠٣٦	١٣.١١
المجموع	٢٠١	٨٥	٣٧	٢٣	١٤	٣٦٠	١٨٤٥٩٦	١٠٠

بالرجوع إلى الجدول رقم (١٦) يتبين لنا أن العناوين هي التي احتلت المرتبة الأولى من حيث التكرار، وهو أمر غير مألوف. وسبب هذا يعود إلى أن صحيفة الأيام كانت تجعل العنوان ثنائياً أو ثلاثياً من حيث الموقع في

بعض المقالات أو الأخبار ولا تضعه في ترتيب واحد. وهو ما يعد، في ذلك الوقت، تطويراً نوعياً في الإخراج.

وبما أن الصحيفة ذات طابع إخباري فقد جاء الخبر في المرتبة الثانية، ولكن بفارق كبير جداً من حيث التكرار، بينه وبين بقية الأنواع الصحافية المستخدمة. وجاءت المقالة في المرتبة الثالثة وهو أمر لافت، إذ زاحمت كلاً من التعليق والتقرير اللذين هما نوعان إخباريان هامان، لذلك كان التعليق في المرتبة الرابعة ثم التقرير في المرتبة الخامسة والأخيرة..

أما من حيث المساحة التي شغلها كل نوع صحافي فإن الجدول التالي، يوضح لنا مرتبة كل من هذه الأنواع..

جدول رقم (١٧)

يبين مرتبة كل نوع صحافي من حيث المساحة المشغولة

المرتبة	النوع الصحافي	التكرار	المساحة سم٢	النسبة المئوية %
١	الخبر	١٤٠	٦٩٢٥٠	٣٧.٥٢
٢	العنوان	١٦٢	٣٥٠٤٠	١٨.٩٨
٣	المقالة	٢٩	٣٣٤٧٠	١٨.١٣
٤	التقرير	١١	٢٤٠٣٦	١٣.١١
٥	التعليق	١٨	٢٢٨٠٠	١٢.٣٦

وهكذا أخذ الخبر موقعه الطبيعي في الصحيفة إذ جاء في المرتبة الأولى. وذلك يعود إلى أن الصحيفة استقطبت خصائص الخبر كنوع صحافي للإحاطة بالثورة الجزائرية، وبالحقائق التي كونت منطلقاتها ومسيرتها. فالمعروف عن الخبر أنه عندما يتناول الحقيقة الموضوعية، والتي هي أحد أهم

عناصره، إنما يسلط الإضاءة عليها حتى تكون مفهومة لدى أوسع فئات الجماهير ويبقيها مفتوحة ليتابعها باستمرار، عبر التغيّرات التي تطرأ على هذه الحقيقة لحظة تطورها، وفي حركتها الدائمة والتي ينتج عنها الجديد من خلال التغيّر فتصبح الحقائق التي كانت البارحة غير الحقائق التي هي اليوم، ويصبح الذي كان يعرفه الناس من قبل أكثر اتساعاً وباستمرار..

كذلك جاءت العناوين في المرتبة الثانية، وهو أمر سليم جداً لأن العنوان هو جزء لا يتجزأ من الخبر ومتمم له وسندرسه فيما بعد بالتفصيل. ومع أن المقالة قد زاحمت كلاً من التقرير والتعليق وجاءت في المرتبة الثالثة، إلا أن عدداً منها لم يكن إنتاجاً محلياً، وإنما كان ترجمة عن الصحافة الفرنسية، التي انتقدت سياسات حكوماتها.

ولقد أحسنت الصحيفة في استخدامها التعليق، ومن غير المستغرب أن يأتي في المرتبة الأخيرة من حيث المساحة، فمن خصائص التعليق أن يكون مكثّفاً واضحاً، وهو لا يحتمل الإطالة، مثل التقرير والمقالة. لكنه هو أحد أهم الأنواع الصحافية الإخبارية، إذ يملك قوة إضاءة وتوضيح الأحداث، أو المشاكل الاجتماعية، ومختلف الظاهرات. وهو لا يكتفي بنقل الأخبار والمعلومات والشرح، وتقديم مايمكن أن نتعلم منه، وإثارة روح المرح وإنما وهذا هو الأهم، يملك القدرة على التأثير في أفكار القارئ والمساهمة في تشكيل الرأي العام..

كان هذا ما سعت إليه الصحيفة في نقل مادتها الإعلامية من أجل الإبقاء على الرأي العام السوري ممسكاً بالثورة الجزائرية متتبعاً لحركتها وأحداثها...

أما فيما يتعلق بالعناوين فقد أوضحنا فيما سبق أن صحيفة الأيام استخدمت العناوين بكثافة واعتمدتها مفصّلة وثنائية وثلاثية، وأحسنت إخراجها، لكن هذه العناوين كانت تفتقر في كثير منها إلى الحيوية التي تحرّك الحس العاطفي بشكل أفضل، ولتكون الصيغة أكثر انسجاماً مع الخبر والعرض.

وفيما يلي جدول بقسم من هذه العناوين.

جدول رقم (١٨)

يبين العناوين التي استخدمتها صحيفة الأيام في المادة الإعلامية التي تحيط بالثورة الجزائرية.

العنوان	رقم العدد	تاريخ العدد
*حكومة المجاهدين في الجزائر	٥٧٣٩	١٩٥٦/١/١٩
*العناصر الفاشية في الجزائر	٥٧٥٢	١٩٥٦/٢/١٣
*جهاد الجزائر	٥٧٥٥	١٩٥٦/٢/١٦
*موقف فرنسا من الجزائر	٥٧٧٩	١٩٥٦/٣/١٦
*منح حاكم الجزائر سلطات دكتاتورية	٥٧٨٢	١٩٥٦/٣/٢٠
*مظاهرات الطلاب انتصاراً للجزائر	٥٧٨٤	١٩٥٦/٣/٢٥
*في سبيل الجزائر المجاهدة	٥٧٨٩	١٩٥٦/٣/٢٩
*مصرع ١٤٠ مجاهداً بالجزائر	٥٧٩٠	١٩٥٦/٣/٣٠
*يوم الجزائر في ١١ نيسان ١٩٥٦ دعوة ٧٥ ألف جندي لإرسالهم للجزائر في ١١ نيسان ١٩٥٦	٥٧٩٩	١٩٥٦/٤/١١
*اعتقال مئات الأبرياء في الجزائر	٥٨٠٢	١٩٥٦/٤/١٥
*الجزائر موطن الثورة العارمة لجنة تنظيم يوم الجزائر المجازر الفرنسية بالجزائر المجاهدة	٥٨٠٤	١٩٥٦/٤/١٧
*فرنسا تواصل سياسة الإبادة في الجزائر انتصار دمشق لشعب الجزائر المناضل مظاهرات في حمص انتصاراً للجزائر	٥٨٠٧	١٩٥٦/٤/٢٢
*لن تخمد ثورة الجزائر تقصير الدول العربية إزاء الجزائر	٥٨١٠	١٩٥٦/٤/٢٥

*ربع مليون فرنسي في الجزائر أسبوع الجزائر في الأردن حل مشكلة الجزائر المناضلة	٥٨١٢	١٩٥٦/٤/٢٧
*الاستقلال التام هدف الجزائر	٥٨١٤	١٩٥٦/٤/٣٠
*انصروا شعب الجزائر في نضاله	٥٨١٦	١٩٥٦/٥/٢
*استشهاد ٢٠٧ مجاهدين في الجزائر	٥٨١٧	١٩٥٦/٥/٣
*أيتدخل هامر شولد لوقف المذابح الدائرة في الجزائر؟	٥٨١٨	١٩٥٦/٥/٤
*أفدح خسارة تمنى بها فرنسا في الجزائر.	٥٨١٩	١٩٥٦/٥/٦
*إحراق المزارع الفرنسي بالجزائر.	٥٨٢٠	١٩٥٦/٥/٨
*٦٠٠بطل جزائري يصمدون أمام جيش استعماري جرار الحسيني ينتصر لقضية الجزائر	٥٨٢١	١٩٥٦/٥/٩
*فرنسا ترسل ٥٠ ألف جندي احتياطي إلى الجزائر المدفعية الثقيلة وطائرات فرنسا ضد المناضلين الجزائريين.	٥٨٢٢	١٩٥٦/٥/١٠
*الجزائر للجزائريين. يجب مساعدة الجزائر ومقاطعة فرنسا	٥٨٢٥	١٩٥٦/٥/١٣
*الله للجزائر ولمجاهدي الجزائر حملات الإبادة الجماعية بالجزائر	٥٨٣٥	١٩٥٦/٥/٢٢
*ستكون الجزائر مقبرة للفرنسيين	٥٨٤٧	١٩٥٦/٦/٤
*استشهاد عدد من المناضلين في الجزائر	٥٨٥٥	١٩٥٦/٦/١٢
*اتساع ثورة الجزائر	٥٨٦٩	١٩٥٦/٦/٢٨
*نجاح الإضراب العام في الجزائر.	٦٠٤٠	١٩٥٧/٢/٨
*أعنف المعارك تدور بين المجاهدين والفرنسيين في الجزائر	٦٠٤٢	١٩٥٧/٢/١٠
*الحكومة الجزائرية ضرورة قومية.	٦٠٤٤	١٩٥٧/٢/١٢
*هيئة الأمم المتحدة اعترفت بحق الجزائر	٦٠٤٨	١٩٥٧/٢/١٨

*قضية الجزائر في الصعيد الدولي	٦٠٤٩	١٩٥٧/٢/١٩
*مجاهدو الجزائر ينصبون أخطر كمين للفرنسيين.	٦٠٥١	١٩٥٧/٢/٢١
*جنون الفرنسيين في الجزائر	٦٠٨٦	١٩٥٧/٤/٤
*حرب الجراثيم في الجزائر.	٦٠٩١	١٩٥٧/٤/١٠
*الإرهاب البوليسي في الجزائر	٦٠٩٢	١٩٥٧/٤/١١
*بيان مهم لجيش التحرير الجزائري.	٦٠٩٥	١٩٥٧/٤/١٦
*ثورة الجزائر ستنجح	٩٠٩٦	١٩٥٧/٤/١٧
*سفك دماء الأبرياء في الجزائر	٦١٠١	١٩٥٧/٤/٢٢
*الله أكبر والنصر للجزائر.	٦١٠٢	١٩٥٧/٤/٢٣
*هجمات قوية شنها المجاهدون في الجزائر.	٦١٠٦	١٩٥٧/٤/٢٨
*حرب الإبادة مستمرة في الجزائر.	٦١٠٩	١٩٥٧/٥/٦
*نشاط المجاهدين بالجزائر.	٦١١١	١٩٥٧/٥/٨
*الحالة تزداد خطورة في الجزائر زعماء الجزائر الخمسة المعتقلون	٦١١٤	١٩٥٧/٥/١٢
*معركة الجزائر طويلة	٦١١٨	١٩٥٧/٥/١٥
*٣٠٠ ألف جزائري صرعهم الاستعمار خلال خمسة أشهر مصرع جزائري خائن	٦١٢٧	١٩٥٧/٥/٢٧
*معركة الجزائر انتقلت للصعيد الفرنسي جيش التحرير يضيق الخناق على القوات الفرنسية في الجزائر.	٦١٢٨	١٩٥٧/٥/٢٨
*جبهة التحرير تفاخر باغتيال خائن الجزائر	٦١٢٩	١٩٥٧/٥/٢٩
*باكستان تؤيد قضية الجزائر	٦١٥٨	١٩٥٧/٧/٢
*دالس يدعم فرنسا ويؤيد سياستها الاستعمارية في الجزائر شيخ أمريكي يطالب الولايات المتحدة بالتدخل ودعم اليهود لحل مشكلة الجزائر	٦١٥٩	١٩٥٧/٧/٣

*دول الدنيا أيدت بقرار إجماعي تحرير الجزائر	٦١٦٢	١٩٥٧/٧/٧
*المجاهدون الجزائريون يقتلون ضابطين فرنسيين برتبة كبيرة في ربوع الجزائر بلد البطولات	٦١٦٤	١٩٥٧/٧/١٥
*مناضلو الجزائر يصرعون الخونة.	٦١٦٧	١٩٥٧/٧/١٨
*ألمان يقاتلون في صفوف الفرنسيين في الجزائر.	٦١٧١	١٩٥٧/٧/٢٣
*النظام العسكري والسياسي لجيش التحرير في الجزائر.	٦١٧٨	١٩٥٧/٨/١
*الجزائريون الخونة.	٦١٨٧	١٩٥٧/٨/١٢
*ريح الدماء في الجزائر تعصف في فرنسا	٦١٨٩	١٩٥٧/٨/١٤
*ثورة الجزائر ستستمر حتى تبلغ أهدافها	٦٢٢٢	١٩٥٧/٩/٢٣
*جيش التحرير الجزائري حقيقة لا يمكن إغفالها	٦٢٣٧	١٩٥٧/١٠/١١
*لا مفاوضة إلا بعد استقلال الجزائر	٦٢٥٨	١٩٥٧/١١/٥
*حرب الجزائر أضعفت فرنسا	٦٢٥٩	١٩٥٧/١١/٦

٤ – ٤ التحليل النوعي:

قلنا إن صحيفة الأيام لا تمثّل أي تيار إيديولوجي، ولا تنطق بلسان أية مجموعة سياسية. إلا أن ما يلفت النظر في معالجتها الإعلامية للثورة الجزائرية بروز العبارات الإسلامية الجهادية «الله للجزائر ولمجاهدي الجزائر»، «الله أكبر والنصر للجزائر»، وغيرها من الكلمات والمصطلحات التي تمارس في الأدبيات الإسلامية. مثل هذه العبارات والكلمات لم نجدها حتى في صحيفة المنار التي تمثّل التيار الإسلامي في سورية، ولم نجدها أيضاً في الصحف الثلاث السابقة. لهذا كان طابع التوجه الإسلامي في المعالجة الإعلامية هو الأقوى، رغم وجود الطابع القومي العربي.

ولقد تمحور مضمون المادة الإعلامية للصحيفة، فيما يخص الثورة الجزائرية بميوله الدينية والقومية حول ثلاث توجهات:

١ – إدانة الاستعمار الفرنسي.

٢ – تأييد الثورة الجزائرية.

٣ – نقد مواقف الأنظمة العربية.

٤ – ٤ - ١ إدانة الاستعمار الفرنسي:

عملت صحيفة الأيام في توجهها إلى الرأي العام السوري خاصة والعربي عامة، على كشف حقيقتين متصارعتين جذرياً، تتمثل الأولى بوحشية الاستعمار الفرنسي مدعوماً من أمريكا والسوق الأوروبية المشتركة. وتتمثل الثانية بمقاومة الشعب الجزائري لهذه الوحشية، وإلحاق الخسائر بمرتكبيها، مع التبشير بأن النهاية ستكون لصالح شعب الجزائر المجاهد. وهي في هذا التوجه تكون مقتربة من صحيفة النور. غير أن صحيفة الأيام سلّطت الإضاءة أكثر على الوجه الوحشي للاستعمار الفرنسي، وبشّرت بانتصار الثورة الجزائرية. ولقد وصفت ما يقوم به الفرنسيون من أعمال همجية في الجزائر بالجنون «جنون الفرنسيين في الجزائر»(١) الذي تنكّر لكل ماله صلة بالسمات الإنسانية والحضارية، حرب إبادة مستمرة، وسفك لدماء الأبرياء في كل قرية ومدينة «ثلاثون ألف جزائري صرعهم الاستعمار خلال خمسة أشهر»(٢).

وتستمر المجازر الفرنسية بالجزائر المجاهدة، ويستمر تعذيب الجزائريين في معسكرات الموت، وتقصف المدفعية الثقيلة القرى، وتسقط الطائرات قنابلها، تدمّر ما تدمّر دون تمييز، وجنون المستعمرين الفرنسيين يزداد ويزداد. فها هم

(١) صحيفة الأيام، العدد /٦٠٨٦/، تاريخ ١٩٥٧/٤/٤.

(٢) صحيفة الأيام، العدد /٦١٢٧/، تاريخ ١٩٥٧/٤/٤.

يستدعون (٧٥) ألف جندي احتياطي، ويرسلون إلى الجزائر خمسين ألفاً ليرتكبوا المزيد من المجازر الوحشية، وليستخدموا حرب الجراثيم.

كل هذا ووزير الخارجية الأمريكية (دالس) يؤكد دعم أمريكا لفرنسا ويؤيد سياستها الاستعمارية بالجزائر. «شيخ أمريكي يطالب الولايات المتحدة بالتدخل، ودعم اليهود لحل مشكلة الجزائر»[١].

وليست أمريكا وحدها هي التي دعمت فرنسا في حربها الوحشية بل إن «دول السوق الأوروبية المشتركة أعلنت مساعدتها لحرب فرنسا في الجزائر»[٢].

هذه هي الصورة الأولى التي رسمتها صحيفة الأيام، عن فظائع الاستعمار الفرنسي التي يمارسها ضد الإنسان الجزائري المطالب بحريته واستقلاله. ولم تتوقف عند هذه الصورة، بل أضاءت ردود الفعل التي خلّفتها ممارسة الوحشية، وجسّدتها في صورة ثانية مقابلة تسطع بعنفوان الثورة الجزائرية.

٤ - ٤ - ٢ تأييد الثورة الجزائرية:

عملت صحيفة الأيام منذ البداية على تثبيت روح الثقة بالثورة الجزائرية، وتتبع مسيرتها. وأكدت أن «الجزائر موطن الثورة العارمة»[٣] التي يصعب النيل منها مهما بلغت التضحيات، وأن للجزائر تاريخاً طويلاً في الثورات ضد المستعمر الفرنسي «فنضال الجزائر لم يخمد أواره منذ الاحتلال»[٤]. وهناك ثورات متلاحقة قام بها الشعب الجزائري كثورة الأمير عبد القادر، وثورة أولاد

---

(١) صحيفة الأيام، العدد /٦٠٨٦/، تاريخ ١٩٥٧/٥/٢٧.

(٢) صحيفة الأيام، العدد /٦١٨٩/، تاريخ ١٩٥٧/٨/١٤.

(٣) صحيفة الأيام، العدد /٦٨٠٤/، تاريخ ١٩٥٧/٤/١٧.

(٤) صحيفة الأيام، العدد /٦٢٩١/، تاريخ ١٩٥٧/١٢/١٣.

سيد الشيخ، وثورة الشيخ بن حداد، وثورة ١٩٢٣، والثورة هذه العارمة التي تقودها جبهة التحرير الوطني الجزائري[١].

ونوهت الصحيفة أن جيش التحرير الجزائري حقيقة لا يمكن إغفالها وأن ريح الدماء في الجزائر ستعصف في فرنسا. ذلك أن المجاهدين الجزائريين يسجلون الملاحم في ربوع الجزائر بلد البطولات، فهم لا يقتصّون من المستعمر الفرنسي فحسب، وإنما يقتصّون أيضاً من المتآمرين على الثورة «فالمناضلون يصرعون الخونة»[٢] ويجتثّون آثارهم، ويلاحقونهم أينما كانوا حتى ولو داخل فرنسا.

وإذ تخاطب الصحيفة الجزائر والثورة الجزائرية فإنها تتوجه إليهما مباشرة، بالكلمات نفسها التي تتبناها الثورة، كما أوضحنا: «الله أكبر والنصر للجزائر»[٣]. «الله للجزائر ولمجاهدي الجزائر»[٤].

ولهذه العبارات وقع روحي قوي سواء في أوساط الرأي العام العربي أو في أسماع المجاهدين الصابرين. ومثل هذا الوقع يتجلى في عبارات أخرى «الرحمة لشهداء الجزائر»[٥] و«أرواحنا في سببيل الجزائر المجاهدة»[٦].

وفي ردّها على جحافل جيش المستعمرين والآلاف التي ترسل من جنود فرنسا إلى الجزائر تخاطب الرأي العام بثقة واضحة: «ستكون الجزائر مقبرة

---

(١) صحيفة الأيام، العدد /٦٠٩٦/، تاريخ ١٩٥٧/٤/١٦.

(٢) صحيفة الأيام، العدد /٦١٦٧/، تاريخ ١٩٥٧/٧/١٨.

(٣) صحيفة الأيام، العدد /٦١٠٢/، تاريخ ١٩٥٧/٧/٢٢.

(٤) صحيفة الأيام، العدد /٥٨٥٦/، تاريخ ١٩٥٦/٥/٢٢.

(٥) صحيفة الأيام، العدد /٥٧٧٢/، تاريخ ١٩٥٦/٣/٧.

(٦) صحيفة الأيام، العدد /٥٧٨٩/، تاريخ ١٩٥٦/٣/٢٩.

للفرنسيين»[١] مهما كان من عنف المعارك ومهما طال أمدها، وسوف تنجح الثورة الجزائرية لأن«الجزائر للجزائريين»[٢] والجزائر لا ترضى عن حريتها بديلاً، وسوف تتسع الثورة وتمتد حتى الاستقلال التام و«سيرفع علم الجزائر الحرة بالقوة»[٣].

هكذا كانت الصحيفة توقظ التعاطف مع الثورة الجزائرية، وتوقظ الأمل، في الوقت نفسه بأن مصير المستعمر الفرنسي، الهزيمة الساحقة، على أيدي المجاهدين الجزائريين.

كذلك لم تخفِ الصحيفة فرحتها بانتصارات الثورة الجزائرية على المستوى الدبلوماسي والدولي. وقد أشادت بهذه الانتصارات بروح الفخر والاعتزاز «دول الدنيا أيدت بقرار جماعي تحرير الجزائر»[٤]. وهيئة الأمم المتحدة اعترفت بحق الجزائر في تقرير مصيرها، وهو ما يعني أن فرنسا هذه القوة العظمى قد فقدت قدرتها في التأثير داخل الأمم المتحدة، وأصبح بإمكان أية دولة من الدول الأضعف أن توجه النقد إليها مثلما فعل مندوب إيران حين فنّد جرائمها ضد الشعب الجزائري. وبهذا أطاحت الثورة الجزائرية بهيبة فرنسا وبدبلوماسيتها.

٤– ٤-٣ نقد مواقف الأنظمة العربية:

لم يكن موقف صحيفة الأيام الناقد للأنظمة العربية كموقف الصحافة الحزبية. ذلك أن موقف هذه الصحافة تميّز بالحدة والمباشرة. وكان دائماً ذا

---

(١) صحيفة الأيام، العدد /٥٨٣٧/، تاريخ ١٩٥٦/٦/٤.

(٢) صحيفة الأيام، العدد /٥٨٢٥/، تاريخ ١٩٥٦/٥/٢١.

(٣) صحيفة الأيام، العدد /٦٢٢٣/، تاريخ ١٩٥٧/٩/٢٤.

(٤) صحيفة الأيام، العدد /٦١٦٢/، تاريخ ١٩٥٧/٧/٧.

طابع هجومي، ولم يهادن الأنظمة العربية، أما موقف الصحيفة فكان أقرب إلى المناشدة والمطالبة بضرورة أن يكون موقف الأنظمة العربية من الثورة الجزائرية، موقفاً أفضل، وأن يكون موقفاً أخلاقياً. ومع أن الصحيفة كانت تشير إلى أخطاء الأنظمة العربية بين حين وآخر إلا أنها كانت تلتزم حدود المهادنة ولا تثير غضباً. تخاطب الحكام العرب «قضية الجزائر أمانة في أعناق العرب»(١) كأنما تريد أن تحرّك أحاسيسهم لاستيعاب هذه الأمانة، والاهتمام بها. لكن مفهوم الأمانة وإدراكه يختلف من موقع إلى آخر، كما يختلف الإحساس به من فرد، الخ... والذي نرجوه، تناشد الصحيفة: «هو خطة عربية موحدة تكون في مصلحة قضية الجزائر، وحرية الشعب الجزائري واستقلاله أمانة في أعناقنا نحن العرب فعلينا أن نحفظ هذه الأمانة وندافع عنها بقوة واستماتة ونردّها إلى أصحابها بعد استخلاصها من أيدي المستعمرين، جلادين القرن العشرين»(٢).

وهي إذ تشير إلى تقصير الدول العربية إزاء الجزائر، ومقاطعة فرنسا، وتستعطفهم لنجدة إخوتهم الجزائريين بما هو ملموس: «فالكلام وحده والخطب وحدها لم تعد مجدية في مثل هذا المجال، بعد أن جنّدت فرنسا جميع وسائل الدعاية لديها ولدى حلفائها لإبعاد القضية الجزائرية عن هيئة الأمم المتحدة»(٣) ولذلك فإن ما ينتظر من الدول العربية أن تزيد تمثيلها في أنحاء العالم بمكاتب تشرح مأساة الجزائر، مدعومة بالصور عن المجازر الوحشية التي ترتكبها فرنسا في هذه البقعة العربية الإسلامية.

---

(١) صحيفة الأيام، العدد /٦١٦٧/، تاريخ ١٩٥٧/٧/١٨.

(٢) صحيفة الأيام، العدد /٦٠٩٦/، تاريخ ١٩٥٧/٤/١٦.

(٣) صحيفة الأيام، العدد /٦٠٩٦/، تاريخ ١٩٥٧/٤/١٦.

وهكذا تستمر صحيفة الأيام تناشد وتستعطف الأنظمة العربية، وتدعوهم إلى التنسيق مع جبهة التحرير الوطني وتردّد: «انصروا شعب الجزائر في نضاله»[1]. ونحن إذ نقول ذلك فإننا لا نريد أن نحرّك الضمائر الميتة لدى زعماء الدول الكبرى، ولا العقول المتحجرة التي تسيّر سياسات بلادهم، وإنما نودّ أن تبذل الدول العربية جهودها لكسب أكبر تأييد للثورة الجزائرية.

٤ – ٥ دلالات العناوين:

أوضحنا من قبل أن عناوين صحيفة الأيام فيما يتعلق بالثورة الجزائرية، كانت تفتقر إلى الحيوية، في بداية تناول الثورة بالمعالجة الإعلامية، غير أن هذه الحيوية مالبثت أن ظهرت بعد بضعة أشهر. وكلما لاح تقدم الثورة الجزائرية ارتفعت حيوية هذه العناوين بما يتناسب مع ما يحققه الشعب الجزائري من إنجازات في نضاله ضد المستعمرين الفرنسيين. وفي هذه المرحلة كان للعناوين توجهان متناغمان الأول استنهاض التعاطف القوي مع الثورة الجزائرية والشعب الجزائري والثاني التبشير بسقوط الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وتميّزت مفردات الاتجاه الأول بالقوّة المؤثّرة روحياً إذ كانت تستلهم دلالاتها من التعابير الإسلامية الخاصة بالجهاد «الله أكبر» «الشهداء» و«المجاهدون» و«الجهاد» و«الجزائر البلد الإسلامي». هذه المفردات كانت مناسبة تماماً للمرحلة التاريخية، وكانت الأكثر قبولاً لدى الشرائح الواسعة من الجماهير في سورية والأقطار العربية.

---

(١) صحيفة الأيام، العدد /٥٨١٦/، تاريخ ١٩٥٦/٥/٢.

أما دلالات عناوين الاتجاه الثاني، وإن لم تكن بقوّة الأولى إلّا أنها استهدفت محو الشك من تفكير الجماهير، بقدرة الثورة الجزائرية على الانتصار، وزرع اليقين بسقوط الاستعمار الفرنسي ونهايته «الجزائر موطن الثورة العارمة» والجزائر «مقبرة الفرنسيين» «الجزائر للجزائريين» و«الثورة ستنجح»...

هذه الدلالات بمجملها استهدفت إسقاط الدعاية الفرنسية التي سعت إلى زرع اليأس وتجذير الإرهاب ليس في أوساط الشعب الجزائري فحسب، وإنما في وعي الرأي العام العربي بصورة عامة. وقد صعّبت هذه الدلالات الطريق على إعلام المستعمرين بل كثيراً ما قطعته في وجوههم، لأنها تنبع من صلب العقيدة الدينية الإسلامية في أن الجهاد باب من أبواب الجنة.

٤ – ٦ أسلوب المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية:

لم تكن العبارات الإسلامية في صحيفة الأيام إلاَّ انعكاساً، للدافع الديني الذي برز أكثر من أي دافع آخر بالرغم من أن الصحيفة، نفت عن نفسها هذا التوجّه، من حيث عدم التزامها بأي تيار فكري، لكن العاطفة الإسلامية الواضحة الهدف هي التي حددت الدافع الديني الذي رسم الرسالة الإعلامية للصحيفة. وكان الدافع الثاني قومياً عربياً ظهرت ملامحه عبر النصوص، وإن لم تظهر في العناوين. وقد أوضحنا هذا الدافع في تناولنا لموقف الصحيفة من الأنظمة العربية.

على أن هناك أيضاً لمسات إنسانية تظهر في بعض التعابير مثل: (إبادة الأبرياء) أو (اعتقال مئات الأبرياء) وغيرها... وبوحدة هذه الدوافع واستخدام أسلوب التأثير التراكمي على المدى الأطول بين كل الصحف رسّخت

الصحيفة حقائق ملموسة تقنع بانتصار الثورة الجزائرية، وقدرة الشعب الجزائري العظيم على تجاوز المجازر...

ولم تختلف صحيفة الأيام عن سابقاتها في استخدام أسلوب التأثير العاطفي الذي كان الأقوى سواء في استنهاض المشاعر الدينية أو الغضب على الاستعمار الفرنسي. فهي في استثارتها للعاطفة الدينية إنما كانت توقظ الإيمان بنصر الله للشعب الجزائري المؤمن والمجاهد وتوقظ سلوك الإنسان المؤمن ليكون أمتن التفافاً بصدق مشاعره حول الثورة الجزائرية.

وفي أسلوب استثارة الجماهير كانت توجه الوعي الجماهيري نحو العمل لدفع الأنظمة العربية إلى الالتزام الأقوى بالثورة الجزائرية ومراقبة هذه الأنظمة، التي كانت دائماً مقصّرة بحق الشعب الجزائري.

وبهذه الأساليب الثلاثة مارست الصحيفة رسالتها الإعلامية نحو الثورة الجزائرية، من إدانة للمستعمرين الفرنسيين وحلفائهم، والتفاف قوي حول الثورة الجزائرية، وكذلك الوقوف في وجه تقصير الأنظمة العربية عن مساندة الشعب الجزائري مساندة حقيقية ملموسة لامساندة بالخطابات والشعارات فقط!.

٤ - ٧ صحيفة النصر:

هي جريدة يومية قومية سياسية جامعة، هكذا وصفت الصحيفة نفسها، صاحبها ومديرها المسؤول وديع صيداوي، صدر عددها الأول في الخامس من شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٤٣ وهو يقع في أربع صفحات من القطع المتوسط. وقد شرح صاحبها الظروف التي اقتضت تأسيس الصحيفة، ورسالتها، والخطة التي ستسير عليها، وهي خدمة الوطن والأمة العربية..

وقد استمرت الصحيفة بالصدور حتى عام ١٩٥٢، حيث اندمجت بعد ذلك مع جريدة «الأخبار» وصدرت عنها صحيفة جديدة سمّيت (النصر الجديد)، غير أن هذه الجريدة لم تعمّر طويلاً، فعادت كلٌّ من الصحيفتين إلى سابق عهدهما، وفي عام ١٩٥٨ عام وحدة سورية ومصر، لم يتنازل وديع صيداوي عن امتياز جريدته للدولة، وإنما استمرت الجريدة على مسؤوليته، حتى توقفت نهائياً عام ١٩٦٣م استنادا للأنظمة الإعلامية الجديدة.

ظهرت الصحيفة، يوميةً سياسية مصورة في أربع صفحات. وجاء اسمها في وسط الصفحة الأولى بينما احتلّت الافتتاحية موقعاً لها على الجانب الأيمن تحت عنوان دائم «قضية الساعة». أما الجانب الأيسر من الصفحة فقد كان موقعاً لعمود دائم تحت عنوان «أخبار وأسرار». وشغلت كاملَ الصفحة الأخبارُ العالمية والمحلية.

واهتمّ تحريرُ الصفحة الثانية بالشؤون الداخلية حيث وضع في رأس الصفحة عنوان «الأحداث الداخلية والمحلية»، وقد خصّص على الجانب الأيمن موقع لعمود دائم يبدأ برأس الصفحة ويستمر إلى نهايتها ويحمل عنوان «على الهامش» وهو يتابع الأوضاع الداخلية في البلاد.

وخُصّصت الصفحة الثالثة للأحداث الدولية بعنوان: في المعترك الدولي. وعلى الجانب الأيمن للصفحة موقعٌ لعمود يبدأ برأس الصفحة وينتهي بنهايتها، بعنوان ثابت: «اقرأ على مسؤوليتي»، أما الجانب الأيسر فقد خُصّص للفنون والآداب بعنوان ثابت أيضاً «دراسات فنية وثقافية»...

أما الصفحة الرابعة فتشغلها بقايا ما حُرّر في الصفحات الأخرى، بالإضافة إلى الإعلانات وهي متوفّرة في الصفحة، وهناك أيضاً موقع صغير على الجهة اليسرى تكتب فيه دائماً شروط الاشتراك وهي (٢٥ ليرة سورية

للعموم و ٥٠ ليرة سورية للدوائر الرسمية والمؤسسات الخاصة وللخارج ٦ جنيهات استرليني أو ١٥ دولار أمريكي). وكذلك هناك أيضاً شروط للإعلانات وهي (٢٠٠) ليرة سورية للسطر في حال الإعلانات الرسمية ١٠٠ ليرة سورية للإعلانات التجارية. وإذا تكرّر الإعلان يتفق عليه مع الإدارة. أما سعر العدد فقد حُدّد بـ (١٠ قروش سورية).

بالإضافة إلى هذا هناك مستطيل بمساحة ٦٠سم[٢] مخصّص لعنوان الصحيفة: النصر صاحب الامتياز وديع صيداوي، الإدارة دمشق ساحة الشهبندر. ص . ب ٣٠٧، تلغرافيا النصر. (رقم الهاتف ١٢٤٦٠ - ١٢٤٦١)..

وبصورة عامة فإن صحيفة النصر تكاد تشبه صحيفة الأيام من حيث توجّهها الإخباري وهو ما يلاحظ في تبويبها وإخراجها. وقد عُرفت بميولها المحافظة، وعدم معارضتها لأية حكومة تكون قائمة على رأس الدولة. بل إنها في كثير من الأحيان كانت تقف موقع المدافع عن السلطة في كل الحالات السياسية...

٤ - ٨ توصيف المعالجة الإعلامية

مما سبق من شرح وتوضيح يتبين لنا أن ليس للصحيفة اتجاه فكري محدّد، وإن كانت قد أبدت أن اتجاهها قومي وفق النص الذي عرّفت به نفسها بأنها جريدة يومية سياسية، فليس هناك منطلقات نظرية معيّنة لهذا الاتجاه ولا نصوص تحدّد البنية الفكرية لهذا النوع من القومية. وإنما يُستشفّ من بعض النصوص أن المشاعر التي تتحكّم في الصحيفة هي مشاعر وطنية قومية عامة دون أن يحدّدها تأطير آيديولوجي. لذلك لم تكن الصحيفة بحاجة إلى الأنواع الصحافية التي تعكس الرأي والتوجه الآيديولوجي، بل اعتمدت الأنواع الصحافية الإخبارية، وبصورة خاصة التقرير..

أمّا من حيث المضمون فقد حاولت الصحيفة أن تنقل عمق الثورة الجزائرية عن طريق الترجمة، إذ اهتمت اهتماماً واسعاً بتقارير **(نيوزويك)** ومراسلها في نيويورك، فكان الاعتماد على الأخبار الخارجية أوسع بكثير جداً من الاعتماد على الأخبار المحلية والعربية.

ومن الواضح أيضاً أن صحيفة النصر كانت شديدة التركيز على الجانب السياسي في معالجتها الإعلامية بصورة عامة. غير أنها، تلتفت بين الحين والآخر إلى المجالات الثقافية والفنية والأدبية، كما تعالج بعض القضايا الاجتماعية ذات التأثير السلبي في حياة المجتمع ولكن باهتمام أقل..

أمّا ما يميّز الصحيفة عن الصحف الأخرى، فهو ذلك التركيز على الإعلان والاهتمام به وهو ما يشير إلى أن فهم الإعلان لدى الصحيفة كمورد أساسي لها، قد جعلها في سباق حقيقي نحو اقتناص الإعلانات، وتخصيص مساحات واسعة لها في كل الصفحات وهو ماساهم في تسويقها بشكل واضح...

٤ - ٦– التوصيف الكمي:

يمثّل مجتمع البحث في صحيفة النصر واحداً وعشرين عدداً من الفترة ١٩٥٦/٢/٢٣ إلى ١٩٥٧/٦/١٨ وهذا العدد قدّم للدراسة من الأخبار والمعلومات ما يحيط بالثورة الجزائرية بصورة عامة، وما يوضح من توجه الصحيفة وثقتها بالشعب الجزائري وثورته، وقدرته على الصمود والانتصار..

وفيما يلي نبيّن مساحة المادة الإعلامية التي تحدّثت عن الثورة الجزائرية، وذلك بالنسبة لمادة التحرير خلال الفترة الزمنية التي أشرنا إليها..

جدول رقم (١٩)

يبين مساحة مادة التحليل ضمن مادة التحرير خلال الفترة

١٩٥٦/٢/٢٣ إلى ١٩٥٧/٦/١٨

الرقم	الشهر والسنة	مساحة مادة التحرير	مساحة مادة التحليل	النسبة المئوية%
١	فيفري/ شباط ١٩٥٦	١٥٣١١	١٧١٠	١١.١٧
٢	مارس/ آذار ١٩٥٦	٧٦٥٦	١٥٦	٢.٠٣
٣	أفريل/ نيسان ١٩٥٦	١٥٤٥٢	٧٨٠	٥.٠٥
٤	ماي/ أيار/ ١٩٥٦	٤٥٩٣٦	٢٨٢٨	٦.٢٢
٥	جوان/ حزيران/ ١٩٥٦	٢٢٩٦٨	١١٧٠	٥.٠٩
٦	جويليه/ تموز/ ١٩٥٦	٧٨١٢	٢٩٤	٣.٧٦
٧	أوت/ آب / ١٩٥٦	١٥٣٠٧	٢٠٩٤	١٤.٤٦
٨	سبتمبر/ أيلول/ ١٩٥٦	-	-	-
٩	أكتوبر/تشرين الأول/١٩٥٦	٨٦٩٥	٣٩٢٢	٤٥.١٠
١٠	نوفمبر /تشرين الثاني١٩٥٦	-	-	-
١١	ديسمبر/ كانون أول١٩٥٦	-	-	-
١٢	ماي/ أيار/ ١٩٥٧	٧٥١٦	٣٦٠	٤.٧٩
١٣	جوان/ حزيران/ ١٩٥٧	٧٤٩٢	٢١٦	٢.٨٨
	المجموع	١٥٤١٤٥	١٣٥٦٠	٨.٧٩

نتبين من الجدول رقم (١٩) أن الشهر الذي مارست فيه صحيفة النصر أوسع المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية كان شهر تشرين الأول /أكتوبر عام ١٩٥٦ وذلك بفضل أسبوع التضامن مع الشعب الجزائري، وكانت نسبة المعالجة ٤٥.١٠% . وفيما عدا هذا الشهر فإن الاهتمام بالثورة الجزائرية لم ينقطع أبداً وإنما كانت المساحة التي تخصّص تتراوح بين صعود وهبوط، فالنسبة الأعلى كانت كما أشرنا ٤٥.١٠% في حين كانت النسبة الأدنى ٢.٠٣%، والفرق بين النسبتين كبير وملحوظ.

٤ – ٩ - ١ الأنواع الصحافية المستخدمة

استخدمت صحيفة النصر في معالجتها الإعلامية للثورة الجزائرية، الأنواع الصحافية التي تناسب الصحيفة الإخبارية مثل الخبر، والتقرير، والعناوين، والمانشيت، كما استعانت بالأنواع الصحافية ذات الأهمية بالنسبة لصحف الرأي مثل المقالة، والافتتاحية، وكان للشعر أيضاً دوره كوسيلة اتصال موقظة للمشاعر.

وهكذا يلاحظ أن الصحيفة قد تعاملت مع أغلب الأنواع الصحافية إلا أنها أهملت التعليق إهمالاً كاملاً، بالرغم من أهميته كنوع صحافي للصحيفة الإخبارية، كذلك لم يكن اهتمامها بالصورة أمراً حاضراً، وفيما يلي الجدول رقم (٢٠) الذي يبيّن لنا الأنواع الصحافية المستعملة، وذلك باتباع التسلسل حسب التكرار لكل نوع منها..

جدول رقم (٢٠)

يبين الأنواع الصحافية التي استخدمتها صحيفة النصر في المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية

النوع الصحافي/ المجال	عسكري التكرار	سياسي التكرار	المجموع	مجموع المساحة/سم[٢]	النسبة المئوية%
الخبر	٠٣	٠٧	١٠	٢٩٦٥	٢١.٨٧
التقرير	-	٠٨	٠٨	٤٩٩٨	٣٦.٨٦
المقالة	-	٠٤	٠٤	٣١٠٧	٢٢.٩١
العناوين	٠١	٠٢	٠٣	٤٠٨	٠٣.٠٠
الافتتاحية	-	٠٢	٠٢	٧٠٢	٠٥.١٨
حديث	-	٠١	٠١	٣٢٤	٠٢.٣٩
شعر	-	٠١	٠١	١٠٥٦	٠٧.٧٩
المجموع	٠٤	٢٥	٢٩	١٣٥٦٠	١٠٠

يتبين من الجدول أن الأخبار احتلّت المرتبة الأولى من حيث التكرار وقد احتل التقرير المرتبة الثانية، وهو ما يميز الصحيفة، إذ كانت متقدمة في استعمال هذا النوع الإخباري. وجاءت المقالة في المرتبة الثالثة، في حين تأخرت العناوين إلى المرتبة الرابعة. أما الافتتاحية فجاءت في المرتبة الخامسة وهو أمر طبيعي بالنسبة لصحيفة إخبارية غير حزبية ولا تحمل اتجاهاً آيديولوجياً.

وقد استعملت الصحيفة الحديث في المجال الإخباري مرة واحدة، فجاء في المرتبة السادسة، ثم جاء الشعر في المرتبة الأخيرة.

غير أن المساحة التي شغلها كل نوع تختلف اختلافاً واضحاً، مما يجعل التكرار ومرتبته في موضع آخر، يبينه الجدول التالي:

المرتبة	النوع الصحافي	التكرار	المساحة سم[٢]	النسبة المئوية%
١	التقرير	٠٨	٤٩٩٨	٣٦.٨٦
٢	المقالة	٠٤	٣١٠٧	٢٢.٩١
٣	الخبر	١٠	٢٩٦٥	٢١.٨٧
٤	الشعر	٠١	١٠٥٦	٠٧.٧٩
٥	الافتتاحية	٠٢	٧٠٢	٠٥.١٨
٦	العناوين	٠٣	٤٠٨	٠٣.٠٠
٧	الحديث	٠١	٣٢٤	٠٢.٣٩

يلاحظ من الجدول أن الخبر قد تقهقهر إلى المرتبة الثالثة من حيث المساحة، وهو ما يثير الانتباه في صحيفة إخبارية!، لأن ذلك يعتبر تقصيراً

في استخدام هذا النوع. وجاء التقرير في المرتبة الأولى وهو ما يعني أنه حلّ محلّ الخبر في تغطية المعالجة الإعلامية، وجرى استخدامه بكثافة، كذلك تقهقرت العناوين إلى المرتبة السادسة وهو تقصير آخر في هذا المجال. أما المقالة فكان لها موقعها الحسن في الترتيب حيث جاءت في المرتبة الثانية، وفي هذا أيضاً تعويض عن الأخبار، التي كانت أدنى تلبية لحاجة الصحيفة الإخبارية.

ولقد استطاعت صحيفة النصر بواسطة التقرير أن تتدارك عملية المعالجة الإعلامية للثورة الجزائرية، بما للتقرير من خصائص مميزة، فهو بالإضافة إلى أنه يقدّم الحقيقة بشفافية ويصوّر الوقائع بحيوية وصدق، فإنه يعكس في الوقت نفسه مشاعر الكاتب، أو الصحافي وأحاسيسه كما يعكس رؤيته للحقائق التي يتناولها في تقريره. وهو ما حققته الصحيفة في هذا المجال.

على أننا لا نجد في الصحيفة ذلك الاستخدام الناجح للعناوين على قلتها، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، لهذا نلاحظ نوعين من العناوين:

١ – العناوين التي أنتجتها الصحيفة نفسها.

٢ – العناوين التي جاءت مترجمة عن الصحافة الأجنبية.

وبمقارنة النوعين يتجلّى لنا تفوّق العناوين الأجنبية على العناوين الداخلية وذلك من حيث الحيوية، ومن حيث الدلالة...

فقد كانت عناوين الصحيفة ذاتها تفتقر إلى قوة الدلالة، كما تفتقر إلى تناسب الصيغة مع النص لهذا نعرض فيما يلي هذين النوعين من العناوين في الجدولين التاليين:

جدول رقم (٢٢)

العناوين إنتاج الصحيفة

العنوان	رقم العدد	تاريخ العدد
*اتساع نطاق الثورة في الجزائر	٣٣٤٣	١٩٥٦/٢/٢٣
*مظاهرات الجزائريين في فرنسا	٣٣٨٩	١٩٥٦/٤/٢٢
*مجاهدو الجزائر هاجموا خمس قلاع فرنسية أ مس.	٣٤١٣	١٩٥٦/٥/٢٨
*حكومة موليية تصر على سياستها في الجزائر.	٣٤١٦	١٩٥٦/٥/٣١
*بعد أن احتل الطلاب مكاتب وزارة الاقتصاد وهاجموا الوزارة بعنف. الحكومة قررت منع تصدير الحبوب إلى الجزائر.	٣٤١٨	١٩٥٦/٦/٣
*ليسمع الرأي العام العالمي هذه الفظائع فرنسا أبادت مئة ألف جزائري	٣٤٢٧	١٩٥٦/٦/١٣
*أيدعى مجلس الأمن قريباً لبحث وضع الجزائر	٣٤٢٨	١٩٥٦/٦/١٤
*متى تنتهي محنة الجزائر		١٩٥٦/٥/٢٧

جدول رقم (٢٣)

العناوين المترجمة

العنوان	رقم العدد	تاريخ العدد
*البركان الجزائري الجزائريون المتمسكون بالوحدة العربية على رأس جيش التحرير الدخلاء الفرنسيون قرروا اتباع الطريقة الأمريكية مع الهنود الحمر والزنوج حيال الجزائر.	٣٣٤٣	١٩٥٦/٢/٢٣
*حيث أهدر مائتا مليون دولار وحجز نصف الجيش الفرنسي، الجزائر بركان يغلي موليية يعد بالتخفيف من بؤس الجزائريين ولكن الثوار المعتصمين بالجبال لا يقبلون بأنصاف الحلول. مليون دخيل فرنسي أقسموا على ضرب الحركة التحررية وتنادوا بالسلاح.	٣٣٤٥	١٩٥٦/٢/٢٤

*رجال الكنيسة الأمريكية يطالبون الولايات المتحدة بالتدخل لمصلحة شعب الجزائر. إن للشعب الجزائري حق تقرير المصير ويجب استفتاؤه[١]	٣٤٠٧	١٩٥٦/٥/٢١
*البوليس الفرنسي يرتعد... الجزائريون بدءوا بنقل الحرب إلى فرنسا. الجميع يبحثون عن مخرج لحرب لا نهائية[٢]	٣٦٩٧	١٩٥٦/٥/٢٠

هكذا بدت صورة العناوين التي استخدمتها صحيفة النصر في معالجتها الإعلامية للثورة الجزائرية. ولابد من الإضافة إلى أن هذه المعالجة اقتصرت على المجالين العسكري والسياسي فقط وبدا الاهتمام أكبر في المجال السياسي. ولعلّها الصحيفة الوحيدة التي اقتصرت على هذين المجالين فقط، دون الاهتمام بالمجالات الأخرى لواقع الثورة الجزائرية مثل المجالات الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية. وكنا شرحنا منذ البداية، أن الجانب السياسي والفكري هما الجانبان اللذان كانا يمثلان الثقلين الأساسيين في حركة الثورة الجزائرية، واللذان كانا يكشفان عدالة الثورة أمام الرأي العام العربي بصورة خاصة والرأي العام العالمي بصورة عامة.

والملاحظة نفسها التي سجّلناها على الصحف الأخرى نسجّلها أيضاً على صحيفة النصر، من حيث أنه كان باستطاعتها أيضاً أن تتناول الجوانب الأخرى للثورة بالتنسيق مع ممثلي جبهة التحرير الجزائرية في دمشق، والإستعانة ببعض الإختصاصيين، ولو بتقديم شيء من المعلومات التي تسلّط الضوء على ما يعانيه الشعب الجزائري في حياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتي أخضعها المستعمرون الفرنسيون لسياستهم الاستعمارية.

---

(١) ترجمة عن النيوزويك.

(٢) ترجمة عن مجلة تايم.

٤ – ١٠ التحليل النوعي:

إن شخصية صحيفة النصر التي لم يظهر عليها أي ميل لأي تيار فكري سائد في سورية جعل مضمونها الإعلامي محدّداً بالأخبار دون اتخاذ أي موقف، من هذه الأخبار أو التعليق عليها. كذلك كان مضمون المادة الإعلامية المتعلق بالثورة الجزائرية إخبارياً في معظمه، وذا اتجاه واحد يجمع مابين تأييد الثورة الجزائرية الذي أوضحته افتتاحيتان لها، ثم إدانة الاستعمار الفرنسي في مجمل الأخبار التي نقلتها الصحيفة.

ومن خلال هذا الاتجاه سعت الصحيفة إلى رسم صورة واثقة بانتصار الشعب الجزائري على الاستعمار الفرنسي مهما بلغ من جبروته. إذ يحاول الاستعمار بكل ما يملك من حيلة وقوة أن يدفع بالعالم إلى دوّامته بينما تدور الشعوب على الاستقرار في غير طائل، وتركن أخيراً إلى اليأس الذي يداخل الأشلاء بعد خروجها من معركة خاسرة. هذا السلوك الاستعماري جعل الواقع يبدو شاحباً في كثير من جهات العالم، وشديد السواد في عالمنا العربي. غير أن هذا الواقع في العالم العربي لا يمثّل إلا المظهر السطحي لحقيقة الحال. أما الأعماق فإنها في قلب الجزائر الثائرة التي تحرق في لهيبها المقدس أبشع استعمار احتلالي، وفرنسا لا تتعلم !.

«تمثل الحماقات الفرنسية التي ترتكب في هذه الأيام بدون حساب ظاهرة خطيرة في السلوك الدولي الذي تقررت قواعده نتيجة أهوال وكوارث كبيرة، وهي ظاهرة الاستهتار بالأنظمة المتعارف عليها، والعدوان على أحكام القانون الدولي بصورة تدعو إلى اشمئزاز الشعوب المتمدنة التي تطمح إلى بناء عالم مترابط متعاون يسوده تبادل الاحترام، والعلاقات الطبيعية»[١].

---

(١) صحيفة النصر، العدد /٣٥٣٤/، تاريخ ١٩٥٦/١٠/٢٦، ص١.

لم تعد قضية الجزائر قابلة للإرجاء، وبعد افتضاح المجازر الرهيبة التي ينفّذها الجيش الفرنسي بالجزائر ضد شعب أعزل يطالب بحريته، وبعد أن علم أن الفرنسيين: «فقدوا الرشد وانحدروا إلى استعمال أقذر الأساليب وأكثرها رهبة لقمع الثورة الوطنية كاستخدام الغازات السامة وإبادة الأسرى»(١).

مثل هذه الأعمال لا تنتج إلاّ عن فكر عنصري ومعادٍ للإنسان. وما يحدث في الجزائر يدخل في حكم إبادة العنصر. لكن شعب الجزائر أثبت بسالة ليس لها مثيل في تحمّله أثقال الوحشية الفرنسية، مما أثار ضمائر رجال الكنيسة في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فرفعوا أصواتهم: «إن مفهومنا للمُثل العليا يبدأ بالاعتراف بالإنسان كمخلوق على صورة الله وشبهه. وأن حق الإنسان في الاستقلال والتكافل الاجتماعي حق أساسي بالنسبة لنا، وعلى هذا فنحن نعتقد أن التفكير بأفضل السبل السياسية يبدأ بتحقيق ماهو الحق والصحيح... إننا نرحب بتعهد الحكومة الفرنسية بعدم فرض أية تسوية بالقوة»(٢)..

هكذا صوّرت صحيفة النصر معاناة الشعب الجزائري، كما صوّرت نضاله الباسل وتحمّله لكي تنتصر الثورة. ومن الأخبار التي نشرتها عن الثورة، ومن مجمل المادة الإعلامية التي عالجتها نستطيع أن نصل إلى الصورة النهائية التي أرادت الصحيفة أن تسجّلها في ذاكرة الشعب العربي وفي ذاكرة الرأي العام العربي، وهي: أن الثورة الجزائرية في قلب كل عربي يملك الإيمان بعدالة قضية ومستقبل أمته وبحركة التاريخ الصاعدة من العبودية إلى الحرية ومن الضعف إلى القوة... ففي هذا ينمو الأمل يوماً بعد يوم في مستقبل قريب نرى فيه المجاهدين يدفعون بقايا الاستعمار وأشلاء المستعمرين إلى الأعماق السحيقة، وينتهي بموتها زمان أوقفت فيه قوى الشر موكبنا عن السير في طليعة مواكب الحضارة الإنسانية.

---

(١) صحيفة النصر، العدد /٣٧٠٣/، تاريخ ١٩٥٦/١٠/٢٧، ص١.

(٢) صحيفة النصر، العدد /٣٤٠٧/، تاريخ ١٩٥٦/٠٥/٢١، ص١.

ومن الملاحظ أيضاً أن الشعر لم يتخلف في صحيفة النصر عن مناجاة الثورة الجزائرية بدلالات عميقة، فهي ذلك الكوكب الوهّاج الذي طالما انتظر نوره المشرق العربي، وهي التي سوف تجدّد روح الإسلام، وجهاد قادته، لتعيد للإسلام مجده القديم، وهي التي لن تستطيع رياح الهمجية الاستعمارية أن تقتلعها.. وفق تقريرها.

فالجزائر هي قلعة الصامدين الصابرين، وستكون مقبرة الغاصبين، كل هذه الدلالات والصور توقظنا في قصيدة من مئة بيت للشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري، ومما جاء فيها:

جزائـــر يـــا كوكـــب المـــشرقين	**دجـا الـشرق مـن كربـه فـاطلعي**
وياعقـــب العـــرب المغـــربيين	**أعيـدي صـدى «عقبـة» تـسمعي**
أجـــدّي عهـــوداً عفـــت وابعثـــي	**نواقـــع مـــن سِـــفرها الممتـــع**
إذ الحـــق يغمـــر مـــن «بلقـــع»	**رُبـــى الخلـد فـــي مكـــة الأضـــوع**

وهكذا رسم الشعر أيضاً عظمة الثورة الجزائرية، وأوحى كوسيلة مشاعر واتصال، بانتصار الشعب الجزائري، وثورته على المستعمرين القتلة...

٤ - ١١ دلالات العناوين:

يلاحظ من عناوين الجدول الأول، والتي كانت من تحرير الصحيفة، أنها لا تحمل أية رموز ذات دلالات قادرة على تحريك المشاعر، وإنما جاءت عادية تماماً، و المتعارف عليه أنّ من عيوب العناوين التي تتحدث عن الثورات أن تحرّر في صيغة سؤال «متى تنتهي محنة الجزائر» «أيدعى مجلس الأمن قريباً لبحث موضوع الجزائر». إنما على العنوان أن يضع الحقيقة الملموسة مباشرة أسلباً كانت معطياتها أم إيجاباً، فالقارئ لا يحتمل التساؤلات ولا يستطيع أن يشغل فكره في تأويلات لا ترشد إلى مواقف واضحة. وعندما نضع مثل هذا

العنوان: «اتساع نطاق الثورة الجزائرية»، فإننا نخسر عنصر الجاذبية، وكذلك عنصر التوجيه الحسّي، وهما عنصران أساسيان في صياغة العناوين.

ولعل العنوان الوحيد الذي يوحي بدلالة واضحة كان هذا العنوان: «بعد أن احتل الطلاب مكاتب وزارة الاقتصاد وهاجموا الوزارة بعنف، الحكومة قررت وقف تصدير الحبوب إلى الجزائر».

ذلك يعني أن الشعب السوري يبقى متضامناً مع الثورة الجزائرية حتى ضد حكومته، وهو موقف مصيري وليس ظرفياً، وهو تضامن يثبت نفسه من خلال الممارسة العملية وليس عبر الشعارات، وهكذا يحمل العنوان الصدق والجاذبية، ويحمل التوجه الحسي العاطفي، كما يحمل الإثارة التي تتناسب مع عرض الخبر.

أما جدول العناوين الثاني وهي العناوين المترجمة فكانت واضحة الرموز منذ البداية، وكانت هذه الرموز تتكرر للتأكيد على فاعليتها «الجزائر بركان يغلي» «البركان الجزائري». فالصورة التي توحي بها هذه الرموز بأن البركان، أي الثورة الجزائرية، هو قاب قوسين أو أدنى من الانفجار، مما يعني أن انفجاره سوف يجرف كل شيء في طريقه ويحرقه. والصورة الثانية التي يشير إليها الرمز هي أن مامن أحد يستطيع منع بركان من الانفجار وهو ما يشير إلى أن الأمور قد أفلتت من يد فرنسا وستجد نفسها عاجزة أمام هذا البركان. وفي مثل هذه الأحوال يزداد المستعمرون وحشية وهمجية ويلجؤون إلى الإبادة. لذلك تشير العناوين مباشرة إلى أن الدخلاء الفرنسيين قرروا اتباع طريقة إبادة الهنود الحمر، و التمييز العنصري ..

يتّضح من هذا الوصف دلالتان الأولى هي أن الجزائر ليست فرنسية وسكانها الجزائريون هم أصليون، فهم السكان الحقيقيون. وتؤكد الدلالة الثانية على أن الفرنسيين هم محتلون مستعمرون، إذ وصفتهم «بالدخلاء» أي لا يمتّون بصلة إلى المجتمع الجزائري ولا إلى حضارة الشعب المتميز السمات..

ونجد في هذه العناوين أيضاً دلالة هامة جداً، وهي تأكيد عروبة الجزائر، وتأكيد قومية الشعب الجزائري العربية، إذ تشير مباشرة إلى أن الذين يقودون

جيش التحرير الجزائري إنما هم جزائريون متمسكون بالوحدة العربية، وبأن هؤلاء المعتصمون بالجبال لا يقبلون بأنصاف الحلول.

ولقد استطاعت هذه العناوين أن تقدم لنا خاتمة الدلالات، إذ إنها تنبأت رغم قلتها بانتصار الثورة الجزائرية، وبرموز شفّافة: «سياسة الإرهاب تهدّد فرنسا نفسها... السحابة السوداء في باريس... هل بدأت أزمة الضمير، لا فائدة من هذه الحرب...».

٤ – ١٢ أسلوب المعالجة الإعلامية لثورة الجزائر في صحيفة النصر:

تختلف الكيفيّة التي أوصلت عبرها صحيفةُ النصر الرسالةَ الإعلامية حول الثورة الجزائرية، فهي لم تكن مباشِرةً إلا في مجال تحريك جماهير الشعب السوري من أجل التأييد المطلق للثورة الجزائرية. وكان تحرّك الشعب السوري على نوعين. نوع يتجلَّى فيه التضامن من خلال الخطاب الإعلامي وجمع التبرعات، ونوع يتجلَّى في التظاهرات التي تحمل أحياناً طابعاً هجومياً مادياً أومعنويا خطابياً، تجاه الحكومة، وتجاه الدوائر الرسمية العربية بمافيه جامعة الدول العربية.

إضافة بالطبع إلى التطوّع الذي قام به عدد من السوريين في جيش التحرير الجزائري والذي برز فيه عدد من الأطباء من منتسبي حزب البعث العربي الإشتراكي ، إضافة أيضا الى فتح مجالات الإنتساب الى الكليات العسكرية السورية والمدارس والجامعة السورية للجزائريين ومعاملتهم معاملة السوريين مع تقديم المساعدات اللازمة.

ومع أن الدافع الحقيقي الذي يكمن وراء الرسالة الإعلامية هو دافع قومي، كما أعلنت الصحيفة عن نفسها، إلا أننا لا نجد المصطلحات أو الرموز التي تشير إلى هذا الدافع سواء في العناوين أو في النصوص الإخبارية التي تتحدث فيها عن الثورة الجزائرية. لقد جاءت كلمة الجزائر مجرّدة من أي صفة تحدد شخصيتها القومية وكذلك كلمة الجزائريين...

وباستثناء بعض الكلمات التي كانت قليلة جداً، والتي ترمز إلى الانتماء الديني مثل مجاهد وشهيد، لكانت معالم الشخصية الجزائرية محلية بحتة «زعماء الجزائر، الثورة في الجزائر، منع تصدير الحبوب إلى الجزائر، فرنسا مصرّة على سياستها بالجزائر، الخ...»، كل هذه الكلمات لم تظللها الرموز التي توحي بعروبة الجزائر، أو أن الجزائر هي جزء من الوطن العربي، وأن الشعب الجزائري هو جزء من الأمة العربية.

إن عاطفة الصحيفة القومية موجودة وصادقة، لكن الصحيفة لم تستطع أن تنقل هذه العاطفة عبر رسالتها الإعلامية، ولذلك فإن دور التأثير العاطفي القومي لم يبلغ مداه في أسلوب المعالجة الإعلامية..

كذلك لم يكن مباشرة تأثير الإثارة الجماعية الذي يسعى إلى تحريك الجماهير، وإنما كان صداه ناتجاً عن حركة الجماهير نفسها كما أوضحنا، من خلال وصف التظاهرات الشعبية مثل: «وفي دمشق وحدها تجاوز عدد المتظاهرين الخمسة وعشرين ألف نسمة. واشترك في المظاهرات رابطة العلماء، ومكتب المغرب العربي، وجمعية الأنصار. وكانت الهتافات العدائية ضد فرنسا وحلف شمال الأطلسي تردّد من مذياع مركّز فوق سيارة ويكرّرها المتظاهرون بصوت واحد»[(١)].

وهكذا كانت الصحيفة تنقل تعاطف الشعب السوري مع الثورة الجزائرية، بصدقه واندفاعه لكنها لم تكن تسهم في توجيه حركته بالاستثارة، وإنما كانت تصفها كما هي، وكأنها ترسمها رسما بدون تلوين!..

لهذا لم يبد من أسلوب الصحيفة ذلك التأثير التراكمي، إلاّ من خلال تأكيد تضامن الشعب السوري، وكذلك لم تظهر الإثارة الجماعية، ولم يظهر استهداف الإثارة العاطفية كما ظهر في الصحف الأخرى.

---

(١) صحيفة النصر، العدد /٣٣٨٩/ تاريخ ٢٢/٤/١٩٥٦.

الفصل الخامس

الثورة الجزائرية في الشعر السوري

كما ذكرت في نهاية المبحث السابق فلقد انعكس موقف الجماهير السورية من الثورة الجزائرية على جميع فئات الشعب السوري وشرائحه بتخصصاته المختلفة، ويمكن أن نتوقف عند الشعراء لعلاقتهم بالإعلام الصحفي من جهة والمشاعر الحسّاسة والمعبّرة من جهة ثانية، فأخذ الشعراء يتبارون في القصائد بألوان مختلفة للتعبير عن روح تأييد الجماهير لها ومباركتها ووضعها موضع القلب بالنسبة للجسد العربي كلّه..

ولقد كان الشاعر سليمان العيسى في مقدمة الشعراء الذين أفصحوا عن هذا التأييد لذلك أبدأ باقتطاف بعض الأبيات من قصيدة «ميلاد شعب» التي أهداها إلى ثورة الجزائر... وقودِ الفجر العربي الجديد[١] .

لم أزرها هذه الأرض التي تسقي الصباحا

بدمي، لم أنضُ كي يولِد تاريخي السلاحا

لم أكن خلف الصخور السُمر صدراً ، وجراحا

تغسل التربَ الذي دُنّس، والبغي الوَقاحا!

---

(١) العيسى، سليمان، ديوان (رمال عطشى)، مكتبة هاشم ببيروت ١٩٥٧، ص ٨٧-١٠١ والقصيدة مؤرخة في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٥٥.

لم أزرها... هذه الأرض التي مدّت جناحا

للأعالي، ورمت في الدم للموت جناحا

جرحُنا ذاك الذي ينزف ناراً وكفاحا

واحدٌ لم ينقسم إلاّ ميادينَ وساحا

ثم يوضح هدفه بالاسم فيقول:

في عروقي ، أنت في آهاتنا، في كلّ خاطر

يا دويَّ الصيحةِ الحمراء في قلب الجزائر

يتابع بأسلوبه الحماسي المؤثّر جامعاً نضال المغرب العربي كله وموقف الشام فيقول:

سرْ معي فوق الدروب الحمر نستهدِ الأضاحي

يلتقي المشرقُ والمغربُ فيها بالصباح

في ثرى تونسَ، في مراكشَ، عبر البطاحِ

حنّتِ الشامُ تشدُّ الجرحَ منه بالجراحِ

أيها السّاقون في «الاهراس»[١] ساحات الكفاح

بدماكم أورقَ الفجرُ على حدِّ السلاحِ

ونتابع مع الشاعر لنرى كم فتحت هذه الثورة من آفاق وأحيت من آمال للأمة العربية كلها:

لم يعد في وطني ساحة الفتح «عبيد»

كلُّ صخر خلفه، لو زُحزح الصخرُ، شهيدْ

---

(١) يوضح الشاعر معرفاً فيقول: جبال الأهراس من معاقل الثوار في الجزائر، ويقصد جبال الأوراس..

جاد بالروح اتقاء الذلِّ، أوهمَّ يجود

وثبةٌ تومئ للأجيال: أنّا سنعود

شُعُلا تهدي، ونُبلاً جُهلت فيه الحدود

في ذرى الأطلس فجر راح ينشقّ

جديد

ألف سفّاح على خفقته البِكر يَبيد

لكأني أشهد الساعة خوداً عربية

تتخطى الصخر، لا يُرهبها ومضُ

المنية

تركت في الدار للثورة نعشين

هدية

ومضت تنذر للأحرار ، للنصر

البقية

ورأته في الذرى السمراء جرحاً

وشظية

حلمها، فارسها المغوار، في الساح

رميّه

أقسمت، لا تتخطّى دمه

إلا ّضحيّة

ويختتم قصيدته مفصحاً عن دور حزب البعث الذي ينتمي إليه الشاعر في إنهاء الوجود الاستعماري فيقول:

أيها العبء الذي يجثو على صدر بلادي

أيها المستعمر الماضي إلى غير معاد

عبثاً تشحذ أظفارك حمراً للحصاد

موجة البعث.. تنصّت .. إنها في كل واد

تتحداك... جهاداً ذاب في نار جهاد

أيها المستعمر الماضي: إلى غير معاد! (١)

يا وطن الثورة والنضال

تشمخ في روعتها الجبال

علمتنا الدروس العظيمة

علمته الأجيال

كيف استحلت وطناً

يملؤني رعباً وهولا

أن أقول:

يذبح الأطفال؟..

كما أن الشعراء السوريين عموماً كانوا ينظمون القصيدة تلو القصيدة عن الجزائر وثورتها..

---

(١) بقي الشاعر سليمان العيسى مهموماً بنتائج استقلال الجزائر متابعاً لها بحب وشغف واهتمام، وقد انتقل للعيش في صنعاء مقدراً أن اليمنيين هم الوحيدون الذين استطاعوا تحقيق وحدتهم فآثر الإقامة مع زوجته فيها، لكنه لم ينس أقسام الوطن العربي المختلفة، وقد آلمته الأحداث الدموية في الجزائر إيلاماً كبيراً ظهر في الكلمات الشعرية التي عنونها بـ «خمس كلمات» إلى الجزائر الدامية: أوردها في كتابه «أحلام شجرة التوت» الذي أصدرته وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩٩، وقدمه د. عبد العزيز المقالح رئيس جامعة صنعاء...

ونقتطف هذه الأبيات للشاعر ياسين الفرجاني[١] الذي كان محافظاً (والياً) لمحافظة حماة وسط سورية حين استقبل وفداً من الأخوات الجزائريات من جبهة التحرير الوطني الجزائرية زرن حماه عام ١٩٦٠م زمن الجمهورية العربية المتحدة.

هـــذي أنـــا بنـــت الجزائـــر	**عربـــاء أقـــتحم.. المخـــاطر**
حطمـــت قيـــدي أســـتبين الفجـــر	**فـــي حلـــك... الـــدياجر**
أرضٌ زرعـــــت رمالهــــا	**للطـــامعين بهـــا.. مقـــابر**
بيـــدٍ أ شـــدٌّ علـــى الزنـــاد	**فيـــسقط الجبـــارُ... صـــاغر**
ويـــد أ ضـــمّد جـــرح مغـــوار	**هـــو البركـــان.. هـــادر**
لبيـــك يـــا وطنـــي فكـــلُّ الـــشعب:	**ثـــــائرةٌ.. وثـــــائر**

يذكر رضا صافي[٢] في الجزء الرابع من كتابه على جناح الذكرى الذي يتحدث فيه عن حكاية حياته وملامح مدينة حمص التي تقع في وسط سورية وفيها الكلية الحربية إلى جانب جامع الصحابي الجليل خالد بن الوليد، ويقول:

وفي صيف ذلك العام ١٩٥٦ يلفت انتباهه، في مسجد الحي، ثلاثة شبان يؤدون الصلاة وأيديهم مسبلة، فيدرك أنهم من أتباع (المذهب المالكي)، ولا عهد للبلد بأتباعٍ لهذا المذهب، فيسأل عنهم ويعرف أنهم جزائريون، وأن لهم إخواناً أوفدتهم (جبهة تحرير الجزائر) إلى سورية، بعضهم لتلقي العلم في مدارسها، وبعض لتلقي التدريب العسكري في كليتها الحربية، حتى يعودوا للاشتراك في معارك الثورة الجزائرية التي كان قد مرّ على نشوبها سنة وبعض

---

(١) ياسين فرجاني – مواسم العطر – ديوان شعر إصدار دار مجلة الثقافة بدمشق.

(٢) صافي، رضا: على جناح الذكرى، أربعة أجزاء، إصدار وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٦، جزء ٤ ، ص ٢٧٦-٢٧٧.

السنة. ويعرف بالمناسبة، أن الجمهورية السورية قد زودّت الثورة بكميات من السلاح والعتاد الفرنسي الذي كانت قد تسلمته من فرنسا مع (جيش الشرق) يوم نالت استقلالها. ذلك أن الثورة الجزائرية كانت تعتمد على هذا السلاح في محاربة الفرنسيين أنفسهم، لأن مقاتليها كانوا مهرة في استعماله، وغنائمها من الفرنسيين كانت المورد الرئيسي لتسلّحها..

وفي أيلول ١٩٥٦ أقيمت، في حمص، حفلة رائعة لنصرة ثورة الجزائر، أنشد فيها صاحبنا قصيدة منها المقطعان التاليان يستذكر فيها النضال السوري ضد فرنسا:

إيـــه يـــا أخـــت! والجـــراح دوام ... كلّنـا بالمـصاب، يـا أخـت، شـاعر

نحـــن أدرى بأمـــة الغــدر واللــؤم ... ففـــي (ميـــسلون) منهـــا أمـــائر

نحـــن ذقنـــا نكالهـــا، وجزيناهـــا ... نكـــالاً تُـــدمي لديـــه النـــواظر

مزّقيهـا ، يـا أخـت بـالظفر والنـاب ... وشـــقّي أحـــشاءها والمرائـــر

لـن تراعـي، فـألف لبيـك بـالأنفس ... والمـــالِ والظبـــى والـــذخائر

لـــن تراعـــي مـــن قِلّـــة، فجهـــاداً ... واصطباراً ، والحرُّ فـي الروْع صابر

هـاهو النقـع، منـذ قـرن وربـع القـ ... ـــرن ، مـازال فـــي رباعـك ثـائر

ويربط بين فشل فرنسا في حرب السويس وبطشها في الجزائر ثم يُفصِح عن رضى الله والعروبة والإسلام مبيّناً عقيدته بوضوح:

وجبـال الأوراس، لـو نطـق الـصخـ ... ـــر أفاضـــت صـــخورثها بالمـــآثر

كـــم شـــهيد علـــى بقايـــا شـــهيد ... ودم مـــائر علـــى إثـــر مـــائر؟؟!!

يـا غـرام الأبطـال، يـا منيـة المجـد ... ولحـــن العـــلا وورد المفـــاخر!

رضـي الحـق عـن جهـادك والمجـد ... وحنَـــت إلـــى ثُـــراك الـــضمائر

فالثبـات الثبـات، إنّــا مــن الفجــ ــــر علــى خطــوة، ولليْــل آخــر

حشرج البغي فـي القنـاة وطاش الحلــ ــــم منـــه فـــأجهزي يـــا جزائـــر

ويـــد الله والعروبــــة والإســــلام ردء يقيــــــك، والله قـــــــاهر

ثم يجمع بين نضال العرب من فلسطين إلى مصر التي كانت تعيش آثار معركة السويس إلى الجزائر مختتماً بالدعاء للرئيس عبد الناصر الذي كان يمثّل رمز النضال العربي من أجل التحرر:

هــي يـا رب! جنـدك اليـوم أضـحوا هــدف الحاقــدين، والبغــي ســافر

فــي فلـسطين، فــي القنــاة، والأورا س، فــي الـشاطئين، قامـت مجـازر

أقـــسم الغـــرب أن نبيـــد وأقـــسـ ـــمنا جميعـــاً لنـــردّن المكـــابر

ونـــــشيّدن للعروبـــــة صـــــرحاً ونقمــــــن للفخـــــار منـــــائر

ونُعـــــدنَ ســــالفات الليـــــالي زاهـــراتٍ تهتـــزّ فيـــه البـــشائر

ولأنـــت المعـــين يـــارب فانـــصـ ـــرنا ، وكـن حافظـاً لعبـد الناصـر

أما الشاعر نزار قباني[١] فبالرغم من اهتمامه بالشعر الغزلي فقد وجد من قصة جميلة بوحيرد الموضوع الشعري الملائم للتعبير عن النضال الجزائري من أجل الحرية، فأنشد بلغته الشفافة وأسلوبه ذي الطابع الأنثوي الرقيق يقول:

الاسم جميلة بوحيرد

رقم الزنزانة : تسعونا

في السجن الحربي بوهران

---

(١) قباني، نزار، شاعر سوري مشهور له دواوين كثيرة، اشتهر بالشعر الغزلي النسائي، وتحولت الكثير من قصائده إلى أغان مشهورة بصوت نجاة الصغيرة، وعبد الحليم حافظ، وكاظم الساهر، توفي عام ٢٠٠٠ ودفن بدمشق، وسمي شارع من شوارع دمشق الجميلة باسمه.

والعمر اثنان وعشرونا

عينان كقنديلي معبد

والشعر العربي الأسود

كالصيف كشلال الأحزان

إبريق للماء... وسجّان

ويدٌ تنضمّ على القرآن

وامرأة في ضوء الصبح

تسترجع في مثل البوْح

آيات محزنة الأرنان

من سورة (مريم)

و(الفتح)

ثم يسترجع في المقطع الثاني اسم المناضلة ويربطه بالمغرب ويقصد المغرب العربي كله بعد أن عرّفها في المقطع الأول بالسجن الحربي بوهران:

- ٢ -

الاسم جميلة بوحيرد

أجمل أغنية في المغرب

أطول نخلة

لمحتها واحات المغرب

أجمل طفلة

أتعبت الشمس ولم تتعب..

ثم يصرخ متسائلاً مشمئزاً من أساليب التعذيب اللاإنسانية:

ياربي، هل تحت الكوكب

يوجد إنسان

يرضى أن يأكل.. أن يشرب

من لحم مجاهدة، تُصلَب

ثم يصرّح في المقطع الثالث عن فرنسا وجيشها فيقول:

- ٣ -

أضواء الباستيل ، ضئيلة

وسعال امرأة مسلولة

أكلت من رئتيها الأغلال

أكل الأنذال

(لاكوست) وآلاف الأنذال

من جيش فرنسا المغلوبة

انتصروا الآن على أنثى

أنثى كالشمعة مصلوبة

القيد يعضُّ على القدمين

وسجائر تطفأ في النهدين

ودمٌ في الأنف

وفي الشفتين

وجراح جميلة بو حيرد

هي والتحرير على موعد

ثم يبشّر بالتحرير:

مقصلة تُنصب.. والأشرار

يلهون بأنثى دون إزار

وجميلة، بين بنادقهم

عصفورٌ في وسط الأمطار

الجسد الخمري الأسمر

تنفضه لمسات التيار

وحروقٌ في الثدي الأيسر

في الحلمة

في.. في... ياللعار

- ٤ -

الاسم جميلة بو حيرد

تاريخ ترويه بلادي

يحفظه بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جَلدت مقصلةَ الجلاّد

امرأة دوّخت الشمسا

جرصت أبعاد الأبعاد

ثائرة من جبل الأطلس

يذكرها الليلك والنرجس

يذكرها : زهر الكبّاد

ويختم بمقارنة تشبيهية:

ما أصغر (جان دارك) فرنسا

في جانب(جان دارك) بلادي[١]

١٩٥٧

أما الشاعر نديم محمد[٢] فيقول في قصيدة بعنوان «الحرب لمن أرادوها»، نشرها بتاريخ ١٩٥٦ [٣] .

يـــا نجـــدة العربـــي ... فـــي	**دنيــــاك زمجـــرة القـــرومِ**
صــــوت الجزائــــر فجّرتــــه	**الحادثــــات مــــن الــــصميم**

وفي قصيدة أخرى نشرها عام ١٩٥٧ بعنوان «الجزائر» يقول[٤]:

فــــوري، جزائــــر، فــــوري	**دمـــــاً... رهيــــب الهــــدير**
فــــوري حديــــداً.. ونــــاراً	**وعنفوانــــــاً.. وثــــــوري**
ثــــوري، فــــرجس فرنــــسا	**يــــشتاق... للتنّــــور[٥]**
ثــــوري علــــى الظلــــم واشــــفي	**بالثــــأر حقــــدَ الــــصُّدورِ**

---

(١) انظر الأعمال السياسية الكاملة – نزار قباني المجلد الثالث ص (٥١-٥٨) منشورات نزار قباني، بيروت – بدون تاريخ. تجدر الإشارة إلى أن قصيدة نزار عن جميلة قد نشرت في غالبية الصحف السورية كما نشرتها مجلة الإذاعة السورية التي كانت تصدرها مديرية الإذاعة بإخراج وحروف كبيرة وسجلت سبقها النشر.

(٢) نديم محمد – شاعر سوري معروف من مواليد قرية عين شقاق من أعمال محافظة اللاذقية، اشتهر بشعره المتين والصريح وقد منح وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى عام ١٩٩٤، بعد وفاته.

(٣) محمد نديم: الأعمال الشعرية الكاملة – وزارة الإعلام بدمشق ١٩٩٦.

(٤) المصدر السابق – المجلد الأول، ص ٣٨٥-٣٩١

(٥) للفرن، بيت النار.

فـــــي الأرض زأر شـــــبولٍ   والجـــو زعْـــقُ نـــسور
مـــواءةُ الهـــرّ شـــتمٌ   فـــي غابنـــا للنمـــور
لا تـــصهري للغـــولي   إلا.. بـــأغلى المهـــور
سُـــلّي عـــروقَ الحنايـــا   عُبّـــي دمـــاء النّحـــور
لا يُـــرغم النـــاب، إلا   بـــالحَطْم.. والتّكـــسير
لا ترهبـــي كيـــد بـــاغٍ   لا تجزعـــي.. مـــن مُغيـــر
ســـيوفُنا البـــيضُ هبَّـــت   مـــن رقـــدة المؤتـــور[1]
وخيلُنـــا الـــشُقرُ جُنَّـــت   ليَومهـــا... المـــشهور

ويذكر الشام ومصر قائلاً:

وصـــيحةُ الـــشام، ضـــاقت   فيهـــا رحـــابُ الأثيـــر
ومـــصرُ ، نَهـــدةُ ليـــثٍ   ماضـــي الـــشّباة... هَـــصُور

ويذكر باريس عاصمة فرنسا بالاسم فيقول:

تظـــنُّ بـــاريسُ.. أنَّـــا   لِنَّـــا... لـــصَعْبِ الأمـــور
فتـــزحمُ الأرضَ زحمـــاً   بالقتـــل... والتـــدمير
ونـــستطيلُ علينـــا   مخالـــبُ... العـــصفور
غـــداً يُزمجـــر ســـوط   علـــى الجبـــين الطّريـــر
بـــاريس .. يـــاقُبحَ لَـــون   الظـــلام... فـــي وجـــه نـــور
تـــذَكّرينا.. أ لـــسنا   أجـــارةَ... المـــستجير
تـــذكرينا.. فإنَّـــا   طلائـــع... المقـــدور

---

(١) المؤتور: فاقد العقل.

نحـــــن امتـــــشقنا الرزايـــــا	**كواكبـــــــاً... للـــــــــسفور**
نحـــــن افترشـــــنا الـــــضحايا	**مراكبـــــــاً... للعبـــــــــور**
غـــــداً تمـــــوجُ... ســـــرايا	**زواخـــــــراً... كـــــــالبُحور**
تـــــــرفّهن... بنـــــــودٌ	**تهـــــوي هـــــوِيَّ الـــــصُّقور**
تحمـــــي ســـــراها زنـــــودٌ	**مجدولـــــةٌ مـــــن صـــــخور**
صـــــدى خُطاهـــــا.. أنـــــينٌ	**فـــــي قلبـــــكِ المنخـــــور**
غـــــداً تـــــضيقُ الثنايـــــا	**بجيـــــشنا... المنـــــصور**
الثـــــأرُ، ثـــــأرُ صـــــبايا	**مطـــــاعم... للـــــسّعير**
الثـــــأرُ، ثـــــأرُ بنـــــات	**ذبـــــائحٍ.. كـــــالجزور**
الثـــــأرُ، ثـــــأرُ شـــــبابٍ	**مجـــــدّلٍ... وعفيـــــر**
مـــــن كـــــلّ ضـــــلعٍ مَزيـــــق	**وكـــــلِّ رأسٍ نَثِيـــــر**
الثـــــأرُ، ثـــــأرُ صـــــغيرٍ	**الثـــــأرُ... ثـــــأرُ كبيـــــر**
ســـــيفُ الجهـــــادِ تمطّـــــى	**مـــــن غمـــــده المهجـــــور**
والنـــــاعمون... أبلّـــــوا	**مـــــن سُـــــقْم جَـــــرّ الحريـــــر**
واليَعربيـــــون.. شـــــدّوا	**ليـــــوم هـــــولٍ نكيـــــر**
مـــــشمرين.. لفـــــتحٍ	**مُخلّـــــدٍ فـــــي العـــــصور**
لِـــــضَفْر غـــــارٍ... نـــــضيرٍ	**مـــــسبحٍ.. بـــــالعطور**
وزغـــــردات عـــــذارى...	**بـــــيضٍ وراءَ الخُـــــدور**

إلى أن يقول مختتماً:

صـــــحراءُ.. يـــــا حلـــــمَ فجـــــرٍ	**الغـــــدير.. مـــــلءَ الهجيـــــرِ**
مـــــن صـــــبحكِ النـــــورُ أهـــــدى	**عينيـــــه... للمـــــستنير**

منــــك الحيـــــاةُ اســــتعارت ‏ ‏ ‏ خلودهــــا فـــــي الــــدهُّور
فاســـقي عطـــاش الــضّحايا ‏ ‏ ‏ مــــن الــــدم المهـــــدور
لا ينبــــــع العطــــــرُ.. إلاّ ‏ ‏ ‏ مــــن بُــــرعمٍ.. مَمطــــورِ!

ويتضّح أن الشاعر بالإضافة إلى صدق عاطفته ومشاعره القومية فقد حشد في قصيدته عبارات الحماسة والمعاني الجزلى بأسلوب شاعري رفيع يذكرنا بمتانة الشعر الجاهلي، إلا أنه وبالرغم من استعماله عبارة الجهاد فلم يربط بينه وبين الإسلام.

أما الشاعر عمر يحيى[1]فيقول في قصيدة بعنوان «العام الجديد» والتي كتبها في عام ١٩٥٩:

وربـــى الأوراس مازالـــت علـــى ‏ ‏ ‏ عهــدها رمــزَ شــموخٍ واعــتلاء
يتـــردّى النـــسرُ عنهـــا كيـــف لا ‏ ‏ ‏ وهـي مـن عَنْهَـا روى النـسرُ الإبـاء
ســـاحُ وهـــران بأبطـــال العـــلا ‏ ‏ ‏ شـــــاهداتٌ وبـــــأقزام اللقـــــاء
قــل لجــزّار الغــواني يــا جبــان ‏ ‏ ‏ حلمــك الجاهــل أوْلــى أن يــذاد
قــد خبرنــاك ومــا فــات الزمــان ‏ ‏ ‏ وروينـا عنـك مـا يُخـزي الرشـاد

ثم يتابع القصيدة فيخاطب فلسطين:

وفلــسطين أيـــا قلبـــي الجـــريح ‏ ‏ ‏ وطنـــــي الأولُ أيـــــامَ الــــصبا
هــي مــسرى أحمــد مهــد المــسيح ‏ ‏ ‏ آه يـــا أجمـــل هاتيـــك الربـــى

ونستطيع أن نلحظ في شعر الشعراء السوريين العلاقة القوية بين النضال السوري ضد الاحتلال الفرنسي واستمراره على يد ثوار الجزائر فوق أرض

---

(١) عمر يحيى – شاعر سوري معروف من مواليد مدينة حماه في وسط سورية، أصدرت ديوانه وزارة الثقافة السورية عام ١٩٨٠، في ثلاثة أجزاء.

الجزائر للهدف نفسه ألا وهو نيل الحرية وكذلك الربط الدائم بين نصرة فلسطين ونصرة الجزائر حتى أن كثيراً من الشعراء كانوا يقدّمون نصرة الجزائر أولاً من منطلق أن استقلال الجزائر سيمدّ النضال العربي من أجل تحرير فلسطين بقوة كبيرة وأساسية كبر الجزائر وشعبها لتتحرر من مغتصبيها ويعود أهلها الى ربوعها وبيوتهم....

وبهذا فقد مثّل الشعر العربي في سورية مشاركة واسعة عبّرت عن روح الجماهير ومواقفها وجاء هذا الشعر بكل الألوان والأجناس الشعرية ولو أن الشعر الحماسي كان الأغلب كما رأينا من النماذج التي عرضناها، وهي غيضٌ من فيض كبير، إذ لم يفوت شاعر سوري الفرصة عن الإشادة بالثورة الجزائرية والدعوة لتأييدها والالتفاف حولها وعدّها الأساس القوي لحركة التحرر العربي بخاصة والإنسانية بعامة.

الفصل السادس

جوانب إعلامية أخرى

ولم يكن تعامل وسائل الإعلام السورية مع الثورة الجزائرية مقتصراً على الصحافة اليومية والدورية فقط وإنما تعدّاها إلى كل وسائل الإعلام الأخرى ومنها المجلات والإذاعة والنشرات وقد كان من أبرز المجلات الدورية السورية مجلة الإذاعة السورية التي لم تكن تعتمد الأخبار إنما كانت تنشر الكثير من الدراسات والمقالات التي تعتمد في مادتها على كثير مما كان يذاع في برامجها المدرجة على خارطة برامجها فقد نشرت في العدد الصادر بتاريخ ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٦، العدد /١١١٤) عرضاً لكتاب الأسبوع قدّمه صلاح الدين الشريف بعنوان «عبد القادر الجزائري مثل تاريخي للبطولة العربية المكافحة»، ولقد اختار هذا الموضوع كي يلقي الضوء من خلال كفاح الأمير عبد القادر الجزائري على القضية الجزائرية برمتها، ونقتطف مما جاء في مقدمة المقال:

«في هذه الفترة العصيبة التي يمرّ خلالها قطر عربي شقيق هو الجزائر بمحنة قاسية من محن الاستعمار، سيخرج منها عن قريب، وقد فرض مشيئته على القوة الباغية واستخلص بسواعد بنيه ومهج شهدائه حقه وعزّز كيانه.

في هذه المناسبة تعود بنا الذاكرة إلى سيرة عطرة، سيرة حياة شامخة حافلة بالأمجاد والروائع، حياة عربي مجاهد في الله والوطن، له من اسم هذا البلد الأبي المكافح نصيبٌ كبير إنه الأمير عبد القادر الجزائري الذي وقف في

وجه فرنسا الباغية المعتدية وقفة الأسد الذائد عن حرمات العرين، يجالد الجحافل المفترسة عن إخوانه ومواطنيه... ولقد كتب الكثيرون من المؤرخين عن حياة هذا البطل، وأفاضوا في الحديث عن خلاله ومناقبه، ولكن أكثر كتاباتهم جاء مشوباً بالغرض، تتخلله سموم الحقد والنقمة، إلا هذا الكتاب، الذي عاصر مؤلفه «الكولونيل تشرشل»، (وهو ليس من أسرة تشرشل المعروف) حياة البطل، وربطت بينهما صداقة وفية مخلصة، حدت بالكاتب أن يكون وفياً مخلصاً للحق وحده، فكان أن ظفر جزاء لوفائه وإخلاصه بشهادة تقدير واعتزاز، خطّتها يد البطل، واعتزّ بها المؤلف أيما اعتزاز، حتى لقد أثبتها في صدر كتابه الممتع..

والآن.. فلنطالع معاً هذه السيرة العطرة، الغنية بآياتها الكبار... ولنقدمها تحية صادقة لمجاهدي الجزائر الأحرار، الذين بذلوا أرواحهم وأمواله ثمناً رخيصاً للنصر القريب....»...

وبعد هذه المقدمة، استعرض كتاب الكولونيل تشرشل والذي تحدث فيه عن الطغيان الفرنسي ومقاومة الجزائريين لهذا الطغيان بقيادة البطل عبد القادر الجزائري.

وقد دعم المقال بصور عن الممارسات التعسفية للسلطات الفرنسية مع رسم للأمير عبد القادر الأمر الذي يدل على الاهتمام الصحفي في إخراج وتبويب المواد المتعلقة بالقضية الجزائرية.. انظر الصورة...

كما خصصت الإذاعة السورية (حيث لم يكن قد تم تأسيس التلفزيون السوري)[1] (برنامجاً خاصاً يومياً عن الثورة الجزائرية لمدة نصف ساعة وضعت

---

(١) بدأ إرسال التلفزيون في سورية في ٢٣ تموز ١٩٦٠، باسم التلفزيون العربي بدمشق في عهد الجمهورية العربية المتحدة، وفي الوقت نفسه الذي بدأ الإرسال مع إرسال التلفزيون من القاهرة.

له شارة نشيد الجزائر: «قسماً»... وقد لقي هذا البرنامج نجاحاً كبيراً، واستقطب اهتمام مستمعي إذاعة دمشق، وأجرى العديد من اللقاءات مع قيادات الثورة الجزائرية، إضافة إلى الاهتمام الكبير برصد أخبار الثورة الجزائرية ومجاهدتها للاستعمار الفرنسي وتقديم التعليقات السياسية التي تبث روح التضامن والتأييد لهذه الثورة[١].

كما أصدرت الروابط الطلابية نشرات خاصة للتعبير عن تأييد كفاح المغرب العربي أبرزها نشرة كفاح المغرب العربي التي صدرت باسم أنصار جيش التحرير في المغرب العربي بدمشق ثم تحولت إلى اسم كفاح العرب، وعلّلت هذا التحوّل بالتسمية بمقال بعنوان «من كفاح المغرب العربي إلى كفاح العرب»، نقتطف منه هذا الجزء:

«ويوم ولدت هذه الجريدة، سميت /كفاح المغرب العربي/ إيماناً منّا أن الثورة في مغربنا إنما هي تعبير وتجسيد لثورتنا بكل ما فيها من طهر وبطولة.

فبرغم كل ما صدر عن الاستعمار من تعسّف وإجرام وتخلّ عن معاني الشرف، مما يؤكد لنا أية هاوية للدول الكبرى، مصدرة الحريات وصلت اليه.

يصمد المناضلون ليعطوا أروع ما يمكن أن يمثّل في الإنسان من نبل وطيبة ويرمزون بصمودهم ليعطوا أروع ما يمكن أن يمثل في الإنسان من تقبّل وطيبة ويرمزون بصمودهم إلى حقيقة ثورتنا الصاعدة ويزيحون الستار عن الانهيار الذي تسير إليه حضارة الغرب»..

وتعاود هذه الجريدة اليوم صدورها باسم «كفاح العرب» لأن استقراء الحوادث يدلّنا على أن المعركة في أكثر من مكان من الوطن الكبير، تتمخض عن المستوى الثوري السليم الذي به وحده الخلاص لشعبنا..

---

(١) حديث البرنامج للسيد خمار الشاعر الجزائري المعروف، في التلفزة الجزائرية بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٣٠.

كما وأن منطق هذه الحوادث يسوقنا بشكل حتمي، كما يسوق الاستعمار إلى الموقعة الفاصلة من المعركة الطويلة القاسية..

فالاستعمار، وهو يشاهد قلاعه تتساقط الواحدة تلو الأخرى، سيدفعه اليأس إلى كثير من الحماقات، كما فعل أخيراً في مصر، وكان من الممكن، لو أن الحكم في أجزاء الوطن الأخرى بيد الشعب، لاستفاد من تلك المناسبة للإجهاز نهائياً على الاستعمار، بتوسيع ساحة المعركة وضربه في كل مكان، أما وقد حال دون ذلك فهذه هي أهم ألأسباب :

أولاً: الظواهر التي دلت على أن حرارة المعركة إن استمرت ستفجر البركان العربي – الشعب – وكادت.

ثانياً: ميوعة الأجهزة السياسية الحاكمة، وخاصة في سورية، إذ الاعتماد الرئيسي كان عليها.

ثالثاً: موقف الرأي العام المشرّف في شجب العدوان.

رابعاً: فطنة أمريكا إلى ما تردى به حلفاؤها، مما بات يهدد بفقدان كل شيء...

وإذا تأجلت الموقعة ولم تنتف، لأن أمريكا التي تسلّمت زمام القيادة للمعسكر الاستعماري، وأخذت على عاتقها تكبيل القومية العربية، واحتلال مراكز بريطانيا وفرنسا، ليست أقل جنوناً من حليفاتها، حين يفزعها تكدّس حطام خططها واندحارها أمام إرادة شعبنا الصلبة، ومواقف أمريكا في الصين وكوريا مازالت قائمة في الأذهان..

فلنتهيأ للموقعة القادمة الفاصلة، هذا هو نداؤنا، ونرجو أن تساعدنا «كفاحنا» الصغيرة هذه، في الإسهام بهذه المعركة التي هي قدرنا ولا مفرّ منها، والتي ستكون الرصيد الضخم لرسالتنا المعاصرة، ولأجيالنا الصاعدة بما فعل أجدادهم، وللإنسان الحائر يلفّه الظلام.

كما بدأت النخب الثقافية تصدر كتباً تخصصها للثورة الجزائرية أو دراسات سياسية تخصص غالبيتها للثورة، ومن هذه الكتب ما أصدره الدكتور عبد الله عبد الدايم بعنوان: «الوطن العربي والثورة»، وقد خصّص مقدمة الكتاب وجزأه الأساسي للحديث عن الثورة الجزائرية، لا بل إن ثورة الجزائر ومدلولاتها الكبيرة هي التي ألهمت المؤلف في الكتابة عن الثورات في الوطن العربي والعالم.

كما تم إصدار سلسلة الفكر السياسي عن دار دمشق للطباعة والنشر بإشراف نخبة من كبار الأساتذة ذوي الاتجاه القومي العربي والثوري العالمي وهم: عبد الكريم زهور، والياس مرقص، وجمال الأتاسي، وياسين الحافظ، وسامي الدروبي، وبديع الكسم، وقد تعمّقت هذه الدراسات وتوسّعت لتعكس تفاعل التيارات السياسية المختلفة في سورية من أحداث الثورة الجزائرية وخلافات قادتها الداخلية والانقسامات والتيارات التي تصارعت داخلها..

ومن هذه الدراسات ما كتبه الأستاذ عبد الكريم زهور تحت عنوان: (الجزائر في دمشق) في سلسلة الفكر السياسي العدد – ١ – الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٢/١٥، وهذه الدراسة تعطي تعبيراً عن التفاعل وانعكاس الخلافات السياسية في سورية على أحداث الثورة الجزائرية وصراعات قياداتها ولاسيما في فترة مابعد انفصال سورية عن مصر وانهيار الجمهورية العربية المتحدة[١].

ويحاول الأستاذ زهور[٢] بأسلوبه البليغ وخبرته السياسية الغوص في الخلافات التي انفجرت بين قيادات الثورة الجزائرية ويناقش مواقف الساسة

---

(١) انظر العدد الأول في الفكر السياسي – زهور، مرقص، أتاسي، الحافظ، دار دمشق للطباعة، ١٩٦٣ – مع ملاحظة أن الدراسة ومواد الكتاب أعدت في نهاية ١٩٦٢، وصدرت في مطلع ١٩٦٣.

(٢) مفكر قومي من مدينة حماة، عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة دمشق، وانتخب نائباً عن مدينة حماة في قائمة حزب البعث العربي الاشتراكي، التي قادها أكرم الحوراني، وأصبح عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

السوريين والعرب من هذه الخلافات والانحياز لبعضها دون الآخر بتوسّع وتعمّق لا يخلو من تأثره بفكر حزب البعث العربي الاشتراكي في ذلك الوقت وموقف قياداته من الخلافات «ميشيل عفلق و صلاح الدين البيطار» ، مع تقديره الخاص لموقف الرئيس جمال عبد الناصر وإبرازه لما ورد في خطابه أمام مؤتمر القوى الشعبية في القاهرة: «لا أخفي عليكم قلقي للتطورات التي تقع في الجزائر اليوم... هناك نزر خطير داهم على المستقبل الجزائري... وهنالك على ما يبدو الآن خلاف يهدد الوحدة الوطنية الجزائرية...»..

إنه لا ينبغي لنا ولا لغيرنا أن ندخل في هذا الخلاف، وليس من شأننا أن نشير عليهم بما يجب أن يعملوه... إننا نناشدهم جميعاً بحق الدماء وحق النضال وحق علم الجزائر الطاهر أن يصنعوا المعجزة... وأن يواجهوا المستقبل صفاً واحداً..

كما كان للمحاضرات دور كبير في إذكاء روح التأييد للثورة الجزائرية حيث كانت برامج ونشاطات المراكز الثقافية والجمعيات الخيرية والاجتماعية مليئة بمحاضرات عن أبعاد ثورة الجزائر حيث كان المثقفون السوريون يتبارون في هذا الميدان حماسةً وتأييداً ملؤهما الإيمان بالارتباط بهذه الثورة كل وفق عقيدته وانتمائه الإيديولوجي، ولقد كان لمكتب جبهة التحرير الجزائرية في دمشق والمحافظات السورية الأخرى دور كبير في تنشيط هذه الفعاليات كما كان بعض كوادر جبهة التحرير يشاركون فيها بين الفينة والأخرى، بالإضافة إلى استضافة وزارة الثقافة لبعض رموز الأدب الجزائري(١).

---

(١) انظر الصورتين للأديب مالك حداد، والحضور..

مقالات الصحفيين السوريين في الصحافة العربية

لم يقتصر اهتمام الصحفيين السوريين بالثورة الجزائرية على النشر في الصحافة السورية فقط، إنما تعدّاه إلى الصحافة العربية، وطبيعي أن الكتابة في الصحافة العربية أخذت منحى تخصصياً سواء في السياسة أو الأدب ولقد حاول الكتاب السوريون تسليط الضوء على أي جانب من جوانب الحياة الجزائرية لإبقاء القضية الجزائرية حية في نفوس القراء العرب بحيث يزداد الاهتمام بها وتأييدها كلما زادت المعرفة بأحوالها وفي هذا المجال فقد حاول الكتاب السوريون تسليط الضوء على الأدب الجزائري سواء المكتوب باللغة الفرنسية أو باللغة العربية، ولقد أصدرت وزارة الثقافة في الإقليم السوري ثلاثية الكاتب الجزائري محمد ديب (الدار الكبيرة – الحريق – النول) والتي قام بترجمتها كبار الأدباء السوريين أمثال: د.سامي الدروبي، ود.بديع الكسم وغيرهم...

ثم أصدرت الوزارة نفسها، رواية صيف إفريقي كما دعت بعض الأدباء الجزائريين لزيارة سورية ومن هؤلاء الأديب مالك حداد، وقامت بإصدار كرّاس نشرت فيه محاضرتي الأديب مالك حداد وصدّرته بما يلي: دعت وزارة الثقافة والإرشاد القومي الكاتب الجزائري الكبير الأستاذ مالك حداد إلى زيارة الإقليم السوري في شهر حزيران (يوليو) ١٩٩١، ليتصل بأدبائه ومفكريه وليتعرف عليهم وعلى هذا الجزء من الوطن العربي وقد لبى دعوة الوزارة وألقى محاضرتين:

- الأولى في موضوع (الأدب الجزائري ومأساة التعبير لدى الكتاب الجزائريين).
- والثانية في موضوع: الكاتب الجزائري أمام مشكلة الحرية.

ونظراً لقيمة هاتين المحاضرتين رأت الوزارة أن تضمّها في كراس واحد، وأن تقدمهما إلى الجمهور بنصيهما العربي والفرنسي، وهي إذ تفعل ذلك فإنما

تقوم بقسط من رسالتها في تعريف المثقفين العرب برجال الفكر الجزائريين الذين يضعون قلمهم وفكرهم وموهبتهم في خدمة تحرّر الجزائر والدفاع عن قيم الحرية والكرامة والإنسانية(١).

ولقد وظّف الكتّاب السوريون هذا النشاط لينقلوا صورة عن الأدب الجزائري في الصحافة العربية ويمكن أن نتوقف عند مقال نشره الأديب الحلبي جورج سالم في العدد/٣٤/ من مجلة العربي الصادرة في الكويت في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ بعنوان الثورة في الأدب الجزائري مع عناوين ثانوية هي: مات صادق واليوم يولد صادق، إن الجزائر العارية الجائعة تتكلم فمن الذي يستطيع أن يسكتها.

وقد بدأ الكاتب مقاله.. (مقدمة – افتتاحية) تعبر عن مشاعره تجاه الثورة الجزائرية، وهدفه من المقال، منذ سنوات عديدة وأرض الجزائر العربية تعيش ثورة عنيفة دامية بكل سهولها وجبالها هي ثورة من أعنف الثورات التي قام بها الإنسان في سبيل حريته وكرامته واستشهدت في سبيل ذلك أرواح لا يحيط به حصر. واشترك فيها الشعب بكل فئاته في المزارع والدساكر والقرى والمدن والجبال وإن الغاية التي تهدف إليه الثورة هي تحقيق أعمق معنى تقوم عليه الحياة الإنسانية، وأجلّه وأقدسه، وهو في الوقت نفسه سرّ التاريخ الإنساني وجوهره وصبوة الإنسان الأصيلة مذ كان الإنسان على سطح الأرض وأعني به الحرية والإنسانية.

وهذه الثورة ليست بنت ساعتها وإنما هي نتيجة سنين طويلة من الاستعمار الفرنسي الذي غزا أرض الجزائر وأقام فيها يغتصب خيراتها ويمتصّ دماء أهلها.

---

(١) انظر الكرّاس الذي أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية بعنوان الحرية ومأساة التعبير لدى الكتاب الجزائريين بتاريخ حزيران (يونيو) ١٩٦١، بالعربية والفرنسية.

ويتابع الأديب سالم بعد هذه المقدمة فيقول:

ومن قلب هذه الثورة ومن صميم جو الثورات التي سبقتها منذ عشرات الأعوام، نشأ أدب جزائري تبنّى قضية الجزائر بكل مداها، وفي عمقها، وعاش تجربة الحرية، وصوَّر ذلك كله بواقعية حية وإخلاص عميق فأسهم بهذا في خدمة قضية الوطن ونفذ من هذه القضية إلى المستوى الإنساني الذي يلتقي فيه الناس جميعاً في حبّهم للإنسان، ولمقومات الحياة الإنسانية الأصيلة من حرية وكرامة وعدالة وتغلّبٍ على الفقر والبؤس والسمو بالإنسان نحو أفق أرحب وغدٍ أكثر إشراقاً.

ثم يتابع الكاتب سالم فيعرّف بالأدب الجزائري من خلال كلام للأديب الجزائري محمد ديب مستعرضاً المعنى التحرري في الأدب الجزائري سواء من الفقر أو الاستعمار ثم يستعرض لرواية محمد ديب الحريق متوقفاً عند النظرة الإيجابية المتكاملة مستخلصاً حبّ الشعب للأرض الجزائرية وتعلّق الناس بوطنهم مختتماً مقاله بمقاطع الشاعر الجزائري حين يقول:

وبهذا النشر في الصحافة العربية كان الكتاب السوريون يشعرون أنهم يقومون بواجبهم الوطني والقومي تجاه الثورة الجزائرية بحيث يصل صوت الثورة إلى كل بقاع الوطن العربي عبر النظرة السورية لهذه الثورة المستندة إلى أفق وعقيدة قومية عربية..

وإذا أردنا أن نستطرد في هذا المجال فلقد كانت كتابات السوريين في المجلات والصحف العربية كثيرة أيضاً، وعلى سبيل المثال، لم يخل عدد من مجلة الآداب اللبنانية طيلة فترة حرب التحرير الجزائرية من قصيدة أو مقال أو دراسة عن هذه الثورة العظيمة لكتاب من سورية. مع الإشارة إلى أن كثيراً من هذه الدراسات قد أعيد نشرها في كتب مستقلة كما هو حال دراستي الدكتور عبد الله عبد الدايم اللتين أعاد نشرهما في كتاب ((الوطن العربي والثورة))، كما

بيّنا ولقد ركزت الدراسات على تشريح الاستعمار الفرنسي في الجزائر ووحشيته وعلى إبراز المضمون التحرري والإنساني للثورة الجزائرية.

النتائج والمعطيات

في الأدبيات التي تتناول علم الصحافة، يميز الباحثون بين مفهومين يبدوان للوهلة الأولى، متشابهين إلاَّ أنهما بعيدان تماماً عن هذا التشابه.

المفهوم الأول هو: تاريخ الصحافة.

والمفهوم الثاني هو: التاريخ في الصحافة.

فالمفهوم الأول يتناول نشأة الصحافة، وتوجهاتها وتطورها، وعلاقاتها بالمجتمع والسلطة، في حين يعبّر المفهوم الثاني عن كيفية تناول الصحافة لأحداث التاريخ، وشرحها لهذه الأحداث ولإنعكاساتها..

ويتفق الباحثون أيضاً على أن الصحافة تؤرخ الأحداث في مجراها اليومي تبعاً لأهميتها وقوة تأثيرها في الرأي العام..

إلا أنه عندما تمتلك الأحداث قوة تاريخية فإنها تصبح قوة فاعلة في تاريخ الصحافة نفسها، كما تؤثر في توجهات الصحافة، ليصبح تأريخ الوقائع مطابقاً لمعطيات الأحداث كما تكون.

ولقد شكلت الثورة الجزائرية منعطفاً تاريخياً بارزاً، حملت أحداثه قوة تاريخية جديدة، غيّرت المفاهيم السائدة آنذاك إلى معطيات متقدمة انعكست تأثيراتها، ليس على الجزائر وحدها، وإنما على الوطن العربي بأسره، وعلى الشعوب المتطلعة إلى الحرية والاستقلال والسيادة.

كان التعدد العقيدي والايديولوجي للصحافة السورية ذا نزعة تصادمية قبل إندلاع الثورة الجزائرية، وكانت الاتهامات المتبادلة فيما بين الصحافة تعكس أوصافاً لأنماط مقولية محلية صاغتها الجماعات ذات الصلة بإعلام هذه الصحيفة أو تلك.

من هذه الصياغات التي أريد أن تتسرب إلى الرأي العام وأن تؤثّر فيه هذه المصطلحات: الصحافة الرجعية، الصحافة العميلة، الصحف الصفراء، وفي مواجهتها كانت تبرز هذه المصطلحات: الصحافة التقدمية، الصحافة الثورية، الصحافة الوطنية.... وهكذا، كل هذه الأنماط المقولية اختفت مرة واحدة، وتلاشت معها الاتهامات فإذا بالصراع بين التيارات الفكرية المتضادة:

الفكر العقيدي الإسلامي والفكر القومي العربي، والفكر الماركسي اللينيني، والفكر الوطني ينحسر عن الساحة، لتتصدر الثورة الجزائرية مسيرة هذه التيارات بأسرها، وليتوجه تاريخ الصحافة السورية، بقوتها التاريخية، وجهةً أخرى، استقطبت كل الصحافة في مسيرة واحدة وباتجاه واحد، من أجل ذلك كان اهتمام الصحف بالثورة الجزائرية لدى القارئ السوري معياراً لوطنيتها وعروبتها، وتعبيراً عن موقفها التاريخي.

لم يستطع أي من هذه التيارات السياسية أن يوحي بأن الثورة الجزائرية تعكس مبادئه أو شيئاً من هذه المبادئ أو أنها في حركتها تصوّر ملامح تشبه ما رسمه في تحركه، لقد كانت الثورة الجزائرية مرجعاً حقاً، في فكرها وفي أدائها العسكري أيضاً، لذلك اتجهت كل التيارات إليها تقتبس من وجها التاريخي.

هناك ما يجب تأكيده في هذا المنطلق. وهو أن الثورة اندلعت من أعماق الشعب، من صلب الجماهير المظلومة المقهورة، وليس من بين سياسيين محترفين. هذا الجوهر المضيء للثورة أثّر أيضاً على الصحافة السورية فجعلها تتناغم مع جماهير الشعب السوري وتستجيب لأي تحرك من قبلها لنصرة الثورة الجزائرية، بعد أن كانت لا تهتم إلا بالسلطة ورجالاتها.

لهذا يجدر بنا أن نتوقف عند الصورة الشاملة التي استخلصناها من هذه الدراسة والتي رسمتها الصحافة السورية للثورة الجزائرية. فهل كانت هذه الصورة هي ما أرادت رسمها فعلاً؟!... وهل تتوافق مع دوافع التيارات الفكرية التي قادت هذه الصحف؟.

نعتقد جازمين بأن الصورة التي أوردتها الصحافة السورية للثورة الجزائرية تعكس واقع الشعور المتباين بين التيارات المختلفة والتي التقت عند نقطة واحدة دفعتها لتأييد الثورة وإن كانت هذه الدوافع متناقضة من حيث الأرضية الفكرية التي تبني عليها تطلعاتها وآفاقها، ويمكن أن نُجمل هنا بعض النقاط المشتركة للصورة التي أوردتها الصحافة السورية:

أولاً: أجمعت الصحف الخمس التي اخترناها وهي تمثّل الصحافة السورية، على اتخاذ موقف واحد تجلّى في عدة اتجاهات:

١- أرادت الصحف أن تدافع بقوة عن الثورة وكانت مجتمعة عند هذه النقطة، وعمدت إلى تسويغ قيامها لأنها تريد تحقيق استقلال مشروع ضمنته لها شرائع العالم، وحق الشعوب في تقرير مصيرها...

٢- أدانت الصحف جميعها، الهمجية الفرنسية في اعتداءاتها على الشعب الجزائري، وكشفت عنصرية الاستعمار الفرنسي، وطبيعته الاستيطانية، كما أبرزت الزيف الحضاري الذي تدّعيه الحكومات الفرنسية. وكذلك أدانت حلف الأطلسي الداعم للاستعمار الفرنسي.

٣- مضت الصحافة السورية في تمجيد الثورة الجزائرية، وتبجيل بطولاتها عاكسة نظرة الشعب السوري إليها على أنها امتداد لنضاله ضد المستعمر الفرنسي تمثلت فيها قدرة الشعب العربي الجزائري النضالية وخلاصة التجارب العربية في مقاومة المستعمر. كما نظر الشعب العربي في سورية إلى أن انتصار هذه الثورة سيمدّ حركة التحرر العربي عموماً بقوة كبيرة تمثّل كبر الجزائر وشعبها وستساعد في قوة الأمة العربية وقدرتها على استعادة حقوقها المغتصبة ولاسيما في فلسطين..

وقد رأت القوى التقدمية أن انتصار هذه الثورة سيمد التيارات السياسية التقدمية بقوة جديدة تجعل ميزان القوى السياسي في الوطن العربي يرجح لصالح

التقدمية العربية ضد الرجعية والبرجوازية... الأمر الذي سيؤسس لإقامة وحدة عربية تقدمية تحقّق العدل وتكافؤ الفرص وتلغي الاستغلال وتقضي على الاستغلال المهيمن على الحياة العملية في المجتمعات العربية..

ثانياً: أجمعت الصحف أيضاً في تغطيتها للثورة على اتخاذ مواقف موحدة في النقاط التالية:

١- أجمعت على تأييد الثورة باستمرار حتى الانتصار والاستقلال.

٢- لم تدخر الصحف جهداً في البحث عن ما يؤازر الثورة، ولم تتوان عن التغطية الإخبارية المحرّضة في سبيل أن ترى هذه المؤازرة النور ولكي تعطي نتيجة معقولة..

٣- كان هناك إجماع أيضاً على ممارسة أسلوب عدم المهادنة في عملية التغطية الإخبارية، والإبقاء على التناغم مابين توجهاتها وتحرّك الشعب الحماسي.

ثالثاً: وردت الدوافع القومية في مقدمة الأسباب التي دفعت الصحافة السورية إلى تغطية الثورة الجزائرية، رغم الاتجاهات الفكرية المتباينة التي كانت تقف وراء هذه الصحف، وكان هذا الوضع يعبر بإخلاص عن وجهة نظر الصحافة السورية إلى القضايا العربية والقومية، وإلى تأكيد عروبة الجزائر وانتمائها إلى الأمة العربية، ومن أجل ذلك تصدّت للأنظمة العربية المتهاونة عن القيام بواجبها القومي.

وقد كان الدافع الديني أيضاً واضحاً في التعاطف مع الثورة مثلما كان الدافع الإنساني الذي كان يخاطب الرأي العام العالمي..

رابعاً: ركّزت الصحف السورية جميعها على الجانبين السياسي والعسكري وإن كان السياسي قد حاز جل الاهتمام، فيما لم يكن للجوانب الاقتصادية

والثقافية الاهتمام الكافي الذي يتناسب معها وربما كان هذا من المآخذ التي سجّلت على تغطية الصحافة السورية للثورة، ويعود ذلك إلى الإمكانات المحدودة للصحافة السورية في ذلك التاريخ من حيث عدم قدرتها على إيفاد مراسلين لديها واقتصار اعتمادها على وكالات الأخبار الأجنبية أو ما يوافيها من مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائري بدمشق إضافة لعدم وجود معاهد تأهيلية لدراسة علوم الصحافة والإعلام في سورية.

خامساً: عبّرت الصحافة السورية عن اتجاهات الرأي العام السوري تجاه الثورة الجزائرية، ولكنها قامت بواجبها الإعلامي أيضاً في نقل أخبار الثورة وجعلها حيّة معاشة معه تمامًا مثل قضاياه المحلية وخبزه اليومي. ولعل في توحّد التعددية التي كان يعيشها المجتمع السوري في هذا المجال ما ساهم في هذه الحيوية الإعلامية والمواكبة الإخبارية الدائمة إذ لم تكن أية وسيلة إعلامية تستطيع تجاهل القضية الجزائرية بحكم التكوين القومي للشعب السوري وتطلعاته في تحرير الوطن العربي، وإقامة كيان عربي موحد قوي وبالتالي فقد كانت أية وسيلة إعلامية ستتجاهل هذه القضية ستعرّض نفسها إلى الريبة والشك في انتمائها ومخالفتها للرأي العام مما سيعرضها إلى الحصار الشعبي والانحسار..

لهذا نستطيع القول إنه بفضل حيوية الشعب السوري وقوة انتمائه القومي قد نجحت الصحافة السورية في مهمتها فأطلعت السوريين على مجريات الثورة الجزائرية وحرّضتهم على مؤازرتها ومساندتها وأوصلت إليها روح الفداء التي تتمتع بها لدرجة المعايشة الدائمة حتى وضعت في مرتبة التقديس بالنسبة لجميع شرائح المجتمع.

الخاتمة

أوضحنا في الفصول السابقة أن الصحافة السورية بأكملها قد كيّفت أفكارها السياسية وأخضعت مواقفها عامة لنصرة الثورة الجزائرية، وذلك بفضل القوة التاريخية لهذه الثورة وقوة مرجعيتها، وقد عملت الصحافة بما استطاعت، على التصدي للإعلام الاستعماري الفرنسي ولإعلام حلف الأطلسي الداعم له وكشفت عنصرية الإعلام الغربي على وجه عام..

وأدانت أيضا همجية الجيش الفرنسي بما ألحقه من إبادة جماعية بأبناء الشعب الجزائري.

ومن جهة ثانية، أكّدت انتماء الجزائر إلى الوطن العربي وليس إلى فرنسا، وانتماء الشعب الجزائري إلى الأمة العربية، وعملت أيضاً بالتناغم مع الشعب العربي السوري على دفع الأنظمة العربية إلى الوقوف بقوة إلى جانب الثورة الجزائرية بالممارسة العملية.

وكانت تبعث دائماً روح الأمل بانتصار هذه الثورة العظيمة وتضرب بها المثل لتكون قدوة ورمزاً أعلى للمناضلين في البلدان العربية التي لم تتحرر في ذلك الحين.

ولقد سخّرت كل صحيفة ما تملكه من خبرة من أجل إيصال الرسالة الإعلامية إلى الرأي العام وإبقائه مرتبطاً بحركة الثورة فعمدت صحيفة المنار إلى الصورة الميدانية بشروحات مثيرة بالإضافة إلى الافتتاحية المتوهجة، واتجهت صحيفة البعث إلى المقالة المطولة أولاً لمزيد من الشرح ثم إلى

الافتتاحية لتأكيد العلاقة القومية بين سورية والجزائر. أما صحيفة النور فقد استخدمت التقرير بكثافة لإعطاء الرسالة الإعلامية حيوية، كما اهتمت بالمقالة اهتماماً كبيراً لإيصال الصورة الثورية للشعب الجزائري إلى الرأي العام السوري.

على أن صحيفة الأيام غير الحزبية كانت أكثر تعلّقاً بالخبر والعنوان لإبراز بطولات الثورة الجزائرية، وكانت متفوقة في هذا المجال، حيث كانت تشدّ الأنظار إلى ما يحققه المجاهدون من انتصارات على الجيش الفرنسي. وأما صحيفة النصر فكانت شبيهة بصحيفة الأيام بتركيزها على التقرير والمقالة لا سيما المقالات المترجمة..

وهكذا فإن صورة الثورة الجزائرية في الصحافة السورية كانت صورة مشرقة عبرت فيها الجماهير السورية عن آمالها الطموحة في النصر وتحقيق وحدة النضال العربي. وهذا ما يؤكد فرضية هذه الدراسة بتلاحم الصحافة والشعب بالثورة الجزائرية تلاحماً يرمز بصدق إلى وحدة المصير.

الملاحق

بيان أول نوفمبر

«أيها الشعب الجزائري

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا – نعني الشعب

بصفة عامة والمناضلين بصف خاصة – نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية، التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الأفريقي ورغبتنا أيضاً هو أن نجنّبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.

«فنحن نعتبر، قبل كل شيء أن الحركة الوطنية – بعد مراحل من الكفاح – قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية فإذا كان هدف أي حركة ثورية – في الواقع – هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحررية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متّحداً حول قضية الاستقلال والعمل. أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي، وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين..»..

«إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد فهي تمثّل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال أفريقيا. ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل. هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبداً بين الأقطار الثلاثة»...

«إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض على مصير مَنْ تجاوزتْهُ الأحداث وهكذا، فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطّمةً نتيجةً لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء محرومة من سند الرأي العام الضروري قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحاً ظنّاً منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية»..

إن المرحلة خطيرة..

«أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلاً وأن مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة، إن الوقت قدحان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورة إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين»..

«وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة، والمغلوطة لقضية الأشخاص والمصنّعة، ولذلك فهي موجّهة ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى. الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية، أن يمنح أدنى حرية»

«ونظن أن هذه أسبابٌ كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم:

جبهة التحرير الوطني»:

«وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر».

ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطّر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي.

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

١- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

٢ – احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية:

١- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي وروح الإصلاح ،والقضاء على جميع مخلّفات الفساد التي كانت عاملاً هاماً في تخلّفنا الحالي.

٢– تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

- تدويل القضية الجزائرية.
- تحقيق وحدة شمال إفريقية في إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.
- في إطار ميثاق الأمم المتحدة تؤكد عطفنا الفعّال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.

وسائل الكفاح:

«انسجاماً مع المبادئ الثورية، واعتباراً للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.»

«إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تُنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد، وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين»..

«إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية» «وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلاً ولكن النصر محقق»..

«وفي الأخير، وتحاشياً للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديداً للخسائر البشرية، وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرّفة للمناقشة إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائياً للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها».

١- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغيةً بذلك كلَّ الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضاً فرنسية رغم التاريخ والجغرافية واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

٢- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوّضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ..

٣- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين، ورفعُ كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كلِّ مطاردة ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل:

١- فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية، والمتحصّل عليها بنزاهة، ستُحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

٢- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يُعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

٣- تحدّد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري (إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبُك هو أن تنضمّ إليها لإنقاذ بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك وانتصارها هو انتصارك.

«أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين، فإننا نقدّم للوطن أنفسَ ما نملك..»

فاتح نوفمبر ١٩٥٤

الأمانة الوطنية (٩٢)

المصادر والمراجع

١– الكتب:

١- إحسان هندي، كفاح الشعب السوري، دراسة تاريخية عسكرية ١٩٠٨-١٩٤٨، الإدارة العامة للجيش والتوجيه المعنوي، دمشق ١٩٦٢.

٢- أحسن بومالي، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (١٩٥٤—١٩٥٦) المتحف الوطني للمجاهد الجزائري، الجزائر ١٩٨٥.

٣- أحمد حلواني، ابن عساكر، ودوره في الجهاد، دار الفداء، دمشق ١٩٩١

٤- أزغيدي محمد أحسن، مؤتمر الصومال وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية (١٩٥٦-١٩٦٢)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٦٩.

٥- أسامة زكي عواد، تاريخ الأحزاب السياسية في سورية في القرن العشرين، ط١، دمشق ١٩٩٧.

٦- أكاديمية العلوم السوفيتية، تاريخ الأقطار العربية، ج٢، دار التقدم، ١٩٧٦.

٧- أكرم الحوراني، مذكرات، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠.

٨- أمين إسبر، تطور النظم السياسية والدستورية في سورية، دار النهار ١٩٧٩، بيروت.

٩- أمين سعيد، تاريخ الاستعمار الفرنسي والإيطالي، ج٢، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٩٦ .

١٠- بيير بوداغوفا، الصراع في سورية لتدعيم الاستقلال الوطني، ترجمة: جواد صيداوي وحاتم سمان، دار المعرفة ، دمشق.١٩٨٧.

١١- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، ١٩٩٤، الجزائر.
١٢- جورج جبور، الفكر السياسي المعاصر في سوري، ط٢، المنارة ١٩٩٣، بيروت.
١٣- جوزيف الياس، تطور الصحافة السورية في مئة عام (١٨٦٥– ١٩٦٥)، ج٢، دار النضال، بيروت ١٩٨٣.
١٤- خالد العظم، مذكرات، ج٣، ط١، بيروت، الدار المتحدة للنشر ١٩٧٢.
١٥- حزب البعث العربي الاشتراكي، معالم المسيرة النضالية، دار البعث، دمشق، ١٩٩٧.
١٦- خضر زكريا، خصائص التركيب الاجتماعي في سورية، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٠.
١٧- خالد صابات تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٨.
١٨- دار الرواد، الأحزاب السياسية في سورية في القرن العشرين، ط١، دمشق، ١٩٧٧- .
١٩- روبرت فريدمان، السياسات الدولية والصراع العربي الإسرائيلي، ترجمة: أنس الحلبي وصبحي الجلابي، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٣.
٢٠- ساطع الحصري، محاضرات في نشوء القومية العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٦.
٢١- سامي الكيالي ، الحياة الأدبية في سورية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٦.
٢٢- شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية،ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.
٢٣- عبد الله عبد الدايم، الوطن العربي والثورة، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٦٣.
٢٤- فرانز فابر، دفاتر الصحافي رقم٣، اتحاد الصحفيين التشيكوسلوفاكيين، دمشق ١٩٨٩.

٢٥- فخري البارودي، ستون سنة تتكلم، مذكرات، ج٢، مطبعة الشرقي، دمشق، ١٩٥١.

٢٦- محمد أبو شامة، تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، بيروت، ١٩٧٤.

٢٧- محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج٢، ط١، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٨.

٢٨- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.

٢٩- محمد عمارة، الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.

٣٠- محمد كرد علي، خطط الشام،ج٤، مطبعة الترقي ، دمشق، ١٩٤٩.

٣١- محمد كرد علي، المذكرات،ج١، ط٣، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٩.

٣٢- مصطفى طلاس، وبسام العلي، الثورة الجزائرية، ط٣، دار طلاس، دمشق ٢٠٠٣.

٣٣- نجاح محمد، الحركة القومية العربية في سورية، ج١، ط١، دمشق، دار البعث ١٩٨٧.

٣٤- نجيب الأرمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، معهد الدراسات العربية العالية، (بدون تاريخ) القاهرة.

٣٥- هاشم عثمان، الصحافة السورية، ماضيها وحاضرها، ١٨٧٧-١٩٧٠، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧.

٣٦- هـ . م. خلينوف، الأنواع الصحافية، دار الصحافي للنشر، براغ، ١٩٨٠.

٣٧- وليد المعلم، سورية (١٩١٨ – ١٩٥٨)، التحدي، والمواجهة، ط١، بابل للنشر، قبرص، ١٩٨٥.

٢– الدوريات:

* مجلة أول نوفمبر العدد ٣٥، الجزائر. تاريخ ١٩٨٢.

* مجلة الحديث، دمشق، ١٩٥٢.

* مجلة الذاكرة، الجزائر، العدد للأول ١٩٩٤.

* مجلة العرفان، دمشق، المجلد (١)، ج٣، نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٥.

* مجلة المعرفة، دمشق، العدد الأول، مارس /آذار ١٩٦٢.

٣ - الصحافة الرسمية:

الجريدة الرسمية (العاصمة) العدد ١٤٧ – تاريخ ١٩٤٤، دمشق.

٤– الصحافة العامة:

صحيفة القبس، العدد ٢٩١٧ ، تاريخ ١٩٤٥/٠٦/٠٣.

صحيفة المقتبس، العدد ١٩١٠، تاريخ ، ١٩٤٧.

٥– الصحف موضوع الدراسة:

١ – صحيفة المنار:

رقم العدد	تاريخ العدد
١٠٣٠	١٩٥٥/٠٧/٠١
١٠٣٨	١٩٥٥/٠٧/٠٩
١٠٣٩	١٩٥٥/٠٧/١١
١٠٤٥	١٩٥٥/٠٧/١٨
١٠٤٦	١٩٥٥/٠٧/٢٠
١٠٦٣	١٩٥٥/٠٨/١٣
١٠٧٠	١٩٥٥/٠٨/٢٣
١٠٧٧	١٩٥٥/٠٨/٣٠

١٠٧٨	١٩٥٥/٠٩/٠١
١٠٩٠	١٩٥٥/٠٩/١٦
١٠٩٥	١٩٥٥/٠٩/٢١
١١٣٧	١٩٥٥/١١/١٠
١١٧٣	١٩٥٥/١٢/٢٤
١١٧٦	١٩٥٥/١٢/٢٨
١٢٠٦	١٩٥٦/٠٢/٠٣
١٢٠٧	١٩٥٦/٠٢/٠٥
١٢١٠	١٩٥٦/٠٢/٠٩
١٢٢٨	١٩٥٦/٠٢/٢٩
١٢٣٣	١٩٥٦/٠٣/٠٦
١٢٥٢	١٩٥٦/٠٣/٣١
١٢٥٧	١٩٥٦/٠٤/٠٧
١٢٦٩	١٩٥٦/٠٤/٢٣
١٢٧٤	١٩٥٦/٠٤/٣٠
١٢٧٧	١٩٥٦/٠٥/٠٤
١٢٨١	١٩٥٦/٠٥/١٠
١٢٨٩	١٩٥٦/٠٥/٢٤
١٢٩٢	١٩٥٦/٠٥/٢٨
١٢٩٣	١٩٥٦/٠٥/٢٩
١٣٠٨	١٩٥٦/٠٦/١٦
١٣١١	١٩٥٦/٠٦/١٩
١٣١٢	١٩٥٦/٠٦/٢٢
١٣١٣	١٩٥٦/٠٦/٢٣
١٣١٤	١٩٥٦/٠٦/٢٤
١٣١٩	١٩٥٦/٠٦/٢٩

٢ - صحيفة البعث:

رقم العدد	تاريخ العدد
٠١	١٩٤٩/٠٧/٠٣
٠١	١٩٥٦/٠٤/٢٠
٠٢	٠٩٥٦/٠٤/٢٧
٠٣	١٩٥٦/٠٥/٠٤
٠٤	١٩٥٦/٠٥/١١
٠٥	١٩٥٦/٠٥/١٨
٠٦	١٩٥٦/٠٥/٢٥
٠٧	١٩٥٦/٠٦/٠١
٠٨	١٩٥٦/٠٦/٠٨
٠٩	١٩٥٦/٠٦/١٥
١١	١٩٥٦/٠٦/٢٩
١٢	١٩٥٦/٠٧/٠٦
١٣	١٩٥٦/٠٧/١٣
١٤	١٩٥٦/٠٨/٠٣
١٦	١٩٥٦/٠٨/١٧
١٧	١٩٥٦/٠٨/٢٤
١٩	١٩٥٦/٠٩/٠٧
٢٠	١٩٥٦/٠٩/١٤
٢٢	١٩٥٦/٠٩/٢٨
٢٨	١٩٥٦/١٠/١١

٣ – صحيفة النور

رقم العدد	تاريخ العدد
١٠٣	١٩٥٦/٠٥/٠٩
١٠٤	١٩٥٦/٠٥/١٠
١٠٩	١٩٥٦/٠٥/١٥
١٤٧	١٩٥٦/٠٧/٠٥
١٤٨	١٩٥٦/٠٧/٠٦
١٤٩	١٩٥٦/٠٧/٠٧
١٥٠	١٩٥٦/٠٧/٠٨
١٥١	١٩٥٦/٠٧/١٠
١٥٢	١٩٥٦/٠٧/١١
١٥٣	١٩٥٦/٠٧/١٢
١٥٤	١٩٥٦/٠٧/١٣
١٥٥	١٩٥٦/٠٧/١٥
١٥٧	١٩٥٦/٠٧/١٨
١٥٩	١٩٥٦/٠٧/١٩
١٦٠	١٩٥٦/٠٧/٢٠
١٦٥	١٩٥٦/٠٧/٢٥
١٦٨	١٩٥٦/٠٧/٢٩
١٧٩	١٩٥٦/٠٨/٢٠
١٨٩	١٩٥٦/٠٨/٣١
٢١٠	١٩٥٦/٠٩/٢٥
٢١٨	١٩٥٦/١٠/٠٤
٢٣٨	١٩٥٦/١٠/٢٨
٢٦٢	١٩٥٦/١١/٢٦
٢٧٧	١٩٥٦/١٢/١٣

٢٩٧	١٩٥٧/٠١/٠٩
٣١٩	١٩٥٧/٠٢/٠٤
٣٢٠	١٩٥٧/٠٢/٠٥
٣٢١	١٩٥٧/٠٢/٠٦
٣٣١	١٩٥٧/٠٢/١٨
٣٥٢	١٩٥٧/٠٣/١٦
٣٦٩	١٩٥٧/٠٤/٠٦
٣٧٠	١٩٥٧/٠٤/٠٨
٣٧١	١٩٥٧/٠٤/٠٩
٤٠٥	١٩٥٧/٠٥/٢٨
٤١٤	١٩٥٧/٠٦/٠٧
٤٢٢	١٩٥٧/٠٦/١٧
٤٣٠	١٩٥٧/٠٦/٢٦
٤٣١	١٩٥٧/٠٦/٢٧
٤٣٢	١٩٥٧/٠٦/٢٨

٤ – صحيفة الأيام

رقم العدد	تاريخ العدد
٥٧٣٩	١٩٥٦/٠١/١٩
٥٧٤٧	١٩٥٦/٠٢/٠٦
٥٧٥٠	١٩٥٦/٠٢/١٠
٥٧٥١	١٩٥٦/٠٢/١٢
٥٧٥٢	١٩٥٦/٠٢/١٣
٥٧٥٥	١٩٥٦/٠٢/١٦
٥٧٥٦	١٩٥٦/٠٢/١٧

٥٧٢٢	١٩٥٦/٠٣/٠٧
٥٧٧٧	١٩٥٦/٠٣/١٤
٥٧٧٩	١٩٥٦/٠٣/١٦
٥٧٨٢	١٩٥٦/٠٣/٢٠
٥٧٨٣	١٩٥٦/٠٣/٢١
٥٧٨٤	١٩٥٦/٠٣/٢٥
٥٧٨٩	١٩٥٦/٠٣/٢٩
٥٧٩٠	١٩٥٦/٠٣/٣٠
٥٧٩٩	١٩٥٦/٠٤/١١
٥٨٠١	١٩٥٦/٠٤/١٤
٥٨٠٢	١٩٥٦/٠٤/١٥
٥٨٠٤	١٩٥٦/٠٤/١٧
٥٨٠٧	١٩٥٦/٠٤/٢٢
٥٨٠٨	١٩٥٦/٠٤/٢٣
٥٨٠٩	١٩٥٦/٠٤/٢٤
٥٨١٠	١٩٥٦/٠٤/٢٥
٥٨١٢	١٩٥٦/٠٤/٢٧
٥٨١٤	١٩٥٦/٠٤/٣٠
٥٨١٥	١٩٥٦/٠٤/٠١
٥٨١٦	١٩٥٦/٠٤/٠٢
٥٨١٧	١٩٥٦/٠٤/٠٣
٥٨١٨	١٩٥٦/٠٤/٠٤
٥٨١٩	١٩٥٦/٠٤/٠٦
٥٨٢٠	١٩٥٦/٠٤/٠٨
٥٨٢١	١٩٥٦/٠٤/٠٩
٥٨٢٢	١٩٥٦/٠٥/١٠

٥٨٢٣	١٩٥٦/٠٥/١١
٥٨٢٥	١٩٥٦/٠٥/٢١
٥٨٢٦	١٩٥٦/٠٥/٢٢
٥٨٢٧	١٩٥٦/٠٥/٢٣
٥٨٢٨	١٩٥٦/٠٥/٢٤
٥٨٣٠	١٩٥٦/٠٥/٢٧
٥٨٣١	١٩٥٦/٠٥/٢٨
٥٨٣٤	١٩٥٦/٠٥/٣١
٥٨٣٧	١٩٥٦/٠٦/٠٤
٥٨٣٧	١٩٥٦/٠٦/٠٥
٥٨٣٩	١٩٥٦/٠٦/٠٦
٥٨٤١	١٩٥٦/٠٦/٠٨
٥٨٤٤	١٩٥٦/٠٦/١٢
٥٨٤٩	١٩٥٦/٠٦/١٨
٥٨٥٦	١٩٥٦/٠٦/٢٦
٥٨٥٧	١٩٥٦/٠٦/٢٧
٥٨٥٨	١٩٥٦/٠٦/٢٨
٦٠٤٠	١٩٥٧/٠٢/٠٨
٦٠٤٢	١٩٥٧/٠٢/١٠
٦٠٤٣	١٩٥٧/٠٢/١٢
٦٠٤٤	١٩٥٧/٠٢/١٤
٦٠٤٦	١٩٥٧/٠٢/١٥
٦٠٤٧	١٩٥٧/٠٢/١٦
٦٠٤٨	١٩٥٧/٠٢/١٨
٦٠٤٩	١٩٥٧/٠٢/١٩
٦٠٥١	١٩٥٧/٠٢/٢١

٦٠٨٦	١٩٥٧/٠٤/٠٤
٦٠٩١	١٩٥٧/٠٤/١٠
٦٠٩٢	١٩٥٧/٠٤/١١
٦٠٩٥	١٩٥٧/٠٤/١٦
٦٠٩٦	١٩٥٧/٠٤/١٧
٦١٠١	١٩٥٧/٠٤/٢٢
٦١٠٢	١٩٥٧/٠٤/٢٣
٦١٠٦	١٩٥٧/٠٤/٢٨
٦١٠٩	١٩٥٧/٠٤/٠٦
٦١١١	١٩٥٧/٠٥/٠٨
٦١١٢	١٩٥٧/٠٥/٠٩
٦١١٤	١٩٥٧/٠٥/١٢
٦١١٨	١٩٥٧/٠٥/١٥
٦١٢٧	١٩٥٧/٠٥/٢٧
٦١٢٨	١٩٥٧/٠٥/٢٨
٦١٢٩	١٩٥٧/٠٥/٢٩
٦١٥٧	١٩٥٧/٠٧/٠١
٦١٥٨	١٩٥٧/٠٧/٠٢
٦١٦٧	١٩٥٧/٠٧/١٨
٦١٦٨	١٩٥٧/٠٧/١٩
٦١٦٩	١٩٥٧/٠٧/٢١
٦١٧٠	١٩٥٧/٠٧/٢٢
٦١٧١	١٩٥٧/٠٧/٢٣
٦١٧٣	١٩٥٧/٠٧/٢٥
٦١٧٧	١٩٥٧/٠٧/٣١
٦١٧٨	١٩٥٧/٠٨/٠١

٦١٧٩	١٩٥٧/٠٨/٠٢
٦١٨٤	١٩٥٧/٠٨/٠٨
٦١٨٧	١٩٥٧/٠٨/١١
٦١٩٣	١٩٥٧/٠٨/١٩
٦١٩٥	١٩٥٧/٠٨/٢١
٦٢٠٧	١٩٥٧/٠٩/٠٤
٦٢١١	١٩٥٧/٠٩/٠٩
٦٢١٨	١٩٥٧/٠٩/١٩
٦٢٢٣	١٩٥٧/٠٩/٢٤
٦٢٣٦	١٩٥٧/١٠/١٠
٦٢٤٦	١٩٥٧/١٠/٢٣
٦٢٥٤	١٩٥٧/١٠/٣١
٦٢٥٨	١٩٥٧/١١/٠٥
٦٢٦٥	١٩٥٧/١١/١٣
٦٢٧٤	١٩٥٧/١١/٢٢
٦٢٧٧	١٩٥٧/١١/٢٧
٦٢٨٠	١٩٥٧/١٢/٠١
٦٢٨٣	١٩٥٧/١٢/٠٤
٦٢٨٥	١٩٥٧/١٢/٠٦
٦٢٨٦	١٩٥٧/١٢/٠٨
٦٢٨٩	١٩٥٧/١٢/١١
٦٢٩١	١٩٥٧/١٢/١٣
٦٢٩٤	١٩٥٧/١٢/١٧
٦٣٠٤	١٩٥٧/١٢/٣٠
٦٣٠٥	١٩٥٧/١٢/٣١

٥ – صحيفة النصر:

٣٣٤٣	١٩٥٦/٠٢/٢٣
٣٣٤٥	١٩٥٦/٠٢/٢٥
٣٣٧٠	١٩٥٦/٠٣/٢٧
٣٣٨٩	١٩٥٦/٠٤/٢٢
٣٣٩٢	١٩٥٦/٠٤/٢٧
٣٤٠٤	١٩٥٦/٠٥/١٧
٣٤٠٧	١٩٥٦/٠٥/٢١
٣٤١٠	١٩٥٦/٠٥/٢٤
٣٤١٣	١٩٥٦/٠٥/٢٨
٣٤١٤	١٩٥٦/٠٥/٢٩
٣٤١٦	١٩٥٦/٠٥/٣١
٣٤١٨	١٩٥٦/٠٦/٠٣
٣٤٢٧	١٩٥٦/٠٦/١٣
٣٤٢٨	١٩٥٦/٠٦/١٤
٣٤٥٩	١٩٥٦/٠٧/١٦
٣٤٧٠	١٩٥٦/٠٨/١٠
٣٤٨٣	١٩٥٦/٠٨/٢٦
٣٥٤٣	١٩٥٦/١٠/٢٦
٣٦٩٧	١٩٥٧/٠٥/٢٠
٣٧٠٣	١٩٥٧/٠٥/٢٧
٣٧٢٢	١٩٥٧/٠٦/١٨

فهرس

الصفحة

الصفحة

د. أحمد حلواني

- باحث وأستاذ جامعي في علوم الإعلام والفكر والتاريخ السياسي.
- عضو اللجنة التنفيذية للجمعية العربية للعلوم السياسية واتحاد المؤرخين العرب واتحاد الصحافيين العرب والسوريين.
- له الكثير من الأبحاث الأكاديمية والمقالات الصحفية والمشاركات في المؤتمرات الجامعية والعلمية العربية والدولية.

الطبعة الأولى / ٢٠١٧

كلمة الغلاف

لم تكن بلاد الشام في التاريخ الحديث ممراً أو معبراً عادياً للحجاج والمهجّرين المغاربة، بل كانت نقطة ارتكاز لمتابعة المسيرة الحضارية مع الإخوة السوريين، متضمنة الأمان والتزوّد الثقافي والفكري من علماء الشام، والتواصل مع أهلها بحكم ما عُرف عنهم من طيبة ومودّة، إضافة إلى زيارة معالمها التي تشكّل منارات هداية وعمران حضاري.

ومن هذا المنطلق اختار الأمير عبد القادر دمشق ملجأً وموطناً مع رجاله وأهله ومؤيديه، فصار فيها زعيماً يشار إليه بالبنان وحظي بالتفافٍ جماهيري من قبل أهالي الشام بمختلف فئاتهم وطوائفهم.

الأمر الذي يبيّن العلاقة التاريخية بين أهالي الشام والشعب الجزائري خاصة والمغاربي عامة.

وهو ما تعالجه هذه الدراسة من خلال موقف الشعب السوري من ثورة التحرير الجزائرية.